

جامعة أبو القاسم سعد الله - الجزائر (2)

كلية العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

دراسة تاريخية لفكر فرونطو و ماركوس أوريليوس من خلال
المراسلات " القرن الثاني الميلادي "

مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه LMD

في تاريخ الحضارات القديمة

لجنة المناقشة

- أ.د/ بلقاسم رحمانى رئيسا
- أ.د/ محمد الحبيب بشاري مقررا
- دة/ نورة مواس عضوا
- دة/ مقدم بنت النبي عضوا
- د/ عبد النور العمري عضوا
- دة/ كاهينة قبائلي عضوا

الأستاذ المشرف :

أ. د. محمد الحبيب بشاري

الطالبة :

حسينة قادري

السنة الجامعية : 1440 هـ - 1441 هـ / 2018 م - 2019 م

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى كل الأرواح الغالية من

الشهداء و الأولياء

كما أهديه إلى

الأقارب الأعزاء ، زوجي و أولادي

ولكل الأحباب الصادقين الأوفياء

الشكر

أقدم شكري الجزيل للأستاذ المشرف محمد الحبيب بشاري على
متابعته الجدية في جميع خطوات و فصول انجاز هذا العمل .
و أشكر أيضا كل من شجعني من قريب أو من بعيد على مواصلة
البحث و إتمام أطروحتي .

المختصرات

- ISTA : Institut des sciences Techniques de l'Antiquité
- R .philo : Revue philosophique
- R.E.A : Revue des études anciennes
- R.H.R : Revue de l'Histoire des religions
- J.S : Journal des savants
- R.N. philo : Revue numérique philosophique
- C.R.A.I : Comptes rendus de l'Académie des inscriptions et belles lettres

مقدمة

مقدمة

ظل الفكر المغاربي يساهم عبر العصور في بناء صرح الحضارة الإنسانية . و عندما تعرضت بلاد المغرب القديم للاحتلال الروماني ، لم يتوقف ذلك الفكر عن الإنتاج ، بل فرض حضوره عن طريق بروز مفكرين مغاربة الذين ساهموا في إثراء الفكر الحضاري بصفة عامة و اللاتيني بصفة خاصة ، ويعتبر فرونطو نموذجا على ذلك خلال القرن الثاني الميلادي وهو موضوع هذه الرسالة .

تتناول هذه الأطروحة دراسة تاريخية لفكر فرونطو و ماركوس أوريليوس من خلال المراسلات . و تعود بداية العلاقة بين هاتين الشخصيتين عندما كلف الإمبراطور أنطونينوس التقي ، الخطيب فرونطو بتعليم ماركوس أوريليوس وبالأخص البلاغة نظرا لأهميتها في الحياة السياسية ، حيث يتطلب من الإمبراطور و الرجل السياسي بصفة عامة التمكن من تحرير الرسائل الدبلوماسية و إلقاء الخطب أمام مجلس الشيوخ و عامة الشعب .

الدافع القوي الذي جذب انتباهي إلى هذا الموضوع ، عندما كنت أقرأ كتب تاريخ بلاد المغرب القديم ، هو غياب الفكر المغاربي في الكتابات العربية و أما المؤلفات الغربية فقد أشارت إلى بعض المفكرين و غضت البصر عن البعض الآخر ، فقررت دراسة أحد المفكرين المغاربة الذين ساهموا في إثراء الأدب الإنساني بصفة عامة و اللاتيني بصفة خاصة بهدف إبراز الدور المغاربي في البناء و التشييد الحضاري، فوقع اختياري على الخطيب فرونطو لأنه كان معلما بليغا في الخطابة و جديرا بتكوين أمراء و أباطرة الرومان ، لهذا اختاره أنطونينوس التقي ليكون أستاذا لابنيه لوكيوس فيروس و ماركوس أوريليوس ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى خبرتي في

ميدان التعليم قد تساعدني و تؤهلني على دراسة و فهم إستراتيجية التعليم و التعلم التي سار عليها فرونطو باعتباره معلما و مربيا كسائر المربين ، قد تختلف الأنماط و الأهداف من مكان إلى آخر و من زمان إلى آخر إلا أن آداب أداء مهنة التعليم و التربية قد يكون متشابها إلى حد بعيد .

و الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة هل استطاع فرونطو التأثير على فكر ماركوس أوريليوس لصالح سكان المقاطعات الرومانية بما فيها منطقة المغرب ؟
ولحل هذه الإشكالية نجيب أولا عن التساؤلات الآتية :

➤ كيف كانت الظروف العامة التي نشأ و ترعرع فيها كل من فرونطو و ماركوس أوريليوس ؟

➤ ما هي أهم الخصال و المبادئ التي ميزت حياة و شخصية كل واحد منهما ؟

➤ ما هي أهم الأعمال الفكرية التي أنجزها و تركها هذان المفكران ؟

➤ هل لفرونطو و ماركوس أوريليوس توجه فكري واحد ؟ إذا كان ذلك ما هي

دوافع هذا التوجه ؟ و إذا اختلفت الاتجاهات ، لماذا هذا الاختلاف ؟ وكيف

كان موقف فرونطو من اتجاه تلميذه ماركوس أوريليوس ؟

➤ كيف كان فرونطو يعلم ماركوس أوريليوس ؟ و ما هي الأهداف و الغايات التي

سطرها في إستراتيجيته التعليمية التعليمية ؟

➤ هل لفرونطو و ماركوس أوريليوس دور في إثراء الفكر الروماني ، إذا كان

ذلك ، ما هي مظاهره و مجالاته ؟

للإجابة على هذه التساؤلات نظمنا دراستنا بوضع خطة عمل تضم ستة

فصول . تناولنا في الفصل الأول حياة فرونطو و أهم أعماله و الظروف

التي نشأ فيها لما لها من تأثير على فكره و توجهاته ، علما أن المحيط الذي ترعرع فيه هذا الخطيب خاضع للسيطرة الرومانية ، مما أدى إلى حدوث اضطرابات و ثورات في بلاد المغرب القديم وبالتالي انعدام الاستقرار السياسي في المنطقة . و في هذا الحين تقلد فرونطو مناصب سياسية من خازن مالي ونائب العامة ثم بريتورا بروما ، إذن من الطبيعي جدا تكون لديه مواقف سياسية بحكم انتمائه إلى هذه البلاد حيث صرح في مراسلاته بتعلقه الشديد بوطنه الأم . و بينا من خلال تلك المواقف أهم مبادئه و خصاله . ثم انتقلنا إلى انجازاته الفكرية التي تتمحور في الغالب حول المراسلات و أنواعها .

نتناولنا في الفصل الثاني حياة ماركوس أوريليوس من باب المقارنة مع أستاذه فرونطو ، و تعرفنا على نشأته و أهم الخصال و المبادئ التي ميزت حياته و شخصيته وكذلك أعماله الفكرية .

أما الفصل الثالث فخصصناه لتحليل الإستراتيجية التعليمية التي سار عليها فرونطو خلال مساره التعليمي التعليمي مع تلميذه ماركوس أوريليوس ، علما أن الأساس الذي أقيمت عليه علاقتهما هو التعليم و التربية حين كلف الإمبراطور أنطونينوس التقي المعلم فرونطو بتكوين الأميرين لوكيوس فيروس و ماركوس أوريليوس . و من هذا الجانب يستوجب البحث و التعرف على الأهداف و الغايات المسطرة في تلك الإستراتيجية ، لأن ذلك يعتبر أمرا مهما في ميدان التعليم حيث يساعد على الكشف عن الاتجاهات الفكرية لكل من المعلم و المتعلم ، و هذا ما جعلنا نبحت عن هذه الجوانب في الفصلين الرابع و الخامس .

خصصنا الفصل الرابع لدراسة الاتجاه الفكري لماركوس أوريليوس و موقف فرونتو منه ، وكشفنا خلاله عن حقيقة ميول ماركوس أوريليوس و مبادئ فلسفته حيث كان توجهه بعيدا عن واقعه و عن المهمة التي كلف بها أستاذه . و تعرفنا في المبحث الثاني على الخطوات التي اتخذها فرونتو تجاه تلميذه و مدى تحقيقه للأهداف المسطرة من قبل .

أما الفصل الخامس فقد تناولنا فيه أبعاد فكر فرونتو و ماركوس أوريليوس. ودرسنا في المبحث الأول البعد السياسي و الإصلاحى في فكر فرونتو و أهم الدوافع التي وجهته إلى تبني هذا الاتجاه . و في المبحث الثاني وضحنا أركان عقيدة ماركوس أوريليوس و كشفنا عن عمق الإيمان بها .

بيننا في الفصل السادس و الأخير دور فرونتو و ماركوس أوريليوس في إثراء الفكر الروماني في عدة مجالات لا سيما في مجال التعليم و الأدب و كذلك المجال السياسي . و توقفنا عند أهم محطات الإثراء و أثره في خلق تصور جديد لمفهوم الدولة و المواطنة .

اتبعنا في هذه الدراسة المنهج التاريخي و الاستنتاجي ، لأن أغلب الحقائق استنبطناها من خلال تحليلنا للمراسلات التي كانت بين فرونتو و ماركوس أوريليوس ، إلى جانب بعض المعلومات التي جمعناها من المصادر التاريخية التي أشار إليها فرونتو في مراسلاته في إطار دروس التاريخ .

و فيما يخص الجيوبلوجرافيا فان المصادر لم تتحدث كما ينبغي عن الخطيب فرونتو حيث تشير فقط أنه من أبرز خطباء القرن الثاني الميلادي و أنه تجمعته علاقة قوية مع ماركوس أوريليوس و ذلك في إطار الكلام عن حياة هذا الأخير ضمن تاريخ أباطرة الرومان . و الجدير بالذكر أن كل المصادر التي تناولت هذه الفترة هي

مصادر لاتينية و إغريقية التي تكتب فقط عن تاريخ روما أو الإغريق ، هذا ما يدل على تهميش الفكر المغاربي في هذه الكتابات رغم أنها تعترف بكفاءة فرونطو في البلاغة و الخطابة إلا أنها قليلة الاهتمام بكتابة تاريخ الشخصيات غير الرومانية أو الإغريقية ، أي أنها لا تهتم بكتابة تاريخ الشعوب الأخرى . و في هذا الظرف اعتمدنا كثيرا على المراسلات واستنبطنا منها معلومات كثيرة حول حياة فرونطو و مواقفه إلى جانب ما كتبه ماركوس أوريليوس في تأملاته . وبالنسبة لحياة هذا الإمبراطور ركزنا على مصدرين رئيسيين هما : التاريخ الروماني للمؤلف ديون كسيوس (DION CASSIUS) و تاريخ أغسطس للكاتب جوليوس كابيتولينوس (JULIUS CAPITOLINUS) . وفيما يتعلق بهذا الأخير فقد عاش ما بين 300 و 350 م أي في فترة الإمبراطور قسطنطينوس (272م - 337م) الذي كلفه بتكملة ما كتبه المؤرخون السابقون حول تاريخ أباطرة الرومان وبدأ الكاتب جوليوس كابيتولينوس الكتابة من حياة هادريانوس إلى الإمبراطور نوميريانوس (NUMERIANUS) ، و يبدو من خلال كتاباته أنه نقل ما كتبه السابقون دون تحليل أو تمحيص فقد كرر الكثير من المعلومات التي كتبها المؤرخ ديون كسيوس (163 م - 229 م) الذي عاصر فترة حكم الأنطونيين . رغم أنه مدح ماركوس أوريليوس في عدة مواقف لاعتبارات مذهبية و توجهه الرواقي إلا أنه أساء إلى سمعة زوجته فوستين الصغيرة ابنة الإمبراطور أنطونينوس التقي ، حيث كتب أنها تأمرت مع القائد كسيوس في قضية محاولة قتل ماركوس أوريليوس للاستئثار بالحكم بالزواج منه خوفا من أن يفلت الأمر من يدها لأن ابنها مازال صغيرا . و هذا الاتهام نقله جوليوس كابيتولينوس عند حديثه عن حياة ماركوس أوريليوس . لكن هذا الأخير برأ زوجته في تأملاته و اعترف أنها مخلصه و مطيعة له .

و هذا التصريح اتخذته الدراسات التاريخية الحديثة كدليل لنقد ما كتبه المصادر القديمة في حق ماركوس أوريليوس و زوجته فوستين .
أما المراجع فهي الأخرى شحيحة و لم تهتم بكتابة حياة فرونطو باستثناء "
بول مونصو" (PAUL MONCEAUX) الذي أشار إليه في إطار حديثه عن
المفكرين الأفارقة في هاذين الكتابين :

" Les auteurs Latins d'Afrique "

" الكتاب اللاتينيون الأفارقة "

و

" Les Africains – études sur la Littérature Latine d'Afrique "

" الأفارقة – دراسة حول الأدب اللاتيني الإفريقي "

في الكتاب الأول أشار مونصو إلى الدور الكبير الذي لعبه المفكرون الأفارقة في الأدب اللاتيني بما فيهم الخطيب فرونطو حيث خصص له الجزء الثالث . لكن في الكتاب الثاني أساء إلى الفكر المغاربي بصفة عامة و إلى فرونطو بصفة خاصة فعمد إلى كتابة ما يلي :

« On s'accordait à considérer FRONTON comme une des gloires des lettres Latines ,
comme un autre CICERON . Son œuvre , en somme , est intéressante , quoique médiocre , il tient malgré tout , une place importante dans le développement de la littérature Africaine »

" نتفق على اعتبار فرونطو أحد أمجاد الأدب اللاتيني كشيخرون آخر ،
عمله بصفة عامة مهم رغم رداءته ، رغم ذلك يحتل مكانة مهمة في تطور الأدب الإفريقي " .

في الواقع ، كان هدف مونسو من هذه الإساءة هو تبرير الاحتلال الفرنسي للجزائر ، لأن هذا الكتاب ألفه في الفترة الاستعمارية وبالتحديد سنة 1894 م و أراد أن يبين من خلاله أن الوجود الفرنسي في بلاد المغرب كان لأجل نشر الحضارة ، و بالتالي سار مونسو على أفكار نظرية العجز الأبدي التي طالما غيبت الدور الحضاري لهذه المنطقة . لكن هذه النظرية واجهت نقدا قويا من قبل الكاتب البولوني طادوزي جوستانسكي (TADEUSY . GOSTYNSKI) في كتابه :

" Au sommet de la pensée humaine – la littérature de l’Afrique du Nord

" في قمة الفكر الإنساني - أدب إفريقيا الشمالية "

لقد برهن هذا الكاتب على قدم الحضارة الليبية و أبعد كل الصفات الهمجية التي ألحقها بها الاستعمار في القديم و الحديث لبلاد المغرب و سكانها، و اعترف بدور المفكرين الأفارقة في إثراء الفكر الإنساني حيث قال :

"Grace à tout ces écrivain , la littérature Libyque atteint le sommet de la pensée

humaine "

" بفضل كل هؤلاء الكتاب (المفكرون الأفارقة) ، وصل الأدب الليبي إلى قمة الفكر الإنساني " .

و في النهاية ختمنا الأطروحة بمجموعة من الاستنتاجات و فهرس الأعلام و الأماكن ، إلى جانب الملاحق التي نقلنا فيها بعض النصوص اللاتينية وتلتها قائمة البيبلوغرافيا .

الفصل الأول

حياة و أعمال فرونطو

أولا : حياة فرونطو

ثانيا : أعمال فرونطو

أولاً : حياة فرونطو :

1- التعريف بفرونطو :

فرونطو (FRONTON) خطيب لاتيني من أصول نوميديّة، اسمه الكامل هو ماركوس كورنيليوس فرونطو (MARCUS CORNILIUS FRONTON) . ولد حوالي سنة 100 م بمدينة كيرتا (Cirta) عاصمة النوميديين¹ مع بداية حكم الإمبراطور تراجانوس (TRAJANUS) . ينحدر من عائلة شريفة استطاعت أن توفر له كل الإمكانيات المطلوبة و اللازمة لتربيته و تعليمه، قد تكون عائلة مرومنة نظرا للظروف السياسية التي آلت إليها بلاد المغرب القديم في ظل سياسة الاحتلال الروماني وتحول المنطقة إلى مقاطعات رومانية .

قضى السنوات الأولى من طفولته في نوميديا أين احتفظ بأجمل ذكريات حياته خاصة مع أصدقائه . هذه الذكريات ظلت راسخة في ذهنه ، و قد عبر عن تعلقه بوطنه في رسالة إلى فوستين (FAUSTINE) زوجة الإمبراطور أنطونينوس التقي (ANTONINUS LE PIEUX) حيث أكد فيها أنه ليبي² . و عندما كان يتحدث عن نوميديا يذكرها باسم " وطني " ³ ، كان يدافع كثيرا عن سكانها وصرح بذلك للحكام المحليين وقادة الفرق المساعدة قائلا لهم : " أتمنى رؤية الأمن في وطني و المزيد من الدفاع عنه " ⁴ ، هذا التصريح يدل على قلة الأمن و الاستقرار في هذه المقاطعة بسبب الثورات و نشوب الاضطرابات

¹ MARIE CHAUDE L'HUILLIER , FRONTON et ses amis , l'orateur dans la cité, collection. ISTA.

Volume.850,N.1,2002,pp.293 – 306.

² PAUL MONCEAUX, les auteurs latins d'Afrique, chapitre III,1894,p.92

³ Ibid,p.81

⁴ FRONTON , lettre X , aux triumvirs , et aux décurions , trad. ARMAND CASSAN , tome second , Paris , 1830 .

ضد الاحتلال الروماني و سياسته ،⁵ لهذا كان فرونطو يتمنى رؤية بلاده تتعم بالاستقرار و الطمأنينة و طلب من الحكام المحليين الدفاع عنها أكثر. اعترافا له بالجميل أقام له السكان نصبا تذكاريا لتشريفه ، نقش عليه اسمه و وظائفه ، وقد عثر على نقيشة في قالمة (Guelma) تحمل معلومات على مساره المهني⁶ . و هذا دليل على وجود تواصل اجتماعي بين فرونطو و سكان نوميديا بحكم الانتماء و المصير المشترك إلى تلك المنطقة .

واصل فرونطو دراسته في قرطاجة ثم أتمها في روما . و من أشهر أساتذته : الفيلسوف أثيمودوت (ATHEMODOTE) و الخطيب ديونيسيوس (DIONYSIUS) . كان كثير الميل إلى الخطابة التي أصبحت حبه الكبير في حياته⁷ ، إذ مكنته من اكتساب بلاغة الدفاع عندما كان يشتغل مهنة المحاماة ، حتى أصبح يعتبر من أحسن خطباء و محامي عصره . تقلد فرونطو عدة مناصب من خازن مالي (questeur) في صقلية (Sicile) ثم نائب العامة (édile de la plèbe) و بريطور (preteur) في روما⁸ .

وقد أختير في عهد أنطونان التقي ليكون معلما للابنين بالتبني ماركوس أوريليوس (MARCUS AURELIUS) و لوكيوس فيروس (LUCIUS VERUS) في حوالي سنة 139م ، و مكافأة له رفعه الإمبراطور إلى منصب القنصل في سنة 142 م .⁹

⁵ شارل أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، محمد مزالي البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1985 ، ص. 182

⁶ PASCALE FLEURY ,l'orateur et le consul – FRONTON conseiller du prince , 2010, p.463

⁷ PAUL MONCEAUX op.cit,p.74

⁸ PASCALE FLEURY , loc.cit ; PAUL MONCEAUX ,loc.cit

⁹ Ibid.

2 - خصال و مبادئ فرونطو:

1 - الكرم و الإخلاص :

أثناء إقامة فرونطو في روما كان كريما إذ فتح بيته لكثير من أقاربه وأصدقائه ، الذين جاءوا من مختلف مناطق العالم الروماني سواء كان ذلك لأجل الدراسة أو العمل ، وخاصة من منطقة المغرب القديم بما فيها نوميديا وطنه الأم ، حيث احتل هذا الأخير مكانة خاصة في وجدانه . لكنه كان يستقبل في منزله الذين يرى فيهم الخصال الحميدة و المحمودة عنده كالصدق و الثقة ، وقد ذكر ذلك في رسالة كتبها لأنطونان التقي يقول فيها :

" ... استقدمت إلى منزلي أقاربي و كل الذين أعرف فيهم الإيمان والصدق ... " ¹⁰ . يفهم من هذا القول أن فرونطو كان يختار الأصدقاء المتقين الذين تبدو فيهم ملامح الثقة و الإيمان و الصدق . فالإنسان الصادق التقي من منظوره هو إنسان أمين يستبعد فيه الغدر و الخيانة ، خاصة عندما يتعلق الأمر بالحياة السياسية و العمل المباشر في مناصب الحكم أين يستوجب أخذ الحذر و الحيطة . و في مثل هذه الظروف لم يكن فرونطو خطيبا فحسب بل كان أيضا رجلا سياسيا تقلد عدة مناصب سياسية ، وله دراية كبيرة بأمر الإمبراطورية و نفوذ النبلاء الذين يكن لهم العداة بسبب حبهم و رعايتهم لمصالحهم على حساب الصالح العام ، وفي هذا الصدد يقول عنه ماركوس أوريليوس:

" تعلمت ، من فرونطو ، أن أخالف كل ما يمكن أن يشعر به الطاغية من غيرة و يكون له النفاق و التحايل ، و كم من الذي نسميهم النبلاء لديهم في الغالب قليلا من الخير و العاطفة في القلب . " ¹¹

يقدم لنا هذا النص صورة عن صفات لبعض النبلاء ذوي النفوذ و السلطة

المطلقة التي لاحظها فرونطو خلال احتكاكه المباشر بالقصر الإمبراطوري

¹⁰ FRONTON , lettre III

¹¹ MARC AURELE ,pensées à moi-même , trad.BARTHELEMY SAINT HILAIRE , PARIS,1876,XI

و مجلس الشيوخ. و تبين له أن هؤلاء لا يعرفون معنى الإنسانية نتيجة سياسة الاستغلال التي انتهجوها.

وفي رسالة أخرى كتب عن إخلاصه للعمل و أكد عن ذلك لأنطونينوس التقي و ذكر فيها : "... أيها الإمبراطور القديس ، لقد قدمت قصارى جهدي ، وقمت كل نشاطي بحماس خلال مهامى القنصلية ، و هذا يشهده الفعل نفسه . " ¹²

هذه الخصال التي اتصف بها فرونطو قريته كثيرا من عائلة أنطونينوس التقي الذي اختاره ليكون معلما و مربيا لابنيه لوكيوس فيروس و ماركس أوريليوس كما أصبح أيضا من الأصدقاء المقربين له ¹³. هذه الصداقة المتميزة سمحت له بالتوسط لدى الإمبراطور لصالح أصدقائه ، و يظهر ذلك في الرسائل التي كتبها ، نذكر بعض ما جاء فيها :

" بطلمي ، رفعت إلى مكانة سامية الفارس الروماني سكتيوس كالبورنيوس (SEXTIUS CALPURNIUS) الوحيد الذي تبغني في مقاطعتي : منحت له مهمتين جديدتين من مهام وكيل الإمبراطور " ¹⁴ . و يضيف في موقع آخر : " سبق ، أن توصلت خلال العامين ، لصالح أبيانوس (APPIANUS) ، صديقي الذي تجمعنا به علاقات قديمة ، و وكان لنا تقريبا نفس العادات اليومية أيام الدراسة ... في أول طلبى لصالح أبيانوس ، تلقيت إجابة بكل طيبة ، و ذلك كان عندي واجب للأمل " ¹⁵ .

يتضح من خلال هذه المراسلات المكانة العالية التي احتلها فرونطو لدى الإمبراطور أنطونينوس التقي الذي استجاب لطلباته في عدة مناسبات لصالح أصدقائه منهم سكتيوس كالبورنيوس الذي ارتقى إلى رتبة سامية ، و كذلك المؤرخ الروماني أبيانوس الذي كتب باللغة الإغريقية كتابا بعنوان

¹²FRONTON , lettre VIII

¹³MARIE CHAUDE L'HUILLIER , loc .cit

¹⁴ FRONTON ,lettre IX

¹⁵ Ibid.

التاريخ الروماني¹⁶ ، حيث توسل فرونطو لصالحه لدى هذا الإمبراطور النقي ، يطلب منه رتبة وكيل الإمبراطور (Procurateur) لصديقه الحميم (أبيانوس) ، و هذا الأخير أشار إلى هذه الوظيفة في مقدمة كتابه بهذا القول :

" من أنا ، أنا مؤلف هذا الكتاب ؟ الكثير يعرف ذلك و سبق أن قلته أنا بالذات . حتى أكون أكثر وضوحا ، أنا أبيان الاسكندري كنت واحدا من وجهاء وطني ، رافعت في الدعاوي القضائية في روما أمام الأباطرة حتى حكموا علي بالاستحقاق أن أكون وكيلهم ، إذا أحد يريد معرفة المزيد ، هناك نص علي في هذا الموضوع "¹⁷ .

رغب أبيانوس كثيرا في رتبة وكيل الإمبراطور ويقول أنه وصل إليها باستحقاق¹⁸ . هذه الرتبة حسب فرونطو ليس من أجل الوصول إلى رتبة سامية ، بل لأن أبيانوس في مرحلة الشيخوخة أراد أن يختمها بعاقبة حسنة و ذكر لأنطونينوس النقي ما يلي : " ... لأن هذا كنوع من الزينة لشيخوخته و ليس من باب الطموح أو الجشع للحصول على هذا الشرف "¹⁹ .

تفرغ أبيانوس خلال فترة شيخوخته لكتابة التاريخ الروماني (Histoire romaine) ،²⁰ إذن رغبته في رتبة وكيل الإمبراطور ليس من أجل الوظيفة بل كما قال فرونطو لزينة شيخوخته²¹ أي حسن العاقبة .

ولم يتوقف فرونطو على التوسط لصالح أبيانوس لدى الإمبراطور بل تلت ذلك عدة طلبات لنفس الغرض وفي ذلك يقول : " في السنة الماضية ، أجبته على رسالتي بكثير من اللطافة و أيضا بروح طيبة . بعد حصول أبيانوس وفقا

¹⁶ JEAN MARIE HANNICK , APPIEN D'ALEXANDRIE (II eme siècle p.c.) ;File://c :users/cilent /DESKTOP/APPIEN D'ALEXANDRIE.

¹⁷ APPIEN d'ALEXANDRIE , histoire romaine , T.3 , préface .15, trad. ALFRED CROISSET , Paris , 1948

¹⁸ Ibid.

¹⁹ FRONTON , lettre IV

²⁰ JEAN -MARIE HANNICK,loc.cit

²¹ FRONTON ,loc.cit

لتمنياتي ، نرى بروز سرب من الطلبات يريد أصحابها نفس الشيء ²² ،
(أنظر الملحق رقم 1ص.381).

كثرة هذه الطلبات تدل على المكانة المتميزة التي تبوأها فرونطو عند الإمبراطور الذي عمل على إرضائه و تلبية رغباته بكل عطف و كذلك على الثقة و الصداقة المتبادلة بينهما و نلتمس ذلك في القول الآتي :

" ... إنها الثقة التي تجمع بك صداقتي ... ²³ .

ب - النزاهة :

إلى جانب الخصال السابقة فالنزاهة كانت حاضرة في كل المواقف التي واجهها فرونطو خاصة مع الأصدقاء و المقربين إليه مثل هيرود أتيكوس (HERODE ATTICUS) الخطيب الإغريقي الكبير خلال القرن الثاني الميلادي ²⁴ و كان هو الآخر يعلم ماركوس أوريليوس و لوكيوس فيروس الخطابة باللغة الإغريقية . كان فرونطو و هيرود أتيكوس صديقين محبوبين لدى تلامذتهما خاصة ماركوس أوريليوس ²⁵ ، لكن سرعان ما تزعزت هذه الصداقة و تحولت إلى عداة عندما خالف هيرود أتيكوس القانون الروماني فيما يخص الوصاية و نفقات عتقاء أبيه و إلينا تفاصيل هذه القضية في الرسالة الآتية :

"إذا كان هيرود رجل طيب و شريف ، فإنه ليس من المناسب أن أضايق مثل هذا الرجل باللوم ، لكنه كان سيئا و غير نزيه والصراع بيني و بينه ليس متساويا ... ²⁶ .

قضية هيرود أتيكوس تعود إلى الثروة الكبيرة التي تركها والده تيبيريوس كلوديوس أتيكوس هيرود (TIBERIUS CLAUDIUS ATTICUS HERODES) عند وفاته ، ووصيته على توزيع خمسة بالمائة من رصيده على المعاشات

²²FRONTON ,lettre IV

²³ Ibid.

²⁴ FRANZE DE CHAMPAGNY , les antonins,T..3,PARIS,1863,p.10

²⁵Ibid.

²⁶ FRONTON ,lettre III

السنوية وفق العرف الإغريقي²⁷ ، لكن هيرود أتيكوس تصرف في هذه الوصية بشكل يجعل الثروة تنمو ، فوزع قيمة خمسة معاشات دفعة واحدة وتوقف عن دفعها سنويا . وبما أن هيرود أتيكوس كان يتمتع بحق المواطنة فليس لديه الحق في التصرف في الوصية و الميراث وفق العرف الإغريقي²⁸ لأن القانون الروماني يمنع ذلك على المواطن الروماني²⁹ . إضافة إلى ذلك قدمت ضده شكاوى لإساءته لعتقاء و عبيد والده³⁰ .

لقد ندد فرونطو بصفته رجل قانون مثل هذه التصرفات و كتب رسالة إلى

ماركوس أوريليوس يقول فيها :

" الحقيقة ، أن هذا الرجل الذي ستحكم أنه نزيه ، وهو تحت حمايتك لو أعرف أن ذلك صحيح ، فكل الآلهة تعاقبني إذا كان لي أن أتجرأ على تجريح أحد أصدقائك بكلمة واحدة ... يجب الحديث عن رجال أحرار ضربوا بوحشية ، وجردوا من كل شيء وحتى فيهم أحد قتل . يجب الحديث عن ابن عاص بغير ذاكرة لصلوات الآباء ، إسماع لوم القسوة و الجشع ، إنها من أحد الجلادين هيرود."³¹ (أنظر الملحق رقم 2ص.283)

من خلال هذه الرسالة ، تظهر صرامة فرونطو في تطبيق القانون و الدفاع عن المظلومين من الغرباء (Pérégrins) ، ويستسمح ماركوس أوريليوس الذي عفا عن أخطاء هيرود أتيكوس³² أستاذه الإغريقي في البلاغة ، أن تكون له جرأة في تجريح أحد أصدقائه ، لكن في نفس الوقت يتذكر عقاب الآلهة ، ولهذا قرر الوقوف إلى جانب الحق و ندد المعاملات الوحشية التي يتلقاها العتقاء . كما تذكر خصمه هيرود أتيكوس في عقوق الوالدين و نسيانه لفضلهم فيقول: " بدون ذاكرة صلوات الآباء " ³³ ، عندما تصرف في الوصية التي تركها له والده .

²⁷ PAUL GRAINDOR ,chapitre V , le Caire . imprimerie MISR , 1930

²⁸ Ibid.

²⁹ Ibid.

³⁰ Ibid.

³¹ FRONTON , lettre III

³² PAUL GRAINDOR , loc.cit

³³ FRONTON , lettre III

حاول ماركوس أوريليوس التوفيق بين معلميه اللذين يكن لهما الحب و الاحترام و إعادة الصداقة القديمة بينهما . و تبدو الغيرة بين فرونطو و هيرود أتيكوس لأنهما خطيبين بارزين خلال القرن الثاني الميلادي³⁴ .

لم يتوقف فرونطو في الدفاع عن الضعفاء من البشر فحسب ، بل دافع أيضا عن الحيوانات التي أساء الإنسان معاملتها حتى و لو كان الأمر ضد أقاربه وأصدقائه ، خير مثال على ذلك قضية صديقه نيجر سونصوريوس* (NIGER CENSORIUS) ، و إلينا ما يشير إلى ذلك في الرسالة الآتية :

" أيها الإمبراطور ، كنت أتمنى أن يحدث ، أن أصدقاءنا و أقرابنا يعملون كل شيء بطريقتنا ، سيكون هذا أميئتي الأولى ، أو على الأقل دون العمل بطريقتنا، أن يتبعوا نصائحنا ! لكن و بما أن كل واحد يسير حياته على طريق طبيعته الخاصة ، أتأسف بمرارة ، أعترف بذلك أن صديقي نيجر سونصوريوس لم يكن متواضعا في كلماته التي ضمننتها وصيته . سأكون رجلا غير أمين إذا أردت الدفاع عن هذا الفعل لمحو العار و صديقا ناكرا للجميل إذا لم أحاول التخفيف عن ذلك بالبحاحي ... لكن مهما بلغ حبا له ، جرح أغلب الحيوانات ، التي رفضت لها الطبيعة القدرة على تربية صغارها ، أصيبت بجروح في أسنانها و أظافرها، نيته ليست الشراسة ، لكن سوء تصرف . بالنسبة لي أشهد على ذلك أمام آلهة السماء و الجحيم ، و الإيمان الغامض للصداقة الإنسانية . حول هذه الأسرار التي لا نريد إخفاءها بيننا ، و التي لا نظن أنها تستوجب علينا رفضها أبدا التي تخرج من الفؤاد ، الآلهة الصالحة تعرف ذلك..."³⁵ . (أنظر الملحق رقم 3 ، ص 284).

³⁴FRANZE DE CHAMPAGNY , loc.cit

* نيجر سونصوريوس : صديق فرونطو ووكيل الإمبراطور في مقاطعة نوريك (Norique) جنوب نهر الدانوب ثم عين في حوالي سنة 122 م على مقاطعة موريطانيا الطنجية ، المزيد من المعلومات أنظر :

THROUVENOT RYMOND , C.R. A. I et belles lettres , 1942, volume 86/N .4, pp.171-179

³⁵FRONTON , lettre .III

الأخطاء التي ارتكبها صديق فرونطو مخالفة للقانون الروماني ، الذي يقتضي على أن كل خطأ يسبب ضرراً للغير يلزم التعويض على من ارتكبه³⁶ . و أفعال نيجر سونصوريوس تدخل ضمن الجرائم الخاصة بما فيها جريمة الاعتداء³⁷ . و أمام هذه الاعتداءات على الحيوانات ، رفض فرونطو الوقوف إلى ما كان يرغب فيه صديقه نيجر سونصوريوس من قضية تمرير و تقنين وصيته دون حساب و تعويض ، كما ندد بكل أسف على مثل تلك التصرفات ، و أقسم أن يكون إلى جانب الحق بقوله : " أشهد آلهة السماء"³⁸ .

بهذه النزاهة اكتسب فرونطو سمعة طيبة و شهرة كبيرة في المحاكم بقوة حججه و بلاغته . كما قدم أيضا مرافعات سياسية أمام مجلس الشيوخ حول البيثيين* (Bithyniens) و سكان بتوليمياس* (Ptolémias) بفينيقيا وكذلك القرطاجيين³⁹ .

ج- الطيبة :

رغم صرامة فرونطو في تطبيق القانون إلا أنه رقيق العواطف ، و من أهم الأقوال الدالة على ذلك ما كتبه لماركوس أوريليوس في عدة مراسلاته منها : " انه بالحب الشغوف أرضي نفسي و لا أستطع باللغة المعتادة التعبير عن رحابة قلبي "⁴⁰ . وقال أيضا : " ما هو أكثر حلاوة بالنسبة لي من قبلتك ؟ هذا العطر الحلو هذه الفاكهة ، إنهم على رقبتك ، في قبلتك يقيمون بالنسبة لي "⁴¹ . " ... و هكذا ، بالنسبة لنا ، بقدر ما يحزننا الغياب ، تسعدنا

³⁶ CHARLES VICTOR DAREMBERG et EDMOND SAGLION , encyclopédie des antiquités Grecque et Romain, Paris ,1877 , <http://ency.Grecque – Romain / les lois des douze tables>

³⁷ www.elearn.univ.biskra.dz/File.php/29/pdf

³⁸ FRONTON , lettre III

* البيثيون : سكان مقاطعة بثنيا بأسيا الصغرى الواقعة في جنوب شرق البحر الأسود ، المزيد من المعلومات أنظر : www.universalis.fr/encyclopedie/bithynie

³⁹ PAUL MONCEAUX , les Africains - études sur la littérature latine d'Afrique , PARIS ,1894,p.23

* بتوليمياس : احدى المدن الفينيقية أصبحت تعرف بهذا الاسم (بتوليمياس) في عهد البطالمة . المزيد من المعلومات أنظر :

M.MENTELLE , Encyclopedie méthodique – géographie ancienne , tome seconde ,Paris,p.615

⁴⁰ FRONTON , lettre XIII

⁴¹ Ibid.

الرغبة القوية . لأن الرغبة تولد من الحب ، و هكذا حبك تطور مع الرغبة ، ما هو موجود في الصداقة أفضل من كل شيء.⁴²

" بينت لي التجارب المعقدة و الجدية و البسيطة ، كم أنا أحبك . سأوضح لك ببساطة نوع التجارب البسيطة : أحيانا إذا كنت مقيدا بالنوم كما يقول الشاعر أراك في المنام ، و أنا أقبلك و أعانقك " ⁴³ . (أنظر الملحق رقم 4. ص.286)

عبر فرونطو عن مشاعره و حبه الكبير لماركوس أوريليوس باستعمال كلمات ذات وزن في البلاغة خاصة في أوقات البعد و الغياب ، فأدخل مختلف أنواع الصور البيانية المعبرة عن شوقه إليه ، فشبّه حبه لماركوس أوريليوس بعدة تجارب (المعقدة، الصعبة و البسيطة) و التي لها نتيجة واحدة وهي ببساطة "حبه الكبير لماركوس أوريليوس" ، وهذه المشاعر حقيقة يشهد عليها ماركوس أوريليوس في رسالة كتبها لفرونطو يقول فيها : " تعلمت منك أن أقول الحقيقة ، الحقيقة ، هذا مرجان الآلهة و الرجال . " ⁴⁴

ولماركوس أوريليوس شهادات أخرى على خصال فرونطو ، و من أقواله على ذلك : "ماذا أضيف ، إذا لم يكن لدي إلا الحق لأحبك ؟ لكن ماذا أقول ، الحق ! آه ! يرضي الآلهة ، إن استطعت أن أحبك حسب قدرك ! و هذا يفاجئني أحيانا أن أكون غاضبا منك ، رغم أنك غائب و غير مذنب بما تقوم به و أنني لا أستطيع أن أحبك كما أريد أي قلبي لا يستطيع اتباع حبك في المكانة التي وضع فيها ."⁴⁵

عبر ماركوس أوريليوس عن قلب فرونطو الكبير و أنه لا يمكن الوصول إلى مكانته لأنها عالية . و في رسالة أخرى يذكر أنه متعلق به كثيرا و يكتب له ما يلي : " أحب كل من يحبك ، أحب الآلهة التي تحميك ، أحب الحياة

⁴²FRONTON, lettre IX

⁴³ Ibid, lettre XII

⁴⁴ MARC AURELE , A . M . C . FRONTON , lettre XIII , œuvre numérisée et mise en page par THIERRY VEBRE, livre troisième .

⁴⁵Ibid, lettre II

بسببك أحب الرسائل معك . مع أصدقائك ، مسكر بجبك .⁴⁶
 و في كثير من الأحيان يشير ماركوس أوريليوس إلى طيبة فرونطو عندما يودعه في
 نهاية المراسلة و يقول له : " و دعا ، معلمي الطيب جدا و الفاضل جدا .
 سيادتي تحييك ⁴⁷ ."

د- التقوى :

إذا بحثنا عن مصدر نزاهة فرونطو و عدالته في مختلف مواقفه ، فإننا نجدها
 في إيمانه و خشيته للآلهة ، لذلك كان تقيا صادقا في أقواله و أعماله . لقد ملأ
 الإيمان قلب فرونطو و كادت مراسلاته لا تخلو من ذكر الآلهة ، و إلينا بعض
 الشواهد من أقواله على ذلك موجهة إلى ماركوس أوريليوس :
 " كل شيء بالنسبة لنا جميل عندما تقدم لنا تمنيات . و في الواقع لا أحد يستحق
 أكثر منك أن ينال من الآلهة ما يطلب منها . لكن رغم ذلك صليت لأجلك ،
 و لا أحد يستحق الكثير إلا بعد الصلاة التامة " ⁴⁸ .
 " الآلهة تقدم اليد ، و تكون مؤتية ... " ⁴⁹
 " عندما ، تعود إلى روما ، بحمد الله ، أطلب منك أيضا ، أبياتا شعرية كل
 يوم ... " ⁵⁰ . هذه الأبيات الشعرية التي يتحدث عنها فرونطو تدخل في إطار
 عملية تعليم ماركوس أوريليوس الخطابة و يأتي شرحها في الفصل الثاني.

3 - ظروف نشأة فرونطو :

1 - الظروف السياسية و الأمنية:

نشأ فرونطو في ظروف سياسية سادها التوتر و تجدد الثورات الشعبية ضد
 سياسة الاحتلال الروماني الرامية إلى اغتصاب الأرض و استعباد السكان . فقد

⁴⁶ MARC AURELE op.cit ,lettre I

⁴⁷ Ibid , lettre XIII

⁴⁸ FRONTON , lettre , X

⁴⁹ Ibid , lettre XVI

⁵⁰ FRONTON, lettre XI

عاش في الفترة الممتدة ما بين 100م - 175م ، أي الفترة التي امتد التوسع الروماني في المناطق الداخلية ومد الليمس إلى جنوب الأوراس و بالتالي تطويق المنطقة من جهة الجنوب بعد التحكم في السيطرة عليها شمالا بواسطة الحصون و المراكز العسكرية و الطرق المقامة على سفوحها الشمالية⁵¹ . أقام الإمبراطور تراجانوس في بداية القرن الثاني الميلادي مرتكزات الليمس النوميدي أو ما يسمى بالليمس الأوسط و عمل على توسيع السيطرة الرومانية حيث أمر بإنشاء حزام أمني مشكل من التحصينات و المراكز العسكرية⁵² . و بإنشاء هذه الحصون يكون الرومان قد عملوا على بسط سيطرتهم و توسيعها جنوبا⁵³ . و قد زاد تراجانوس من مناعة و متانة المواقع و فعاليتها الدفاعية بشق طريق يربط بينها انطلاقا من قفصة بتونس وصولا إلى بسكرة ، و ربط ذلك الطريق بعدة طرق فرعية من أجل إحكام السيطرة و تطويق الأوراس بإحاطته شمالا و جنوبا بحزام أمني منيع⁵⁴ . كما قام أيضا هذا الإمبراطور بنقل معسكر الكتبية الثالثة الأغسطسية من تبسة إلى لمباز الواقعة على بعد 170 كلم من غربي تبسة⁵⁵ ، و يدل ذلك على الحرص الشديد في مراقبة قبائل الأوراس غير المنقادة⁵⁶ ، التي رفضت التنازل عن أراضيها .

وقد تم تدعيم الجيش الروماني في لمباز بإنشاء عدة مستوطنات لقدماء جيش الفيلق الثالث الأغسطسي* حول لمباز و ما يجاورها⁵⁷ . و في عهد الإمبراطور هادريانوس (HADRIANUS) توطد فيه الوجود الروماني و بلغ الليمس سنة 126 م

⁵¹ جمال مسرحي ، المقاومة النوميديّة للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري " ثورات الأوراس و التخوم الصحراوية

نموذجاً " ، مذكرة الماجستير في التاريخ القديم ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2009 ، ص.139

⁵² نفسه .

⁵³ نفسه .

⁵⁴ نفسه ، ص. 140

⁵⁵ شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص.186

⁵⁶ نفسه .

*الفيلق الثالث الأغسطسي : جيش روماني بالمغرب القديم ، مقر قاعدته في البداية "حيدرة" ثم انتقلت إلى تبسة و منها إلى لمباز ، المزيد من المعلومات أنظر :

YANN LE BOHEC , la troisième légion Auguste ,Paris , 1989 , p.35

⁵⁷ جمال مسرحي ، المرجع السابق .

جنوب واد جدي⁵⁸ ، و أظهر بناء معسكر رابدوم* (Rapidum) عزم الرومان على مراقبة التخوم المورية مراقبة فعالة⁵⁹ .

لا شك أن شق تلك الطرق و إقامة الحصون و الحواجز بين الشمال و الجنوب يتطلب قوة عسكرية كبيرة لحماية الأراضي المحتلة ، ولم يكن لروما من قوة سوى جيش قليل العدد في البروقنصلية و نوميديا حوالي 5500 جندي بالإضافة إلى عدد آخر من الإضافيين المشاة و الفرسان تقريبا 1300 جندي⁶⁰ . و كان على القبائل أن تجند عند الحاجة ، و يشترط على من يريد الانخراط في الكتائب أن يكون مواطنا كما هو الأمر في بقية الإمبراطورية⁶¹ ، إلا أن الإمبراطور كان يسند هذا اللقب إلى من يتطوع حال دخوله في الحياة العسكرية⁶² . و لتسهيل عملية الانخراط عمدت روما إلى تجنيد أبناء الجند الذين شبوا على الطاعة و النظام في المعسكرات . و في نهاية القرن الثاني الميلادي أصبح أبناء جند فيلق لمباز بعد انخراطهم في الجندية و تسوية وضعيتهم القانونية يزودون الجيش الروماني بعدد متزايد من العناصر الجديدة⁶³ . كانت مهام الجنود مزدوجة عسكرية و مدنية ، فأما الأولى فتتمثل في إقامة المنشآت العسكرية المختلفة كالمراكز و الحصون بالإضافة إلى التصدي لكل ما يهدد المصالح الرومانية . أما المهام المدنية فتشمل فتح الطرقات و بناء الجسور و رفع قنوات المياه و غيرها من الانجازات العمرانية الأخرى⁶⁴ .

تحصل بعض أهالي الولايات الإفريقية على حقوق المواطنة الرومانية عن طريق التجنيد الإجباري أو الاختياري⁶⁵ ، و بقي البعض الآخر الراض لسياسة الرومنة يقاوم و يعرقل الزحف الروماني ، معبرا بطريقته على غضبه و رفضه للاحتلال⁶⁶ ،

⁵⁸ جمال مسرحي ، المرجع السابق .

*رابدوم : تقع في الجنوب الشرقي لولاية المدية ، وتعرف حاليا باسم " جواب " (Djouab) ، المزيد من المعلومات ، أنظر :
www.radioalgerie.dz, Rapidum , l'un des sites archéologiques les plus importants du Magreb,
28/12/2016, 10h-18

⁵⁹ جمال مسرحي ، المرجع السابق ..

⁶⁰ شارل أندري جوليان ، المرجع السابق ، ص.200

⁶¹ نفسه .

⁶² نفسه .

⁶³ نفسه .

⁶⁴ شافية شارن ، بلقاسم رحماني ، محمد الحبيب بشاري ، الاحتلال الاستيطاني و سياسة الرومنة ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، 2007 ، ص.138

⁶⁵ نفسه .

⁶⁶ نفسه .

و ظلت الثورات الوطنية متجددة و متعاقبة واحدة تلو الأخرى⁶⁷ ، و انعدم الاستقرار في بلاد المغرب بصفة عامة و نوميديا بصفة خاصة.

سواء أكان التجنيد إجباريا أو اختياريا ، لا شك أن روما بعد هيكله جيوشها ، اختارت العناصر المواثية لكل تخصص و المدة الزمنية التي يتطلبها . لكن مهما كانت الرتبة التي يتحصل عليها المجندون ، و التي تختلف باختلاف مهامهم العسكرية ، لم يستفد المجندون الأفارقة من حقوق المواطنة الرومانية إلا بعد قضاء المدة المحددة كاملة و كذلك أداء جميع الواجبات كما ينبغي . و بعبارة أخرى أن انخراط الأهالي في الجيش الروماني كان قائما على جملة من الواجبات القاسية مقابل حقوق مجففة أهمها حقوق المواطنة الرومانية⁶⁸ .

و هذه هي الظروف السياسية و الأمنية التي ترعرع فيها فرونطو و قد لحقت بأهله الرومنة إما بطريقة اختيارية ، واستطاعت بذلك تعليمه وإرساله إلى مدارس روما لمواصلة الدراسات العليا في القانون و الخطابة و البلاغة على يد معلمين متخصصين . لأن التعليم عند الرومان آنذاك كان يمر بمراحل وفق نمو عقل الطفل من مرحلة تعلم الكتابة و القراءة إلى مرحلة دراسة أنواع العلوم من تاريخ و فلسفة و هندسة و الموسيقى و غيرها ، ثم ينتقل الطالب في المرحلة الثالثة لتلقي المزيد من المعرفة على يد معلمي الخطابة و البلاغة⁶⁹ . الجدير بالذكر أن تعليم الأطفال قائم على قدر ثراء أوليائهم ، و كانت العائلات الثرية تسخر واحدا من الرقيق لمصاحبة أبنائها إلى المدرسة و الاعتناء بهم⁷⁰ .

من خلال هذا التوضيح يمكن لنا القول أن فرونطو كان ينتمي إلى العائلات الثرية التي تمكنت من الوصول إلى المناصب الشرفية بعد أداء واجباتها تجاه الخدمة العسكرية الرومانية ، و بالتالي حظي بالامتيازات واكتساب حق المواطنة

⁶⁷ شارل أندري جوليان ، المرجع السابق .

⁶⁸ شافية شارن ، بلقاسم رحماني ، محمد الحبيب بشاري ، المرجع السابق ، ص.140

⁶⁹ شوكت جميل ، دراسات و أبحاث في التاريخ و التراث و اللغات - حياة الرومان و نظام التعليم ، الحوار المتمدن ، 24 /4/ 2014 ،
http : m.ahewar.

⁷⁰ شوكت جميل ، المرجع السابق .

التي فتحت له الأبواب للتعلم والارتقاء إلى مصف الأشراف فضلا عن جهوده الخاصة التي مكنته من تحقيق مكانة عالية في الخطابة و البلاغة . لأن بعد تخرج فرونطو من مدارس روما و تكون تكويننا ممتازا ارتقى إلى المناصب السامية . لكنه و مع ذلك لم ينس أن بلاده قد احتلتها الطغاة ، و بذلك ربطه شعور الانتماء إلى بلاد ليبيا . و ما كان تصريح فرونطو لفوستين زوجة الإمبراطور أنطونينوس أنه نوميدي⁷¹ إلا دليل قويا على عمق هذا الشعور . وظل يدافع عن المستضعفين شرق و غرب الإمبراطورية الرومانية لأنهم تعرضوا إلى نفس المصير الذي فرضه الاحتلال الروماني على جميع المقاطعات ، بما في ذلك وطنه الأم (نوميديا) الذي زادت أوضاعه سوءا بسبب سياسة النهب و الاستغلال التي مارسها النبلاء الرومان ، و الذين وصفهم بالطغاة و بلا رحمة في القلوب⁷² . و كان يتمنى أن يعهد إليه إدارة ولاية افريقية، لكنه تقاجاً بتعيينه على مقاطعة سوريا⁷³ . إذن أكيد من أجل الدفاع عنها و عن مصالح سكانها ، و ذلك ما كان مجلس الشيوخ يتجنبه .

ب - الظروف الصحية :

إلتمسنا من خلال مراسلات فرونطو أنه كان يعاني كثيرا من سوء ظروفه الصحية ، وقد اعتذر عدة مرات عن عدم حضوره لبعض المناسبات ، و من أمثلة على ذل ما كتبه للإمبراطور انطونينوس التقي بمناسبة ذكرى توليه الحكم ، يذكر له :

" أقدم بفرح نصف حياتي من أجل أن أعانقك في هذا اليوم ذكرى توليكم حكم الإمبراطورية ، يوم جد سعيد و جد مرغوب الذي أراه كالיום الأول من خلاصي ، من مجدي ، من سلامتي . لكن ألم شديد في الكتف و ألم أشد

⁷¹ PAUL MONCEAUX , op.cit ,p.92

⁷² MARC AURELE , pensées à moi-même ,XI

⁷³ PAUL MONCEAUX , OP.cit,p.64

منه في الرقبة حتى أنني لا أستطيع الانحناء و لا القيام ، و لا أن أدور، إنني لا أتحرك .⁷⁴

ويواصل فرونطو في رسالته ويذكر:

" لكن وجهت أعمالي و تمنياتي لآلهتي حامية العائلات و المدينة و لآلهة المنازل ، طلبت منها ، بصلواتي ، القدرة ، العام القادم في مثل هذا اليوم أن أعانقك مرتين ، أقبل يديك مرتين ، و أدفع هكذا دين الماضي و الحاضر .⁷⁵

هذه الرسالة كتبها فرونطو بمناسبة ذكرى تولي الإمبراطور أنطونينوس التقي الحكم و قدم له التهاني و كان يود أن يتقدم إليه و يعانقه و يحييه ، لكن لم تسمح له ظروفه الصحية بذلك ، و كان في حالة ألم شديد في كتفه و رقبتة . رغم ذلك توسل ودعا إلى الآلهة أن تشفيه حتى يكون قادرا في العام القادم القيام في مثل ذلك اليوم ليعوض فرحة هذه الذكرى . و كان جواب الإمبراطور أنطونينوس التقي ما يلي :

" عرفت من خلال التجربة كل الصدق في عواطفك تجاهي ، لم أشعر بالمضايقة حتى أقنتع عزيزي فرونطو ، تمنيت لو احتفلت حقا بروح دينية في اليوم الذي أعجب الآلهة لتعهد لي هذا المنصب ، ... " ⁷⁶

مرة أخرى نجد شهادة من الإمبراطور على ما اتصف به فرونطو من صدق و إيمان ، و ذلك من خلال التجربة التي أخذها من السيرة الذاتية لهذا الخطيب الذي تميزت حياته العملية كما رأيناها من قبل بالاخلاص و النزاهة و الإحسان و رقة العواطف و كل الخصال التي تقربه إلى الآلهة و إلى العائلة الأنطونية التقية .

⁷⁴FRONTON ,, lettre V

⁷⁵ Ibid.

⁷⁶ ANTONINUS PIUS , lettre VI ,trad . ARMAND CASSAN , op.cit

ودائما في موضوع صحة فرونطو ، طلب أيضا ماركوس أوريليوس من معلمه الاعتناء براحته و يكتب له هذه الرسالة :

" عندما ترتاح و تعمل كل ما يناسب لصحتك ، إذن بهذا تجعلني سعيدا .
افعل ما يريحك و يرضيك . رأيي إذن أحسن ما تفعله أن تقدم عنايتك لشفاء
ذراعيك " ⁷⁷ .

توسل ماركوس أوريليوس الآلهة ليشفى فرونطو قائلا :

" ... أتوسل إذن لكل الآلهة ، التي عبر العالم ، أن تفيض على الرجال
راحتها و التأثير المرئي ، الآلهة الحارسة و القوية ، آلهة الأحلام ،
الأسرار ، الطب ، الوحي . أستدعي كل واحدة من هذه الآلهة بدورها
و حسب طبيعة أمنيته ⁷⁸ ، أنتقل عبر فكري حتى المكان أين يوجد الإله
المكرس لموضوع دعائي ليستطيع أن يسمعني بأكثر سهولة . أولا أصعد
إلى قلعة بارقاما* (Pergame) ، هناك أتوسل اكسولاببيوس** (AESCULAPIUS) أن
يحافظ بعناية على صحة معلمي و يجعله تحت حمايته الفعالة . " ⁷⁹ (أنظر
الملحق رقم 5 ، ص.287) .

حب ماركوس أوريليوس الكبير تجاه معلمه فرونطو جعله يتوسل و يدعو كل
آلهة العالم بما فيها الإله اكسولاببيوس ⁸⁰ الذي يقيم في قلعة بارقاما ⁸¹ ،
أن ينزل الراحة و الشفاء على فرونطو و يجعله تحت حمايته و عنايته .

⁷⁷ MARC AURELE , lettre VII

⁷⁸ Ibid, lettre IX

* بارقاما : تقع بآسيا الصغرى/ مقاطعة أزمير/ ، المزيد من المعلومات أنظر :
www.Encyclopedie // books.google.dz

** اكسولاببيوس : اله الطب عند الإغريق و الرومان ، المزيد من المعلومات أنظر :
www.aly.abbara .com/histoire/mythologie/Grèce/Asclépios

⁷⁹ MARC AURELE , loc.cit

⁸⁰ Ibid.

⁸¹ www.Encyclopedie.http://books.google.dz

زاد تدهور صحة فرونطو إلى مستوى عجزه عن الالتحاق بالمقاطعة الآسيوية التي كلف بإدارتها و كتب للإمبراطور أنطونينوس التقي هذه الرسالة (أنظر الملحق رقم 6، ص.289) وقال له :

" قبلت و كأنه اختياري ، المقاطعة الغنية التي بقيت لي . أعددت بعد ذلك بعناية كل ما يشد و يصفي حكمي ، لكي أنفذ بمساعدة أصدقائي الأعمال الكبرى . استدعيت إلى منزلي أقاربي و كل الذين أعرف فيهم الإيمان و الصدق . " ⁸²

" كتبت لأصدقائي من الإسكندرية عن زهابي في أقرب وقت إلى أثينا وأن ينتظروني هناك . و كان لهؤلاء الرجال ، الذين أوكل لهم عناية كتابة الرسائل بالإغريقية . ألزمت حتى الشخصيات القوية المشهورة القدوم من كيليكيا* (Cilicie) ، لأن عندي هناك كثير من الأصدقاء ، دائما من أجل ، أن أكون رجلا للعام و الخاص و الدفاع بقربك عن مصالح هذه المقاطعة . " ⁸³ "استدعيت أيضا من موريطانيا الرجل الذي يخدمني و أكن له مشاعر عميقة جوليوس سيناكس (JULIUS SENEX) ، الذي فيه النزاهة و الحماس و أيضا أكثر المواهب العسكرية ، التي ستساعدني على البحث و القبض على اللصوص و أستند بهذا التصرف ، على أمل القدرة بواسطة غذاء خفيف و ماء للشرب ، أو الشفاء التام لصحتي السيئة أو على الأقل وضع فاصل زمني بين الأزمات و تخفيف شدة الألم" ⁸⁴ ... أصل بذلك إلى الوقوف لمدة أطول من المعتاد ، أسترجع ما يكفي من القوة و النشاط ، حتى أستطيع أن أقدم لك الدفاع الجدي للصديقين . لكن فجأة صحتي بدأت تضعف حتى جعلتني أظن أن كل أملي تلاشى ... " ⁸⁵ .

⁸² FRONTON , lettre VIII

*كيليكيا : مدينة تقع في آسيا الصغرى ، المزيد من المعلومات أنظر : www.Encyclopedie.http://books.google.dz

⁸³FRONTON ,loc.cit

⁸⁴Ibid , lettre VIII

⁸⁵Ibid .

يتحدث فرونطو في هذه الرسالة عن التحضيرات التي قام بها و استعداده للسفر إلى آسيا ، المقاطعة التي كلف بإدارتها استدعى ، أصدقاءه ذوي النزاهة و الثقة من الإسكندرية بمصر و من كيليكيا الذين يتقنون اللغة الإغريقية و كتابة المراسلات بهذه اللغة . كما استدعى أيضا أحد أصدقائه العسكريين من موريطانيا المتخصص في البحث و القبض على اللصوص و قطاع الطرق يدعى جوليوس سيناكس ، لأنه عادة لا توجد فرق متخصصة في المقاطعات السيناتوروية، أما المقاطعات القنصلية فهي تدير من طرف نواب عن الإمبراطورية برتبة قنصل (Legati augusti propraetore viri consulare) أو قاض ، و هذا الأخير يساعده قادة عسكريون يقودون عدة فرق .⁸⁶

لهذا استدعى فرونطو جوليوس سيناكس المتخصص و الخبير في البحث والقبض على اللصوص ليذهب معه و يرافقه إلى مقاطعة آسيا السيناتوروية .

في هذا الصدد يقول بول مونصو (PAUL MONCEAUX)⁸⁷ أن فرونطو كان يود أن يعين على مقاطعة افريقية حيث وطنه الأم ، لكن حظه كان في مقاطعة آسيا . إلى جانب ما ذكرناه من قبل على أن رغبة فرونطو في تلك المقاطعة لأسباب سياسية للدفاع عن بلاده و مواطنيها أمام سياسة الاحتلال ، يمكن أيضا إضافة عوامل أخرى كعامل اللغة حيث كان يتقن اللغة اللاتينية أكثر من اللغة الإغريقية ، و كذلك الأسباب الصحية لأن صحته لا تساعده على السفر البعيد ، أو احتمال آخر لأن افريقية قريبة من موطنه . رغم تعدد الاحتمالات إلا أننا يمكن لنا التأكيد على أن فرونطو له بعد الانتماء إلى منطقة المغرب القديم حيث كان يتابع أحداثها و تطوراتها و أنه شديد التأثر بها ، وسنبين ذلك في الفصول القادمة وسنكشف عن بعده السياسي و عوامل توجهه نحو السياسة و الحركة الإصلاحية والوسائل التي اتخذها لتحقيق أهدافه .

⁸⁶ شافية شارن، بلقاسم رحمانى و محمد الحبيب بشاري ، المرجع السابق، ص.157

⁸⁷ PAUL MONCEAUX , op.cit , p.77

قضى فرونطو ما تبقى من حياته في روما محاطا بأصدقائه من الخطباء والمحامين و رجال من مجلس الشيوخ و تلامذته منهم أولوجيل (AULU GELLE)⁸⁸ ، الذي كان في زيارة دائمة له⁸⁹ خاصة في الأوقات التي فقد فيها فرونطو معظم أفراد عائلته ، خمسة من أبنائه و عددا من أحفاده و كذلك زوجته ، ولم يبق له سوى أخ الذي ساعده فرونطو على الدخول في مهنة الشرفاء و ابنته غراتيا (GRATIA) و صهره أوفيدوس فيكتورينوس (AUFIDIUS VICTORINUS) ، حفيده فيكتورينوس فرونطو (VICTORINUS FRONTON)⁹⁰ ، هذا الأخير ترك أثرا كبيرا في نفس فرونطو إذ كتب لماركوس أوريليوس رسالة عبر فيها عن حزنه العميق لفقدانه يقول له :

" دون الكلام عن الآلام الأخرى ، فقدت خمسة أولاد ، و عشت ظروفًا محزنة قدرت لي ، فقدت كل الخمسة واحدا تلو الآخر ... لكن اليوم ألم على ألم ، و هذه الآلام ، لا أستطيع تحملها . دموع فيكتورينوس تخترقني و ترهقني..."⁹¹ . (أنظر الملحق رقم 7. ص 291) .

إن التعبير بمثل هذه المشاعر لدليل على رقة قلب فرونطو تجاه أقاربه إلى جانب العلاقات الطيبة التي جمعتها مع أصدقائه شرق و غرب الإمبراطورية الرومانية . وقد شهد على صفاء نفسه و طهارة روحه بتفضيل الدراسة و العلوم على السعي وراء المكاسب المادية و مختلف أنواع الثروة ، وذكر ذلك في إحدى مراسلاته لماركوس أوريليوس إذا قال له :

" فضلت دراسة العلوم على مصالح ثروتي " .⁹²

⁸⁸ PAUL MONCEAU X, loc.cit

⁸⁹ Ibid.

⁹⁰ Ibid.

⁹¹ FRONTON , lettre II

⁹² Ibid .

هكذا حرص فرونطو على الحياة الشريفة و بذل قصارى جهده في تطبيق العدالة و القانون و رفض الدفاع عن الظلم حتى لو كلفه ذلك التصادم بأصدقائه . و كانت علاقاته مع الإمبراطور أنطونينوس التقي و ابنه ماركوس أوريليوس و لوكيوس فيروس قوية جدا حتى أن بعد موته أقام له ماركوس أوريليوس تمثالا في مجلس الشيوخ،⁹³ واعترف في كتابه " التأملات " بخصاله ، و كان من قبل قد شكره جزيل الشكر و قال:

" عزيزي فرونطو ، أنا مدين لك ، و أقدم لك الشكر..."⁹⁴ .

توفي فرونطو متأثرا بمرضه في حوالي 175 م⁹⁵ ، و ترك أعمالا كبيرة من مراسلات و كتب و مقالات متنوعة .

ثانيا : أعمال فرونطو

ترك فرونطو أعمالا كثيرة من مراسلات و خطب و مقالات و كتب ، لكن معظمها ضاع و لم يبق منها إلا بعض الأجزاء المحفوظة في مكتبة أمبروزيان (Ambrosienne) بمدينة ميلانو الايطالية و في الفاتيكان (vatican) بروما . و قد تولى نشرها الأسقف الايطالي أونجلوماي (ANGELAI MAI) عام 1815 م.⁹⁶

⁹³ PAUL MONCEAUx , loc.cit

⁹⁴ MARC AURELE , lettre V

⁹⁵ www.Encyclopédie berbère.revues.org/1971

⁹⁶ Revue Encyclopédique , analyse raisonnée des productions les plus remarquables dans la littérature , les sciences et les Arts ;par une réunion de membre de l'Institut et d'autre hommes de lettres ,tome XX,PARIS, octobre , 1823 , pp.160-161

1 - المراسلات : صنفت مراسلات فرونطو إلى مجموعتين وهما :

أ - المرحلة الأولى : ما بين (139 و 145 م)⁹⁷ ، عندما كان فرونطو في مرحلة شباب و مدرسا للأميرين مارك أورل و لوكيوس فيروس . و تتمحور مجمل مراسلات هذه الفترة حول دروس البلاغة.

ب - المرحلة الثانية : ما بين (160 و 165 م)⁹⁸ ، و هي مرحلة شيخوخة فرونطو حيث جمعت رسائله في هذه المرحلة في شكل كتب : واحد لأنطونان التقي و كتابين لكل من مارك أورل و لوكيوس فيروس بالإضافة إلى بعض الرسائل الموجهة لأصدقائه و أقاربه و أيضا إلى فوستين زوجة الإمبراطور أنطونان التقي .

نماذج من مراسلات فرونطو**الرسالة الأولى (أنظر الملحق رقم 8، ص.292)****إلى الإمبراطور أنطونينوس التقي الكبير ، فرونطو :**

" كما تذكرون ، قيصر ، حين مدحتك في مجلس الشيوخ على مرأى من جمعية كبيرة ، لم أستطع مقاومة الرغبة في عرض ثنائك الذي أجلته إلى ذلك الحين ."⁹⁹

ذكر فرونطو في هذه الرسالة الإمبراطور أنونينوس التقي يوم ألقى خطابا في مجلس الشيوخ قبل أن يستلم مقاليد الحكم ، وأنه مدحه و أثنى عليه ، ليبين له أن إعجابه و حبه له لم يرتبط بارتقائه العرش إنما كان قديما ، لأن فرونطو وجد في خصال أنطونينوس التقي الخصال التي أحبها و تميز بها ، و لقد وصفها ماركوس أوريليوس في تأملاته قائلا :

⁹⁷ PAUL MONCEAU X, op.cit ,p.73

⁹⁸ Ibid.

⁹⁹ FRONTON , lettre I

" وعن أبي ، وما سمعت و أتذكره عنه ، تعلمت التواضع و الرجولة " ¹⁰⁰.

كان أنطونينوس التقي رجلا معتدلا ¹⁰¹ ، احترم حقوق الضعفاء و تقيا في حياته و معاملاته مع الآخرين ، و هي صفات تتقارب مع التي يتميز بها فرونطو ، و لهذا كان كثير المدح و الثناء عليه أثناء إلقائه لخطبه أمام مجلس الشيوخ . كما أن صفة التقوى التي لازمت هذا الإمبراطور في مختلف المراجع ، يدل على حسن سيرته و حبه للخير و الإحسان و شهد له ابنه بالتبني " ماركوس أوريليوس " بذلك . لكن هذا لا يمنع أن تكون لفرونطو أهداف أخرى أراد الوصول إليها من خلال التقرب إلى الأسرة الأنطونية ، و سيتضح ذلك أكثر في نهاية دراسة هذه الأطروحة .

الرسالة XX ¹⁰² (أنظر الملحق رقم 9، ص.293)

من فرونطو إلى ماركوس أوريليوس:

" أنا في السرير ، إذا كنت قادرا على السير عندما تسافرون إلى سونتومسيلي* (Centumcellae) ، سأراكم بلوريوم** (Lorium) في اليوم السابع إذا شاءت الآلهة اعتذر لي لدى والدك ، سيدنا ، الذي أود رؤيته بما فيه أنتم . أتضاعف بالحب و التبجيل له منذ أن عرفت أنه قرر في مجلس الشيوخ اختيار الحكام القادرين على إدارة المقاطعات ، و لم يوجه بذلك إلا توبيخا هادئا للمذنبين . عندما تقدم إهداء من حظيرتك ... اعتني أن تبعث لي في أسرع وقت ممكن حصانا . بدون شك ستبني قوسا في سونتومسيلي ، ألا تستطع القيام بذلك

¹⁰⁰ MARC AURELE , pensées ,livre premier I , trad. BARTHELEMY SAINT HILAIRE , PARIS ,1876

¹⁰¹ CHARLES VICTOR DAREMBERG et EDMOND SAGLIO, loc.cit

¹⁰² FRONTON , lettre XX

*سونتومسيلي : هي مدينة تشيفيتافيكيا الواقعة على بعد 80 كلم من روما، المزيد من المعلومات أنظر :

NICOT- JEAN , dictionnaire sensagent , Paris , 2009 , http : /dictionnaire le Parisien .fr

** لوريوم : مدينة تقع في إقليم اتروريا وسط غرب إيطاليا (توسكانا / Toscane) ، المزيد من المعلومات أنظر : Ibid

في لوريوم في اليوم الثامن ؟ وداعا ، سيدي ، حقق فرحة أبيك ، حيي أمك وأحبيني¹⁰³ . تعرف أكثر مني ماذا يقول كاتو *** (CATON) على قالبيا **** (GALBA) ، بريئا أنا أتذكر أنه بريء بسبب أبنائه : أنظر أنت بنفسك الباقي ، ما هو الأصح . وهكذا كاتو لا يريد أن يشفق عليه لأجل أولاده ، ولا أولاد الغير ولا زوجته ، ولا أبويه . حيي سيدتي ، أمك . "

أشار فرونطو في بداية هذه الرسالة إلى صحته ، و ذكر لماركوس أوريليوس أنه إذا كان قادرا على الوقوف و السير ، سيستقبله هو و أبيه في مدينة لوريوم(توسكانا/ Toscanة)¹⁰⁴ ، و ذلك عندما يذهبان إلى مدينة سونتوميسي (تشيفيتافيكييا / Civitavecchia)¹⁰⁵ . عبر فرونطو في هذه الرسالة عن فرحته الكبيرة و حبه لأنطونان التقي الذي قال عنه أنه عرف كيف يعين على المقاطعات من هو جدير و مناسب ، و هذا يدل على مدى حرص فرونطو على تجسيد العدالة و تطبيقها على الجميع و وضع حد لنفوذ النبلاء . بعد ذلك انتقل فرونطو إلى المزاح مع ماركوس أوريليوس و ذلك في إطار التدريس و تعليم أساليب البلاغة و تأتي تفاصيلها في الفصل الثالث ، إذ طلب منه أن يرسل إليه حصانا في أسرع وقت ممكن عندما يقدم إهداء من حظيرته ، و بهذا العمل سينجز قوسا في مدينة سونتوميسي

¹⁰³ FRONTON , loc.cit

*** كاتو : هو أحد أحفاد كاتو الكبير (CATON L'ANCIEN) ، ولد في حوالي عام 95 ق.م بابطاليا و توفي في سنة 46 ق.م بأوتيك ، أصبح يمثل خلال الفترة التي سبقت استيلاء قيصر على السلطة رمزا للجمهورية الرومانية ، و قدوة للرجل الفاضل ، لأنه برهن عمليا أن الفضيلة ليست مجرد كلمة لكنها أن تكون الأنا موجودة و أن تعيش . و كان متشددا على الذين يبذرون ثروات الجمهورية . عاش الحرب الأهلية بين قيصر (césar) و بومبي (POMPÉE) و أيد هذا الأخير . و عندما سمع بانتصار قيصر في معركة تابسوس (Thapsus) سنة 46 ق.م ، قرر الانتحار و أن يموت رواقيا على أن يعيش أسيرا ، المزيد من المعلومات أنظر :

BRISSON , JEAN – PAUL , LEMURIA et PARENTALIA , universalis des antiquités Grecque et Romain , Paris , 1999, [http:// universalis.fr/Caton d'Utique](http://universalis.fr/Caton d'Utique)

**** قالبيا : إمبراطور روماني وصل إلى الحكم سنة 69 م ، المزيد من المعلومات أنظر :

Ibid.

¹⁰⁴ NICOT – JEAN , loc.cit

¹⁰⁵ Ibid.

و أيضا في مدينة لوريوم ، لأن من عادات الرومان بناء الأقواس و النصب التذكارية لتخليد الأعمال و الانتصارات الكبرى للقادة الكبار و الأباطرة العظماء . في الثالث الأخير من هذه الرسالة ، تحدث فرونطو عن قالبا وهو مازح . قالبا هذا هو إمبراطور روماني وصل إلى الحكم سنة 69 م بعد اغتيال الإمبراطور نيرو (NERON) ، بالتواطؤ مع محافظ الحرس الإمبراطوري نيامفيدوس سابينوس (NYMPHIDIUS SABINUS)¹⁰⁶ . عند قدوم قالبا إلى مدينة روما استقبله الجنود ، وطالبوا منه ضمانات مالية لكنه تصرف بعنف شديد ، حيث قتل عددا منهم . و بعد استلامه الحكم قام بإصلاحات مالية لا تخدم الشعب الروماني ، السبب الذي جعله غير محبوب لدى العامة . و في بداية سنة 69 م ، رفضت فرقتان في جرمانيا العليا إعلان و لائها لقالبا وكسرت تماثيله و أصرت على اختيار إمبراطور جديد غيره ، هذا الأخير تبنى خليفة له ، و هو لوكيوس كالبورنيوس بيزو فروجي ليسينيانوس (LUCIUS CALPURNIUS PISO FRUGI LICINIANUS)¹⁰⁷ . أما الشعب الروماني فرأى أن اختيار قالبا خليفة له يعتبر اعترافا بالضعف . كما تأسف أيضا أحد المدافعين عنه يدعى أوتون (OTHON) الذي كان حاكما على مقاطعة لوسيطانيا (Lustanie) بالبرتغال من اختيار قالبا لخليفة غيره ، فتحالف مع الحرس الإمبراطوري (Les Prétoriens) الغاضبين من سياسة هذا الإمبراطور، الذي امتنع عن دفع مستحقاتهم و منحهم ضمانات كتابية باسمه ، فاقترحوا أوتون إمبراطورا ، إثرها خرج قالبا لمواجهة لكن في الطريق باغته جماعة من الثوار برصد كمين له وقع فيه ، و قتلوه و جاؤوا برأسه إلى أوتون¹⁰⁸ . و في هذه الظروف ثار القسم السفلي من جرمانيا ، و أعلن الجنود اختيار فيتيليوس (VITELLIUS) إمبراطورا¹⁰⁹ .

¹⁰⁶ BRISSON , JEAN – PAUL , LEMURIA et PARENTALIA , loc.cit

¹⁰⁷ Ibid

¹⁰⁸ Ibid

¹⁰⁹ Ibid

و بهذا توالى على حكم الإمبراطورية الرومانية ثلاثة أباطرة في عام واحد سنة 69 م و هم : قالبا ، أوتون و فيتيلْيوس . لا شك أن مزاح فرونطو كان هادفا و يدخل في إطار تكوين و توجيه مارك أورل . فكاتو رجل لا يتسامح مع المذنبين و الطغاة . لقد حمل السلاح ضد قيصر عندما تجاوز نهر روبيكون* (Rubicon) شمال إيطاليا ، و أدخل الجمهورية الرومانية في حرب أهلية دموية . كان كاتو يرغب و هو صغير لا يتجاوز عمره الخامسة عشرة سنة ، توجيه طعنة لسولا (SYLLA)¹¹⁰ اثر الحرب الأهلية الأولى بينه و بين ماريوس (MARIUS) ما بين 88 و 87 ق.م . و من خلال مواقفه المتشددة تجاه من يراهم طغاة و كانوا سببا في قيام الحروب الأهلية ، قال فرونطولو أن كاتو كان حاضرا زمن " قالبا" فماذا سيقول عنه ؟ و يجيب فرونطو بالمزاح و الهزل أن "كاتو" سيقول أن قالبا بريء و معتقر¹¹¹ ، أي أنه من المنطق سيعارضه بالقوة كما فعل في زمنه . هذه المقارنة بين شخصيتين مختلفتين لها بعد تثقيفي في التاريخ الروماني و أخذ العبر من الماضي.

2 - الكتب : ألف فرونطو كتابين ، الأول حول حرب البارثيين** (La guerre des Parthes) و الثاني حول مبادئ التاريخ (Principes de l'histoire).

1 - الكتاب الأول : حرب البارثيين (La guerre des Parthes) ، (أنظر النص اللاتيني ، الملحق رقم 10، ص.295).

* **نهر روبيكون** : نهر يقع في شمال إيطاليا ينبع من جبال الابنين و يصب في البحر الادرياتيكي . في الدولة الرومانية القديمة كان هناك عرف يقتضي بأن القائد العسكري العائد من المعركة يترك جيوشه على ضفة هذا النهر ثم يعبره بدون جنوده و يدخل روما ليقيم تقريره لمجلس الشيوخ . وهذا القانون من أقدم القوانين التي تنظم العلاقة بين الجيش و الدولة ، المزيد من المعلومات أنظر : CHARLES VICTOR DAREMBERG et EDMOND SAGLIO,loc .cit

¹¹⁰ Ibid

¹¹¹ FRONTON , lettre XX

****البارثيون** : من الشعوب الإيرانية القديمة (الفرس) عرفوا في البداية باسم برني (Parni) نسبة إلى منطقة بارثية (Parthia) خراسان حاليا أين استقروا ، المزيد من المعلومات أنظر : BRISSON,JEAN – PAUL, LEMURIA et PARENTALIA,loc.cit

هذا الكتاب عبارة عن مواساة و نصائح قدمها فرونطو لتلميذه لوكيوس فيروس بعد هزيمته في بداية الحملة أمام البارثيين (Les Parthes) ، وقد جاء فيه ما يلي:

" رغم أنه أنجب الجنس الروماني ، يترك لنا بدم بارد ، الاستسلام للتعب و النكسات و الجروح ، لكن هل يتردد إلها و الدنا مارس أن يقول لجنودنا :

عندما أنجبتهم عرفت مصيرهم

أنجبتهم و كبرتهم ليموتوا

عرفت أنه فيما بعد ، في الأراضي الأجنبية

لأجل الدفاع و الانتقام للإمبراطورية و أقدارها

صوتي يرسلهم إلى حروب كارثية

يشاريون ، يموتون و ليس ليستريحوا للولائم . " 112

حاول فرونطو في بداية هذا الكتاب رفع معنويات لوكيوس فيروس و إعادة الثقة إلى نفسه اثر انهزامه أمام البارثيين ، على أن ما حدث قدر مكتوب و ابتلاء من الإله مارس (Mars) و على الرومان الإيمان بذلك و أن يدافعوا عن الإمبراطورية و يموتوا من أجلها ، و ليس ليعيشوا للولائم و الاحتفالات . و بعد ذلك بدأ يقدم أمثلة و قدوات من الماضي و يكتب ما يلي :

" و هكذا ذات مرة تحدث تيلامو عن أولاده في حرب طروادة * . و الإله مارس تحدث هو الآخر عن الرومان ، كان يكرر باستمرار ، أثناء الحروب

¹¹² FRONTON , lettre à M.ANTONINUS Empereur , lettre I

*حرب طروادة : أسطورة تحدث عنها هوميروس في الإلياذة ، على أن سبب اندلاعها ، عندما خطف باريس (PARIS) ابن الملك بريام (PRIAM) ، هيلان (HELEN) زوجة ملك اسبرطة منيلاس (MENELAS) ابنة الإله زيوس ، وشاركت عدة مدن إغريقية في حصار طروادة لاسترجاع هيلان و الانتقام لشرفها ، المزيد من المعلومات أنظر :

CHARLES VICTOR DAREMBERG et EDMOND SAGLIO , loc.cit

هذه الكلمات الشعرية¹¹³ . في حرب الغالبيين في عالية * (Allia) والسامنتيين** في غوديوم*** (Gaudiim) ، القرطاجيين في كانه**** وفي اسبانيا ، نومانس (Numance) ويوغرطة***** في كيرتا و البارثيين في حاران (Carrha) بآسيا ، لكن دائما ، وفي كل مكان ، يعوض تعبنا بالمجد و مخاوفنا بالانتصارات . لكن ، دون الذهاب بعيدا في الماضي ، سأخذ أمثلة من عائلتك ألم يؤسر تحت قيادة و رعاية تراجانوس ، جدك قنصلا ، عند الداسيين ؟ ألم يذبح البارثيون في بلاد الرافدين قنصلا آخرا ؟ ... ما ذا أقول عن جدك هادريانوس ، سيد الإمبراطورية ، كم من جنود قتلوا من قبل اليهود ، و كم من قبل البروطونيين***** (BRETON) ! وتحت حكم والدك ، و الذي هو لكل الأمراء ... الرجل المولود من أب جرمانى كان يخاف من الأفعى ، من سحلية أو حية الماء العذب ألا يبدو عليه الانحطاط ... و مجد اسم الرومان ارتفع . " 114

بدأ فرونطو في هذا الجزء بسرد أولا أمثلة روحية ، لما لها من قوة التأثير على النفس ، فاختار حرب طروادة كنموذج ليبين للإمبراطور لكيوس فيروس أنه ، حتى أبناء الآلهة ، هم أيضا ، يرسلون إلى الحروب عندما يتعلق الأمر

¹¹³ FRONTON, lettre I

**عالية : مدينة تقع على ضفاف نهر التيبير (Tibre) على بعد 16 كلم من مدينة روما ، المزيد من المعلومات أنظر : www.dictionnaire.savoir.fr

**** السمانتيون : قبائل من أصول سابينية، (Sabine) استقرت في منطقة سامنتيوم (Samnium) وسط إيطاليا في حوالي القرن السابع قبل الميلاد ، المزيد من المعلومات أنظر :

[https://anabases.revues.org/649,l'image des Samnites depuis TITE LIVE , une analyse historiographique](https://anabases.revues.org/649,l'image%20des%20Samnites%20depuis%20TITE%20LIVE%20,%20une%20analyse%20historiographique)

****غوديوم : مدينة قديمة تعرف حاليا باسم (FERDEN) تقع في جنوب سويسرا ، المزيد من المعلومات أنظر : www.books.google.dz

****كانه : مدينة تقع في إقليم أبوليا (Pouilles) جنوب شرق إيطاليا ، انهزم فيها الرومان أمام القرطاجيين في سنة 216 ق.م خلال الحرب البونوية الثانية (218 – 201 ق.م) ، المزيد من المعلومات أنظر :

Www.histoirepour tous .fr/les grandes batailles

****يوغرطة : ملك نوميدى و حفيد الملك ماسينيسا، قاد حربا ضد الرومان ما بين 112 – 105 ق.م ، المزيد من المعلومات أنظر : SALUSTE, la guerre de JUGURTHA, trad, KAMEL CHEHRIT, 3 édition , Alger, 2016

¹¹⁴ فرونطو ، المصدر السابق ، ترجمة حسينة قادري

بقضايا الشرف والمجد ، و أخذ على سبيل المثال تيلامو (TELAMO) ابن إياك (EAQUE) و حفيد زيوس (ZEUS) ، اله الإغريق¹¹⁵ ، يذكر فرونطو¹¹⁶ أن هذا الإله أرسل أولاده إلى حرب طروادة و ردد الأبيات السابقة مثل ما فعل الإله مارس .

عدد فرونطو بعض الحروب التي انهزم فيها الرومان في بداية توسعاتهم داخل و خارج شبه الجزيرة الايطالية ، مثل الحرب ضد الغالين سنة 390 ق.م¹¹⁷ في عالية و السمانتين سنة 326 ق.م¹¹⁸ في مدينة غوديوم ، و القرطاجيين في معركة كانه سنة 216 ق.م¹¹⁹ ، و حرب نوماس باسبانيا (155 – 133 ق.م)¹²⁰ ، و يوغرطة في نوميديا (112 – 105 ق.م)¹²¹ و البارثيين عام 53 ق.م في كران¹²² (جنوب شرق تركيا).

بعد سرد هذه المواقع الحربية ، بشر فروطو لوكيوس فيروس بأن هذه الهزائم تعوض دائما بالمجد و الانتصارات ، و قدم هذه المرة أمثلة من العائلة الأنطونية بدءا بتراجانوس (TRAJANUS) إلى هادريانوس (HADRIANUS) ثم أنطونينوس النقي (ANTONINUS LE PIEUX) .

¹¹⁵ BRISSON , JEAN – PAUL , LEMURIA et PARENTALIA , loc.cit

¹¹⁶ FRONTON ,lettre I

¹¹⁷ François SIMOND , dictionnaire savoir , Paris , 2017, <http://guerres Romains>

¹¹⁸ Ibid

¹¹⁹ جوليان شارل أندري ، المرجع السابق، ص.103

¹²⁰ www.philistro.documents.fr/la_guerre_de_Numance

¹²¹ CHARLES VICTOR DAREMBERG et EDMOND SAGLIO , loc.cit

¹²² Ibid

فيما يتعلق بتراجانوس الذي حكم ما بين (98 إلى 117 م)¹²³ ، فقد قاد حملة في سنة 101 م على داسيا * (Dacia) ، المكان الذي هزم فيه الرومان في عهد الإمبراطور دوميتيان (DOMITIEN) أمام ديسيبال** (DECEBALE) ملك داسيا ، و حملة أخرى في سنة 105 م التي انتصر فيها بعد القبض على ديسيبال الذي حاول الفرار لكن هذا الأخير أنهى حياته بالانتحار عام 106 م. و بعد عام أي في سنة 107 م أصبحت داسيا مقاطعة رومانية¹²⁴ . اتجه تراجانوس بعد ذلك إلى الشرق و أخضع أنطاكية (Antioche) في عام 113 م و أرمينيا سنة 114 م . و في سنة 116 م عبر نهري الدجلة و الفرات ، و أنشأ مقاطعتين ، واحدة في بلاد الرافدين و الثانية في سوريا . و في هذا الوقت ثار اليهود في عدة مناطق و بالخصوص في مصر و برقة ، هؤلاء الذين كانوا يكونون الكراهية للرومان منذ عهد الإمبراطور تيتوس (TITUS) الذي حكم ما بين (79 و 81 م) عندما قام بهدم معبد القدس¹²⁵ و في هذه الظروف أوقف تراجانوس حركته التوسعية و كلف لوسيوس كويتوس (LUSIUS QUITUS) بإخماد هذه الثورات و في وقت قصير تعرض لسكتة دماغية (Appoplexie) و مات في سنة 117 م و خلفه هادريانوس الذي امتد حكمه من 117 م إلى 138 م هذا الأخير لم ينتهج سياسة تراجانوس التوسعية بل فضل تثبيت حدود الإمبراطورية الرومانية لتسهيل عملية الدفاع عنها و تخلى عن بلاد الرافدين. كما أرسل قوات لإخماد ثورات اليهود التي انتشرت في كل مكان¹²⁶ ، و عنها قال فرونطو أن عددا كبيرا من الجنود قتلوا على يد اليهود¹²⁷ و كذلك على

¹²³ BRISSON , JEAN –PAUL , LEMURIA et PARENTALIA, loc.cit

*داسيا : إقليم يقع شمال الدانوب و تقريبا رومانيا حاليا ، المزيد من المعلومات أنظر : Ibid

**ديسيبال : ملك داسيا ، الذي حكم من سنة 87 إلى 106 م ، و حدد عدة قبائل و كون منها قوة حاول بها القيام بعمليات التوسع ، هاجم المقاطعة الرومانية ميسي (Mesie) جنوب شرق البلقان و قتل حاكمها أبيوس سابونوس (OPHIUS SABINUS) في حوالي سنة 87 م . المزيد من المعلومات أنظر : Ibid

¹²⁴ Ibid

¹²⁵ Ibid

¹²⁶ DION CASSIUS , Histoire romaine , tome.9 , livre LXIX , trad.E.GROS, www.Dion Cassius histoire

romaine ; www.encyclopedie/Hadrien.fr

¹²⁷ FRONTON , lettre I

البروطونيين¹²⁸ .

وخلافا لسياسة تراجانوس دائما ، فان أنطونينوس التقى انتهج سياسة تعرف بالسلم الروماني (la paix romaine)¹²⁹ ، و وضع أسوارا لحدود الإمبراطورية و فرض احترامها¹³⁰ ، وقد عبر عن ذلك فرونطو بأسلوب بليغ أشار أن الجرمان لن يتجرأوا على اجتياز هذه الحدود خوفا من قوة الرومان في عهد هذا الإمبراطور.¹³¹

و بهذه الأمثلة التي قدمها فرونطو ، عرف كيف يخفف من حزن لوكيوس فيروس و يدفعه إلى الاقتداء بمن سبقه و يعيد له الثقة بالنفس و الإيمان بالنصر بعد الشدائد و الهزائم .

الكتاب الثاني : مبادئ التاريخ (Principes de l'histoire)

تحدث فرونطو في هذا الكتاب عن المقدونيين و البارثيين ، و أجرى مقارنة بينهم بهدف تثقيف مارك أورل بمبادئ التاريخ . و ستأتي تفاصيل هذه المبادئ في الفصل الثالث ، المبحث " دروس التاريخ " .

3 - المقالات

من أبرز المقالات التي تركها فرونطو هي : الدخان الغبار (Eloge de la fumée et de la poussière) ، الإهمال (Eloge de la négligence) و مغامرة آريون (L'aventure d'Arion) .

1 - الدخان و الغبار (Eloge de la fumée et la poussière) ، (أنظر الملحق رقم 11 ، ص.297).

¹²⁸ FRONTON ,loc.cit

¹²⁹ BRISSON , JEAN – PAUL , LEMURIA et PARENTALIA , loc.cit

¹³⁰ Ibid

¹³¹ FRONTON , loc.cit

لاحظ فرونطو أن الكثير من القراء يحتقر مثل هذه العناوين ، و هو الدافع الذي جعله يكتب هذا الموضوع ليبين لتلميذه ماركوس أوريليوس أهميته . و بدأ المقال بهذا القول :

" معظم القراء يحتقر ربما هذا النوع من العناوين و يقولون أنه لا يحتو على أي شيء من الجدية و لا توجد أية فائدة من الدخان و الغبار ¹³². وسترى بعقلك الممتاز ، قريبا هل هو لعبة أو كتاب اقترحته . " ¹³³

بعد هذه المقدمة ، بين فرونطو لماركوس أوريليوس أن الدخان و الغبار من مظاهر الآلهة وأثنى عليهما قائلا : " أحمد الآلهة غير المعروفة في الثناء ، الدخان و الغبار... " ¹³⁴ ، ثم يواصل فرونطو في تعداد الآلهة و يذكر : " إذا كان أحد يشك أنه يجب أن نضع الدخان في تعداد الآلهة ليفكر أنه حتى الرياح هي في تعداد الآلهة ، و أن الضباب و الغيوم ، التي تشبه كثيرا الدخان ، فينظر إليها كآلهة و يرون من السماء ... و أن ما هو من سمات الطبيعة الإلهية لا نستطيع أخذ الدخان باليد ، و لا الشمس ، و لا تقييدها ، و لا ضربها و لا حجزها و لا دفعها و لو قليلا . " ¹³⁵

بين فرونطو في هذه الفقرة السمات الإلهية للدخان و الغبار ، و أنهما من تعداد الآلهة ، و لهذا بالنسبة له يستوجب الثناء عليهما و أن كتابة مثل هذا الموضوع ليس لعبة و إنما فيه جدية كبيرة خاصة أن الأمر يتعلق بالآلهة . ثم حدد قواعد كتابة هذا النوع من المواضيع حيث يقول :

" الذي يمارس هذا النوع من الكتابة يقوم و يتزود بالكثير من الأفكار ، يضعها واحدة قرب الأخرى ، و يربطها بأدوات ربط دقيقة ، و يتجنب التكرار

¹³² FRONTON ,Eloge de la fumée et de la poussière .

¹³³ Ibid.

¹³⁴ Ibid

¹³⁵ Ibid

و الكلمات غير النافعة ، و أن يكون للكلمة معنى . و بهذا يحوي كل فكرة في عبارة صحيحة و دقيقة . يجب إدخال في ذلك بعض أساطير الآلهة و الأبطال و الأبيات الشعرية الملائمة للموضوع و الأمثال التي تنطبق عليها . لكن الأكثر صعوبة هو وضع خطة شاملة بحيث يكون فيها التسلسل و الربط في كل مكان . " 136

أراد فرونطو من خلال هذا المقال أن يغير رأي القراء تجاه الأشياء البسيطة التي تظهر أنها غير نافعة و لا قيمة لها ، و هي في الحقيقة ترتقي إلى مصاف الآلهة و بهذا يتعلمون تقدير كل الأشياء بدلا من احتقارها .

ب - الإهمال (Eloge de la négligence) ، (أنظر الملحق رقم 12، ص.300).

هذا المقال موجه لماركوس أوريليوس و يذكر فيه فرونطو ما يلي :

" حدث لي ، أن خطر على ذهني أن أكتب الثناء على الإهمال ، و السبب الذي جعلني لم أقم بذلك بعد ، لأن الذين يقومون بإتمام أعمالهم بقلق كبير يظهرون قلة الثقة والصدقة . " 137

بعد أن بين فرونطو السبب الذي جعله لم يكتب بعد المقال حول موضوع الإهمال برغم أنه فكر فيه ، أخذ يقدم لمارك أورل أمثلة عن الإنسان المتهاون و الإنسان المتسرع مع إجراء مقارنة بينهما قائلا :

" التساهل حتى من قبل الجاهل يقوم على العفو الفوري لذنوب الرجال ، إذا لم تهمل الأخطاء بسهولة ، لست حقا متسامحا . إذا كان أحد يظن أن الإهمال ليس في مأمّن و أنه معرض للمخاطر ، سأقول أن التسارع يوفر أقل أمنا ، وهو معرض أكثر للخطر . في الواقع لا نجد كثيرا من الصعوبة لتوجيه المزالق للإهمال ، لأننا نعرف أنه حتى بدون المزالق نستطيع في أي وقت ، و في أي مكان ، عندما نريد خداع الرجل المهمل ، انه ضد الرجال المتسرعين ،

¹³⁶ FRONTON , loc.cit

¹³⁷ Ibid

الحذرين ، الأقوياء الذين نستعد لنحضر لهم الاحتيايل ، المفاجآت و المزالق. و هكذا الإهمال محمي من قبل الاحتقار ، و التسارع مهاجم من طرف الاحتيايل ، إننا مستعدون أكثر للعفو عن أخطاء الإهمال ، كأننا نعلم جيدا حسن النية عما يفعله ... " .¹³⁸

أراد فرونطو من خلال هذه المقارنة بين الرجل المهمل و الرجل المتسرع أن يفتن ماركوس أوريليوس على المخاطر التي تحيط بالرجل المتسرع ، و في نفس الوقت ينصحه بضرورة أخذ الحيطة و الحذر عندما يكون متساهلا و طيبا مع الغير. و موضوع الإهمال الذي فكر فرونطو في كتابته يقول أنه هو موضوع يعالج واقع ذلك العصر الذي وصفه بعصر الإهمال بهذا القول :

" عد إلى هذا العصر الذهبي الذي تباهى به الشعراء ، ستجد أنه عصر الإهمال ... من كل ذلك يستنتج أن الإهمال يخرج من الجنس الطيب الذي يعجب الآلهة ، و لا يعجب إطلاقا الحكماء و يساهم في الفضائل و يعلم التسامح ، و هو في مأمن من المخاطر التي نعدها على أساس الخير الذي تفعله ، نتجاوز عن أخطائها و في النهاية يصرح بأنها ذهب" ¹³⁹.

نبه فرونطو ماركوس أوريليوس إلى العصر الذي يعيشان فيه ، فيقول أنه يوصف بالعصر الذهبي من قبل الشعراء ، لكنه بالنسبة له هو عصر الإهمال. لأن من خصائص الإهمال في نظر فرونطو التسامح و التساهل و الطيبة ¹⁴⁰ ، و هي خصال الأسرة الأنطونية .¹⁴¹ أراد هذا المعلم الخطيب مرة أخرى أن يفتن تلميذه إلى الأخطار التي تحيط بالإمبراطورية ، و أن يأخذ حذره من طبيته و تسامحه مع الآخرين لأن في ذلك إهمال و الأعداء لا يجدون صعوبات في التهجم عليه .

¹³⁸ FRONTON, loc.cit

¹³⁹ Ibid

¹⁴⁰ Ibid.

¹⁴¹ CHARLES VICTOR DAREMBERG et EDMOND SAGLIO , loc.cit

ج - مغامرة آريون (L'aventure D'ARION) ، (أنظر الملحق رقم 13، ص.302).

هي قصة إغريقية تحدث عنها هيرودوت¹⁴² في الجزء الأول من كتاب التواريخ أعاد كتابتها فرونطو¹⁴³ و صاغها باللغة اللاتينية . و هذه القصة تروي حياة رجل يدعى آريون من مدينة كورنثيا * (Corinthe) ، وهو موسيقي له قيثارة و ثوب ذهبي يتنكر بهما في صورة امرأة . ذات يوم قرر السفر إلى السواحل الإيطالية و الإغريقية لكسب المال ، و بعد أن جمع ثروة طائلة فكر في العودة إلى موطنه ، فركب سفينة قراصنة كورنثيين . لكن هؤلاء طمعوا في ثروته فقرروا التخلص منه برميهِ في البحر . استطاع آريون النجاة بفضل دلفين التقطه و نقله إلى الشاطئ و من ثم توجه إلى ملك كورنثيا و قص عليه مغامرته . انتظر الملك قدوم القراصنة الذي استضافهم بصدر رحب ثم سألهم عن أحوال آريون ، فأجابوا أنه غني و محاط بالشهرة و أنهم تركوه بتارونت ** (Tarente) وإذا بآريون يظهر في مؤخرة السفينة بقيثارته لابسا ثوبه الذهبي ، و بهذا انكشفت مؤامرة القراصنة. قص فرونطو هذه المغامرة من باب المطالعة و توسيع ثقافة ماركوس أوريليوس و الينا مقطع مما تبقى من هذا المقال :

¹⁴² HERODOTE , Histoire , livre I . 16 , trad. . PIERRE GIGUET , Paris , 1864

¹⁴³ FRONTON , l'aventure d'ARION.

* كورنثيا : مدينة إغريقية قديمة تقع على شريط ضيق يربط البلوبونيز باليونان وكانت منافسة لأثينا و اسيرطة . دمرها الرومان سنة 146 ق.م ، المزيد من المعلومات أنظر :

www.histoire.fr/Rome à la conquête de l'Italie

** تارونت : مستعمرة إغريقية بجنوب إيطاليا تأسست في القرن الثامن قبل الميلاد ، و احتلها الرومان في سنة 272 ق.م ، المزيد من المعلومات أنظر :

M.CORSONO, Spart et Tarente : **le mythe de fondation d'une colonie**, R.H.R ,1979,volume 196,Numéro . 2 , pp.113 – 140

" آريون سحاقي ، الأول من خلال الروايات الإغريقية ، بالقتارة و القصيدة العاطفية ذهب لكسب المال ، جمع ثروات كبيرة من سواحل صقلية و ايطاليا واستعد للمرور ثانية من تارونت إلى كورنثيا . اختار كورنثيين كرفقاء ، ووضع بدون ارتياب ثروته على السفينة ، عندما وصلت هذه الأخيرة وسط البحر لاحظ أن الذين نقلوه ، كانوا يتلهفون أيضا لامتلاك ثروته ، وفكروا في موته. أتعبهم بالتوسلات على أن يأخذوا ذهبه ، و يتركون له الحياة فقط . لم يستطع تلطيفهم و حصل منهم على شفقة أخرى و هي أن يغني قدر ما يستطيع ، على عتبة الحياة ، و اللصوص ينظرون إليه كريح يضاف إلى الغنائم ... " .¹⁴⁴

الخلاصة

أهم ما توصلنا إليه في نهاية هذا الفصل أن فرونطو شخصية متميزة خلال القرن الثاني الميلادي ، و كان يعتر كثيرا بأصوله الإفريقية وبوطنه نوميديا . استقبل الكثير من أبناء وطنه في بيته و مدرسته بروما حيث علمهم القانون وفنون الخطابة والبلاغة. اعترافا بالجميل أقام له سكان نوميديا نصبا تذكاريًا لتشريفه نقش عليه اسمه ووظائفه . تقلد عدة مناصب سياسية ، و اكتسب خبرة واسعة في أمور السياسة و الإدارة .

يبدو من خلال مراسلاته أنه كان شديد الغضب على النبلاء الطغاة ، وذلك يعود إلى الظروف السياسية التي ترعرع فيها ، حيث بسط الاحتلال الروماني نفوذه على كل بلاد المغرب القديم وأقام الليمس كحاجز دفاعي عن مصالحه ووقائي من هجمات الأهالي من الجنوب الصحراوي ، الذين رفضوا الاستسلام و التنازل عن أراضيهم التي أخذها الأرسقراطيون الطغاة ، لذلك و وصفهم بالقلوب القاسية التي لا تعرف إلا الجشع ، و نجح في توجيه أمراء الرومان نحو الصالح العام وغرس فيهم مفهوم الدولة و القانون ، إذ قال ماركوس أوريليوس أنه تعلم من فرونطو عدة حقائق و كل

¹⁴⁴ FRONTON , loc.cit

ما يمكن أن يشعر به الطاغية من غيرة و يكون له النفاق و التحايل و أن الذين نسميهم النبلاء لديهم في الغالب قليلا من الخير و العاطفة في القلب.

من خصال فرونطو الكرم و النزاهة و التقوى حيث بين ذلك عمليا بإخلاصه و نزاهته في العمل أثناء أداء مهام المحاماة ، و لم تمنعه الصداقة و لا القرابة على أن لا يكون نزيها فقد وقف ضد رجال كانوا من قبل أصدقاء له أمثال : هيروود أتيكوس و نيجر سونصوريوس عندما تجاوزا حدود القانون .
دافع عن المظلومين في شرق و غرب الإمبراطورية الرومانية منهم البيثيين بآسيا الصغرى و سكان بتوليماس بفينيقيا و كذلك القرطاجيين ، واكتسب بذلك سمعة طيبة و شهرة كبيرة في المحاكم بفضل بلاغته و قوة حججه .

لفرونطو علاقات حميمية مع المؤرخ الإغريقي أبيان الاسكندري ، لقد توسط لصالحه لدى الإمبراطور أنطونينوس التقي لترقيته إلى منصب وكيل الإمبراطور .
كان هذا المعلم تقيا وصادقا في مشاعره و قدوة لتلامذته الذين تأثروا كثيرا بخصاله إذ قال ماركوس أوريليوس أنه تعلم من أستاذه أن يقول الحق ، و شهد له الإمبراطور أنطونينوس التقي أنه عرف فيه كل الصدق .

ترك فرونطو أعمالا كثيرة من مراسلات و خطب و مقالات و كتب ، لكن معظمها ضاع و لم يبق منها إلا بعض الأجزاء المحفوظة في مكتبة أمبروزيان بمدينة ميلانو الإيطالية و في الفاتيكان بروما ، وتولى نشرها الأسقف الإيطالي أونجلي ماي سنة 1815م .

إنجازات فرونطو لها أهداف تربوية و تثقيفية و أبعاد سياسية فعلى سبيل المثال المقال الذي كتبه حول موضوع الإهمال ، كان هدفه لفت انتباه ماركوس أوريليوس إلى الأخطار التي تحيط بالإمبراطورية الرومانية و أن يأخذ حذره من طبيئته و تسامحه و تساهله مع جميع الناس ، و يرى في ذلك إهمالا و الأعداء لا يجدون أية صعوبة في التهجم عليه .

و لاحظنا أيضا أن المواضيع التي تناولها هذا الخطيب متنوعة و هادفة ما يدل على اطلاعه الواسع على كتب القدامى . كما أن له مبادئ ثابتة في مواقفه التي تعكس الخصال التي اتصف بها من صدق و نزاهة و عدالة و تقوى و نبذه للاستبداد و حكم الطغاة ، كما له خبرة و معرفة أهله ليتبوا مكانة بارزة في القرن الثاني الميلادي . اختياره من طرف الإمبراطور أنطونينوس التقي ليكون معلما لأمرء الإمبراطورية الرومانية لم يكن من باب الصدفة ، بل كان ذلك على أساس كفاءته العلمية و الأدبية و التربوية ، لقد درس القانون و العلوم المختلفة و اكتسب أساليباً بيداغوجية مكنته من وضع منهج تعليمي تربوي سنوضحه في الفصل الثالث تحت عنوان :

" منهج فرونطو و تعليم مارك أورل من خلال المراسلات " .

عان فرونطو كثيرا من تدهور أوضاعه الصحية حتى وفاته سنة 175م بروما ، و أقام له ماركوس أوريليوس تمثالا تذكاريًا في مجلس الشيوخ .

الفصل الثاني

حياة و أعمال ماركوس أوريليوس

أولاً : حياة ماركوس أوريليوس

ثانياً : أعمال ماركوس أوريليوس

أولا : حياة ماركوس أوريليوس

1 - نشأته :

ماركوس أوريليوس إمبراطور روماني حكم من 8 مارس 161م إلى 17 مارس 180م¹. ولد في روما يوم 26 أبريل 121م . ينحدر من أسرة مالكة ثرية من أصول اسبانية . والده يدعى أنيوس فيروس (ANNIUS VERUS) مات و هو في منصب القاضي (préteur) و أمه هي دومينا كالفيلا (DOMINA CALVILLA) ابنة كالفيسيوس تولوس (CALVISIUS TULLUS) الذي كان عضوا في مجلس الشيوخ طيلة عهدتين . أما جده من أبيه اسمه هو الآخر أنيوس فيروس (ANNIUS VERUS) ، فقد كان قنصلا (consul) ثم حاكما لمدينة روما (préfet) . أما جدته هي روبيلي فوستين (RUPILIE FAUSTINE)² ابنة القنصل روبيليوس بونوس (RUPILIUS BONUS)³ ، وجده الأكبر من أبيه اسمه أنيوس فيروس ، كان عضوا في مجلس الشيوخ بعد أن مارس منصب القضاء (préture) في بلدية سوكوب (SUCCUBE) باسبانيا⁴ . و فيما يتعلق بجده الأكبر من أمه فهو كاتيليوس سفير (CATILIUS SEVERE) الذي اشتغل قنصلا ثم حاكما لمدينة روما⁵ . حمل مارك أورل في البداية اسم أجداد أبيه و أمه " أنيوس فيروس " وكاتيليوس سفير⁶ ، لكن بعد وفاة والده الذي تركه طفلا صغيرا رباه جده

¹CHARLES VICTOR DAREMBERG et EDMOND SAGLIO , loc.cit

²Ibid.

³CAPITOLIN,Histoire AUGuste – vie de MARC AURELE , I , trad . M.VALTON , Paris ,1844

⁴Ibid.

⁵Ibid.

⁶Ibid.

أنيوس فيروس ، ولقبه فيما بعد الإمبراطور هادريانوس بأنيوس فيريسموس (ANNIUS VERISSIMUS) لما كان يتصف به من قول الصدق ولهذا تعلق به و أحبه كثيرا⁷ ، و علمه ركوب الخيل و عمره ست سنوات كما أدخله مدرسة كهنة الإله مارس (Collège des saliens)⁸ . ارتدى ماركوس أوريليوس حلة الرجولة (La toge virile) في السن الخامسة عشرة⁹ .

يذكر المؤرخ كابيتولينوس أنه كان يفضل النوم على الأرض بدلا من السرير الفاخر وعمره آنذاك لا يتجاوز الاثني عشرة سنة¹⁰ ، و بإلحاح من أمه يقبل وضع بعض الأغذية على فراشه¹¹ .

تعلم ماركوس أوريليوس على يد أبرز معلمي ذلك العصر منهم : أفوريوس (EUPHORION) في الأدب ، أندرون (ANDRON) في الهندسة و الموسيقى ، ألكسندر (ALEXANDRE) في اللغة الإغريقية و في اللغة اللاتينية كل من : تروسيوس أبير (TROSIUS APER) بوليون (POLLION) أوتيكيوس بروكولوس (EUTYCHIUS POROCULUS)¹² . أما الخطابة الإغريقية فقد تعلمها على يد أنيوس ماركوس (ANNIUS MARCUS) وكانينيوس كيلر (CANINIUS CELER) و كذا هيرود أتيكوس (HERODE ATTICUS) و فرونطو علمه الخطابة اللاتينية¹³ .

⁷CAPITOLIN. , IV

⁸Ibid.

⁹Ibid.

¹⁰Ibid ,II

¹¹Ibid.

¹² Ibid

¹³Ibid

2 - مبادئ و خصال ماركوس أوريليوس:

كان ماركوس أوريليوس متخلقا و متميزا بكل الصفات الحميدة و الإنسانية مثل: التواضع و التمسك بالحق و الطيبة و الإحسان ، وكان ثابتا في مواقفه و صبورا في أوقات الشدائد كالمرض و الأزمات ، و قد عبر بنفسه في كتابه (التأملات) عن هذه الخصال و المبادئ ، و نقرأ ذلك في الفقرات الآتية :

1 - التواضع :

" من روستيكوس* (RUSTICUS)، أدركت أنه علي إصلاح و مراقبة مزاجي لا أسمح لنفسي بالذهاب إلى بدع السفسطة** ، لا أكتب على العلوم المجردة*** ، لا أعبر عن المواعظ الصغيرة بطريقة معقدة ، لا أسعى لضرب الخيال ببروزي كرجل مليء بالنشاط و الإحسان ، أن أدافع عن نفسي من كل صور البيان ، و من كل أنماط الشعر و التظاهر في الأسلوب . أنا مدين له على أنه لم يكن لدي غباء التجول بفستان طويل في المنزل و أن أدافع عن نفسي من هذه العادات المخنثة أكتب دون أي ادعاء¹⁴ .

" من أبولونوس****(APPOLONUS)، تعلمت أن يكون لدي فكر حر و أن أكون حاسما دون تردد ، و لا أنظر أبدا إلا إلى الحق ، دون أن أنحرف و لو لحظة واحدة . " ¹⁵

*روستيكيوس : أستاذ في الفلسفة الرواقية ، المزيد من المعلومات أنظر : CAPITOLIN ,chapitre III

** السفسطة : اتجاه فكري نشأ في اليونان عند الإغريق في القرن الخامس قبل الميلاد و تعني الجدل بالخطأ و التضليل ، المزيد من المعلومات أنظر : أبي سعيد محمد بن مصطفى الخادمي ، البرقية المحمدية ، الجزء الثاني / دار الكتب العلمية ، لبنان ، 1971 ، ص.18

*** العلوم المجردة : هي العلوم التي تعتمد على دراسة الظواهر القابلة للملاحظة و الاستدلال فيها يكون رياضيا . المزيد من المعلومات أنظر : أطهار محمد مورسي ، العلوم المجردة و العلوم التطبيقية ، المملكة المتحدة ، مقال منشور في الموقع :

www.htcourses.ae/study, 25/03/2015

**** أبولونوس : أحد معلمي مارك أورل في الفلسفة الرواقية خلال القرن الثاني الميلاد ، أنظر: CAPITOLIN,II

¹⁴MARC AURELE , pensées ,VII

¹⁵ Ibid , VIII

يظهر في هذه الفقرات التوجه الأخلاقي في فكر ماركوس أوريليوس حيث صرح بوضوح التزامه بالتربية الروحية ، و سطر نهجا لعقيدته على أساس الأخلاق و الفضيلة ، و أنه لا تهمة العلوم الدقيقة المجردة القائمة على أساس الملاحظة دون الأخلاق . كما ذكر أيضا أنه سيراقب أفعاله و سلوكاته من أي انزلاق إلى البدع و الخرافات ، هذا ما يدل على قناعته و إيمانه القوي بصلاح و استقامة عقيدته ، و ذلك بالوقوف إلى جانب الحق ونصرة المظلوم و تطبيق العدل في مختلف مجالات الحياة .

ب - الصبر عند الشدائد :

عبر ماركوس أوريليوس عن تحليه بالصبر عند الشدائد من خلال ثنائيه على أستاذه أبولونوس حيث قال :

"... و أن أحتفظ دائما بروح سوية قوية ضد الآلام الشديدة كفقدان ابن مثلا أو عند الأمراض المزمنة ، رأيت فيه (أبولونوس) بكل وضوح المثل الحي ... و أن لا نكون أبدا غليظا في التعليم ، و قدم لي مشهدا رائعا للرجل الذي يعرف كيف ينقل العلم إلى غيره ..."¹⁶.

ج- الطيبة و الإحسان :

يواصل ماركوس أوريليوس الاعتراف بجميل أساتذته و أشار إلى الطيبة

و الإحسان في التصريح الآتي :

" من سكتوس* (SEXTUS) تعلمت معنى العطف ، و المعنى الحقيقي للعائلة الأبوية و المعنى الحقيقي للأخلاق ، و العيش حسب قواعد الطبيعة و الوفاق دون غرور . وأن

¹⁶MARC AUREL , VIII

*سكتوس : حفيد المؤرخ الإغريقي بلوناك (PLUTARQUE) ذو اتجاه رواقى، المزيد من المعلومات أنظر: CAPITOLIN , III

أكون الأكثر قدرة على عدم التأثر و في نفس الوقت الأكثر عطفًا بين الرجال و حب قول الخير في الناس وأخيرا تعليما واسعا دون مبالاة . "17.

" عن طريق ألكسندر ** (ALEXANDRE) النحوي ، تعلمت أن لا أجرح الناس أبدا ، و لا أصدّمهم بفظاظة جارحة لفعل بريي يكونون قد ارتكبوه ، أو لصيغة خاطئة أو لهجة فلتت منهم . أن أكون معتدلا في الحوار... "18

" تعلمت من فرونطو ، أن أخالف كل ما يمكن أن يشعر به الطاغية من غيرة و يكون له النفاق و التحايل ، و كم من الذين نسميهم النبلاء لديهم في الغالب قليلا من الخير و العاطفة في القلب " 19 .

من خلال هذه التصريحات تظهر مبادئ و خصال ماركوس أوريليوس التي عبر عنها بكل قناعة ، و أن من أساتذته تعلم معنى التواضع و أن يحيى حياة طبيعية بعيدا عن كل أنواع التباهي و الرياء ، وأن يكون صبورا في أوقات الأزمات و الشدائد كفقدان الابن مثلا أو أثناء المرض و الألم ، ويقول أنه بفضلهم تعلم أيضا احترام الغير وعدم تجريحه حتى و لو كان ظالما ، وأن يكون هادئا حنونا و عادلا مع الناس وذكرهم بالخير ، وأن لا يكون طاغية ، يقول أن الطغاة لديهم النفاق و التحايل وبعض النبلاء لديهم القليل من الخير و الحب في القلب .

¹⁷MARC AURELE ,op.cit ,IX

** ألكسندر : أحد معلمي ماركوس أوريليوس في اللغة الإغريقية ، المزيد من المعلومات أنظر : CAPITOLIN , loc.cit

¹⁸MARC AURELE , X

¹⁹Ibid,XI

يتبين من هذه المبادئ أن قلب ماركوس أوريليوس طيب جدا لا يعرف الحقد أبدا ،
وقال أيضا أنه تعلم مفهوم دولة القانون²⁰ ، ونقرأ ذلك في هذا النص:

" من أخي سيفيروس* (SEVERUS) ، تعلمت أن أحب العائلة ، أن أحب الحق أن
أحب الصحيح ، بفضل قدرته كل من : ترازياس** (THRASEAS) هلفيديوس***
(HELVIDIUS) ، كاتو**** (CATON) ديون***** (DION) و بروتوس*****
(BRUTUS) ، استطعت أن أكون فكرة عن مفهوم الدولة التي يسود فيها العدل في
تطبيق القوانين ، بالمساواة بين المواطنين ، يتمتعون بالحقوق ، و لدي فكرة عن
المملكة التي تحترم كل الحريات ..."²¹

بين ماركوس أوريليوس في هذا القول سبب حبه لسيفيروس ، أن هذا الأخير علمه
الفضائل وتقدير كل من يدعو إليها أمثال : ترازياس ، هلفيديوس ، كاتو الأوتيكي ،
ديون ، بروتوس . و أنه بذلك استطاع تكوين فكرة عن مفهوم الدولة التي يسود فيها
العدل والمساواة ، التي تحترم جميع الحريات .

²⁰ MARC AURELE , XIV

*سيفيروس: هو قريب حميم لمارك أورل و اسمه كلوديوس سفسروس ، المزيد من المعلومات أنظر : CAPITOLIN , III

** ترازياس : فيلسوف رواقى و عضو في مجلس الشيوخ الرومانى عاش في عهد حكم نيرون ، و هو الذي كتب تاريخ كاتو الأوتيكي ،
المزيد من المعلومات أنظر : www.universelleancienne.com/books/dz/biographie

*** هلفيديوس : اسمه هلفيديوس بريسكوس ، صهر ترازياس ، المزيد من المعلومات أنظر :
www.britannica.com/helvidiuspriscus

**** كاتو: المقصود به كاتو الأوتيكي ، المزيد من المعلومات أنظر : CAPITOLIN , III

***** ديون : تلميذ أفلاطون ولد في بداية القرن الخامس قبل الميلادى يؤمن بالفضيلة . المزيد من المعلومات أنظر :
PLUTARQUE , tome IV : DION

***** بروتوس : صديق وقاتل قيصر ، المزيد من المعلومات أنظر :
CHARLES VICTOR DAREMBERG et EDMOND SAGLIO , loc.cit

²¹ MARC AURELE ,loc.cit

هذه هي المبادئ التي تعلق بها هذا الإمبراطور لأنها بالنسبة إليه تجعل الناس إخوة ولهذا نادي قريبه سفيروس بالأخ²².

د - الثبات :

يذكر ماركوس أوريليوس أنه تلقى أيضا فضائلا أخرى من الفيلسوف الرواقي ماكسيموس (MAXIMUS)²³ كمبدأ الثبات ، وقال :

" من ماكسيموس ، تعلمت معنى أن يكون الإنسان سيد نفسه ، و أن لا يتردد في قراره و أن يتحمل بقلب طيب كل الظروف بما فيها الأمراض و يلف شخصيته بمزيج من اللطافة والثبات ... و ليستتشق الجميع هذه القناعة عندما نتكلم نقول دائما ما نفكر فيه ، و تكون لدينا نية حسنة أثناء ردود أفعالنا و لا نتعجب من أي شيء ، ولا نضر...²⁴.

تواضع ماركوس أوريليوس كثيرا مع جميع الناس و كان لا يحب كل مختال فخور ويؤكد على ذلك قائلا :

"... أن أكون خدوما لإنسان متواضع ، أخيرا أن أكون أنيسا مع الجميع"²⁵ .

ظل مارك أورل يتذكر دائما فضل معلميه دون أن ينسى فضل أبيه بالتبني " أنطونان التقي" حيث يقول :

" من أبي بالتبني ، تعلمت الطيبة ، الثبات في الأحكام الناضجة ، الاستخفاف بالشرف المزيف الذي يغوي الغرور ، أن أكون شغوبا بالعمل ، الاستعداد للإصغاء

²² CAPITOLIN ,III

²³ Ibid.

²⁴ MARC AURELE , XV

²⁵ Ibid.

إلى كل الأفكار التي تفيد مصلحة الشعب ... ، استقلالية الفكر و السكينة في كل شيء ، التنبؤ على المدى البعيد و اليقظة في ضبط أبسط الأشياء ... ، الحذر من صد الهتافات الشعبية و كل أشكال الإطراء ، الاقتصاد في الثروات الضرورية للدولة ، التخفيض من نفقات الاحتفالات ، التقوى دون الخرافة تجاه الآلهة ، الكرامة مع الشعب ...²⁶ .

حمد ماركوس أوريليوس الآلهة التي وهبت له مثل هؤلاء الآباء والمعلمين صالحين وكذلك الأقارب و الأصدقاء و في هذا الشأن كتب :

" أنا مدين للآلهة التي منحتني أجدادا صالحين و آباء صالحين و أختاصالحة و معلمين صالحين ، و كذلك الخدم ،أصدقاء صالحين، كل شيء تقريبا ".²⁷

تذكر بعض المصادر أن الإمبراطور أنطونينوس التقي قبل وفاته ، استدعى إلى منزله أصدقائه وكذلك الحكام (les préfets) ، و عين أمامهم خليفته ، و أخذ التمثال الذهبي و وضعه في بيت ماركوس أوريليوس أي خليفته ، لأن حسب تقاليد الرومان تمثال الثروة يوضع في بيت الإمبراطور .²⁸

وبمجرد تسلم ماركوس أوريليوس الحكم عقب وفاة أبيه بالتبني (أنطونينوس التقي) أشرك أخاه لوكيوس فيروس في حكم الإمبراطورية²⁹ ، وكان ذلك ضد إرادة مجلس الشيوخ الذي يود أن لا يشارك ماركوس أوريليوس أحدا في الحكم³⁰ ، كما قدم لقرينه موميوس كادراتوس (MUMMIUS QUADRATUS) ابن أخته أنياكورنيسيا

²⁶ MARC AURELE, XVI

²⁷ Ibid, XVII

²⁸ CAPITOLIN, VII

²⁹ ديون كسيوس ، التاريخ الروماني ، الجزء العاشر ، الكتاب .LXXI. الفقرة. 1 ، ترجمة مصطفى غطيس ، طنجة ، 2013

³⁰ CAPITOLIN, loc.cit; FRANZ DE CHAMPAGNY, op.cit, VI. 2

(ANNIA CORNIFICIA) بعد موتها جزء من ثروته³¹ ، علما أنه تنازل من قبل عن حقه لأخته ، عندما استدعته أمه لتقسيم الميراث و أجابها أن " ما ترك لي جدي يكفيني " .³²

3 - ظروف تولي ماركوس أوريليوس الحكم :

لم يمض وقتا طويلا على الحكم الثنائي لماركوس أوريليوس و لوكيوس فيروس حتى تعرضت الإمبراطورية الرومانية إلى أعنف كارثة طبيعية ، متمثلة في فيضان نهر التيبير* (Tibre) ، الذي خلف خسائر مادية كبيرة و هلاك الكثير من الحيوانات مما تسبب في انتشار المجاعة³³ . و بذل الإمبراطوران كل ما في وسعهما للتخفيف من أثر الكارثة . و في هذه الظروف شن البارثيون بقيادة ملكهم فولوجاس (VOLOGESE) حربا على الرومان . كما تحرك أيضا البرابرة الذين يسكنون على ضفاف نهر الدانوب وشنوا هم أيضا هجمات على الإمبراطورية الرومانية .³⁴ كلف ماركوس أوريليوس أخاه بمحاربة البارثيين رغم أنه كان يعد له زواجه من ابنته لوكيليا (LUCILLIA) ، بينما تفرغ هو لحرب البرابرة .³⁵

بعد انتصار لوكيوس فيروس على فولوجاس ، تذكر بعض المصادر³⁶ أنه تأمر على ماركوس أوريليوس ، لكنه هلك مسموما قبل أن يتأتى له الأمر ، و في هذا الشأن كتب ديون كسيوس:

³¹FRANZ DE CHAMPAGNY ,IV

³²Ibid

*التيبير : ثالث أكبر الأنهار في ايطاليا بعد نهري البو و أدبيج ينبع من جبال الابنين و يصب في البحر التيراني ، المزيد من المعلومات أنظر : François SIMOND , loc.cit

³³ CAPITOLIN,VIII

³⁴Ibid.

³⁵ ديون كسيوس ، المصدر السابق.

³⁶نفسه، الفقرة.2 .

" و زها الكبر لوكيوس بعد هذا الانتصار ، غير أن سعادته بنشوة انتصاره لم تدم طويلا ، لأنه حسب ما يقال ، تأمر على حمية مرقس أنطونينس ، وهلك مسموما قبل أن يتأتى له الأمر ."³⁷

بعد وفاة أخيه عين ماركوس أوريليوس القائد كاسيوس (CASSIUS) حاكما على آسيا وواصل هو الحرب ضد البرابرة وهم : الايازيج* (Les Lazyges) و الماركومانينون** (Les Marcomans) ، واختار بنونيا*** (La Pannonie) قاعدة لعملياته .³⁸ في نفس الوقت شن السلتيون**** (Les Celtes) غارات على ايطاليا ، مما زاد في الرومان قلقا كبيرا .³⁹ فوضع ماركوس أوريليوس بعد ذلك قواته تحت قيادة بوميانوس (POMPEIANUS) و بيرتيناكس (PERTINAX)⁴⁰ .

كان ماركوس أوريليوس أثناء الحرب و في هدنة ، حرصا على تطبيق الحكم بالعدل بين جنوده ، يحقق في القضايا المرفوعة إليه تحقيقا مطولا قبل أن

³⁷ ديون كسيوس ، المصدر السابق .

* الايازيج : شعب من الشعوب الهندوأوروبية هاجرت من آسيا الوسطى التي استقرت على ضفاف نهر الدانوب، اشتهروا بالفروسية و الروح العسكرية .أنظر : www.enc.kacemb.com

**الماركومانينون : هم الجرمان الغربيون استقروا قديما ما بين نهري الألب و الأودر، والتسمية تعني رجال الحدود . أنظر : www.cosmovision.com / chromo Marcomans

***بنونيا : مقاطعة رومانية تقع بمحاذاة نهر الدانوب شمالا ما يقابل حاليا هنغاريا و جزء من سلوفينيا و صربيا . أنظر : www.comovision.com/pannonie

³⁸ ديون كسيوس ، المصدر السابق السابق.

**** السلتيون : شعب من شعوب الهندوأوروبية استقرت منذ القديم في جزر بريطانيا . أنظر :

www.arbre.Celtique/etude

³⁹ ديون كسيوس ، المصدر السابق.

⁴⁰ نفسه.

يصدر أي حكم ، ويسهر على القيام بواجباته على أحسن وجه لشدة شعوره بروح المسؤولية . ويذكر ديون كسيوس في هذا الموضوع ما يلي :

" أما فيما يخص الإمبراطور ، فإنه كان ، كلما وضعت الحرب أوزارها يحكم بالعدل و يسهر على ضبط الوقت المخصص لهيئة الدفاع و يحقق في القضايا تحقيقا طويلا حتى يقضي بين الخصوم بالعدل . و كان يخصص غالبا أحد عشر أو اثني عشر يوما لنفس القضية قبل أن ينطق بالحكم ، و أحيانا كان يبقى على كرسي محكمته حتى إلى الليل وهو يحقق في القضايا المرفوعة إليه لأنه يحب العمل ، و كان يقوم بكل واجبات السلطة ، و لم يقصر أبدا في كلامه أو كتابته أو عمله ، بل انه كان أحيانا عكس ذلك ، يخصص أياما بكاملها للقضايا الأكثر بساطة لاقتناعه بأن الإمبراطور لا ينبغي له أن يتصرف بتهور و أن أقل تهاون من طرفه قد يسئ إلى سائر أعماله ... " ⁴¹ . بعد خوض عدة معارك ، بدأ ماركوس أوريليوس يخضع البرابرة الواحدة تلو الأخرى ، و في خضم هذه الحروب اندلعت حرب أهلية في سوريا قادها كاسيوس، مما اضطر ماركوس أوريليوس إلى التفاوض مع الإيازيج ⁴² للتفرغ لتلك الثورة و إخمادها وانتهت بمقتل كاسيوس و ابنه ميكيانوس على يد جنوده ⁴³ . بالرغم من ذلك أمر ماركوس أوريليوس بدفن كاسيوس ، وطلب من مجلس الشيوخ تخفيف العقوبات على المتورطين ⁴⁴ ، و عفا على جميع سكان المدن التي شاركت في هذه الثورة . ⁴⁵ تأسف ماركوس أوريليوس كثيرا على ما أقدم إليه كاسيوس ، و ألقى خطابا على مسامع الجنود جاء فيه :

⁴¹ ديون كسيوس ، المصدر السابق .
⁴² نفسه .

⁴³ CAPITOLIN ,XXV

⁴⁴ Ibid.

⁴⁵ Ibid.

" رفاق السلاح ، أتيت إلى هنا لأصف لكم ألمي أكثر من رغبتني في تفجير غضبي .
 فبالفعل ، بما أن الآلهة تتحكم في كل شيء بسلطة مطلقة ، فما جدوى أن يغتاز المرء
 منها ؟ لكن، قد يضطر المرء أن يشكو عندما يكون تعيسا من غير أن يستحق ذلك ،
 و هو ما يحدث لي في هذا الوقت . أليس شيئا فظيحا أن تنتشب حرب تلوى الأخرى
 دون توقف ؟ أليس أمرا غريبا أن نخوض غمار حرب أهلية ؟ و الأفطع و الأعجب
 من هذا هو أن ينعدم الوفاء بين الناس انعداما ، و أن يخونني أعز أصدقائي
 و أدخل رغم أنفي في صراع مع رجل لم أرد آذنه ولم أهناه قط . فأبي فضيلة و أي
 صداقة يمكن الاعتقاد بها ، وقد عرفت المصير الذي عرفته ؟ فهل مات الوفاء و كذا
 الأمل الجميل؟ و لو كان هذا الخطر لا يهدد إلا شخصي ، لما جزعت البتة (فلمست
 خالدا) ، و لكن ، بما أن الأمر يتعلق بخيانة علنية ، أو على الأصح بتمرد و حرب
 سيصيبنا شرها جميعا ، أود لو كان الأمر ممكنا ، استدعاء كاسيوس ليناقدش معي
 بخصوص أطماعه أمامكم أو أمام السيناتو وسأكون مسرورا بالتنازل له عن السلطة
 دون قتال لو كان في ذلك فائدة ترجى للصالح العام . فمن أجل هذا الصالح العام
 مازلت مصرا على تحدي التعب و الخطر، و باق هنا بعيدا عن ايطاليا ، في هذه
 السن و بصحة كهذه ، حيث لا يمكنني أن أتناول طعاما دون أن أتوجع و لا
 أستمتع بالنوم دون أن يشجيني هذا الأمر"⁴⁶ .

فيما يتعلق بقضية كاسيوس، تذكر المصادر أنه تأمر مع فوستين (FAUSTINE)

زوجة ماركوس أوريليوس ابنة الإمبراطور أنطونينوس النقي ، عندما رأت صحة
 زوجها في تدهور و خوفا من أن يستولي أحد آخر على السلطة و ابنها

⁴⁶ مارك أورل ، نقلا عن ديون كسيوس ، المصدر السابق .

كومود (COMMODE) لا زال صغيرا ، فضلت التآمر مع كاسيوس و أن يتزوج بها في حالة وفاة زوجها . و في إطار هذه المؤامرة قام كاسيوس بنشر اشاعة وفاة ماركوس أوريليوس و قرر الاستيلاء على الحكم بالسلاح⁴⁷ . و قيل أنه انتخب من طرف الجنود الذين كانوا وقتئذ في بنونيا⁴⁸ . حين كان ماركوس أوريليوس في حرب مع البرابرة⁴⁹ ، وصله خبر تلك الثورة واضطر إلى التفاوض مع الايازيج و سار بجيوشه لملاقاة كاسيوس⁵⁰ بعد إلقاء الخطبة السابقة التي عبر فيها عن ألمه و أسفه على ما أقدم عليه صديقه كاسيوس . و كان يتمنى لو صارحه بأطماعه و هو على قيد الحياة ، وقال أنه قد يتنازل عن السلطة أمام مجلس الشيوخ ، لكنه ما دام اعتدى على المصلحة العامة يستوجب الدفاع عنها .⁵¹

بالرغم من هذه الخيانة ، عفا ماركوس أوريليوس عن المذنبين ، و قال أنه سيظل صديقا وفيا حتى مع من تنكر للصدقة ، و لا يجرح أحدا ويكون صفوحا . وقد أشار إلى ذلك حين ألقى الخطاب عل جنوده حيث قال :

" ... فائدة لم يجنها أي إنسان قط . و ما عساها تكون هذه الفائدة ؟ إنها الصفح عن السب ، و أن أظل صديقا بالرغم من التنكر للصدقة ؟ و أن أبقى وفيا بالرغم من قلة الوفاء . و ربما قد تبدو لكم هذه الكلمات غير مألوفة ، غير أنه لا ينبغي لكم أن ترفضوا تصديقها ، فكل المشاعر النبيلة لم تنزل تماما في بني الإنسان ، فما زالت بيننا بقايا من الفضيلة القديمة . و إذا لم أصدق فيما أقول ، فان رغبتني لن تزداد إلا اشتدادا في جعل ما لا يعتقد الناس في إمكانية تحقيقه أمرا محققا ..."⁵²

⁴⁷ ديون كسيوس ، المصدر السابق

⁴⁸ نفسه .

⁴⁹ نفسه .

⁵⁰ CAPITOLIN, XVI

⁵¹ ديون كسيوس ، المصدر السابق .

⁵² مارك أورل ، المصدر السابق .

هذا ما قاله ماركوس أوريليوس للجند و ما كتبه في مراسلاته لمجلس الشيوخ⁵³ من دون أن يستعمل تعابير جارحة في حق كاسيوس . و من خلال جولته لزيارة الشعوب التي ساندت ذلك الثائر في تمرده ، كان حليما غفورا و لم يقتل أحدا . كما عفا على بعض أعضاء مجلس الشيوخ الذين ساعدوا كاسيوس في ثورته ولم يقدمهم أمام المحاكم و اكتفى بإرسالهم أمام مجلس الشيوخ للاعتراف بذنبهم⁵⁴ . و في خلال هذه الفترة ماتت زوجته فوستين في ظروف غامضة إما بسبب مرض النقرس (Gout) الذي كانت تعاني منه ، أو بسبب آخر حتى لا يثبت تواطؤها مع كاسيوس⁵⁵ . لكن هذا الاتهام الذي ذكرته المصادر هناك من فنده⁵⁶ ، استنادا لشهادة ماركوس أوريليوس على زوجته فوستين ، إذ قال : "... زوجتي من طبيعتها الطاعة و هي حنونة وبسيطة ... " ⁵⁷ .

وطلب من مجلس الشيوخ القيام بمراسم جنازية مقدسة تليق بمقامها و بناء معبدا لها⁵⁸ ، و أثنى عليها شاكرًا لها فضلها و على مرافقته في جميع حملاته العسكرية و أنها تستحق أن تلقب بأُم الجيوش .⁵⁹ أصدر مجلس الشيوخ مرسوما على شرف ماركوس أوريليوس و زوجته فوستين يقضي بنصب تماثيل من الفضة تمثلهما في هيكل فينوس* (Vénus) و روما (Rome) حيث سيقام المذبح⁶⁰ . و كذلك كلما

⁵³ ديون كسيوس ، المصدر السابق .

⁵⁴ نفسه .

⁵⁵ نفسه .

⁵⁶ ERNEST RENAN , FAUSTINE la jeune épouse de MARC AURELE , lu dans la séance publique annuelle des cinq académie , le 14 aout 1867 , File : ///c:/users/cilent desktop/FAUSTINE la jeune

⁵⁷ MARC AURELE , pensées , XVII

⁵⁸ CAPITOLIN , XXVI

⁵⁹ Ibid.

* فينوس : إلهة الجمال عند الرومان ، المزيد من المعلومات أنظر : CHAUD AUGUÉ , dictionnaire Larousse , Paris ,

1905, http://Venus

⁶⁰ ديون كسيوس ، المصدر السابق .

حضر الأمير عرضا في المسرح ، سيحضر تمثال من الذهب يمثل فوستين ، و سيوضع فوق كرسي عاجي في مكان الشرف من حيث كانت الأميرة و هي حية تتشاهد العرض المسرحي ، و أن سيدات روما ستجلس حول هذا التمثال⁶¹ . وأصدر أيضا قانونا آخرا يمنع على أي كان أن يمارس القيادة في إقليم ينحدر منه ، لأن كاسيوس تمرد عندما كان حاكما على سوريا حيث مولده و أصله⁶² .

كلفت تلك الحروب عجزا ماليا كبيرا في خزانة الدولة حتى اضطر ماركوس أوريليوس إلى البيع بالمزاد العلني في فروم (Forum) تراجانوس المقدس ، بعض الأثاث والمزهريات الذهبية وكؤوس من الكريستال و فساتينه من الذهب و الحرير و كذلك فساتين زوجته إضافة إلى حوالي ألف من المجوهرات⁶³ .

انتهج ماركوس أوريليوس هذه السياسة ليتجنب إرهاب المقاطعات الرومانية بالضرائب الباهظة⁶⁴ و التمكن من تمويل الجيوش بسخاء⁶⁵ . لكن بعد نهاية الحروب استرجع ما يمكن استرجاعه دون الضغط على أحد⁶⁶ . حكم ماركوس أوريليوس الإمبراطورية بمفرده بعد فقدان أخيه . و كان معتدلا و طيبا مع جميع المقاطعات⁶⁷ ، و محبوبا من قبل المواطنين إذ فيهم من يناديه بالأب و البعض بالأخ و البعض الآخر بالابن حسب سنهم⁶⁸ . ذلك يدل على طيبة قلب ماركوس أوريليوس الذي كرس حكمه في خدمة المصلحة العامة⁶⁹ .

⁶¹ ديون كسيوس ، المصدر السابق
⁶² نفسه .

⁶³EUTROPE , abrégé de l'histoire romaine , tad.N.A DUBOIS ,œuvre numérisées par SZWAJECER,paris,1865,livre. VIII

⁶⁴ CAPITOLIN,XVII

⁶⁵ EUTROPE ,loc.cit

⁶⁶ Ibid.

⁶⁷CAPITOLIN , loc.cit

⁶⁸Ibid

⁶⁹MARIE .HENRIETTE QUET ,éloge par AELIUS ,ARISTIDE des co. Empereurs MARC AURELE et LUCIUS VERUS ,à l'issue de la guerre contre les parthes , J.S , volume.1 ,N.1,2002,pp.75-150

وتذكر بعض المصادر أن هذا الإمبراطور كان متسامحا مع المسيحيين ، وأنهم كانوا من بين جنوده ⁷⁰ . يذكر ديون كسيوس ⁷¹ بخصوص هذا الموضوع أن ماركوس أوريليوس عندما أخضع الماركومانيين و الايازيج ، بعد خوض عدة معارك شن حربا عظمى على شعب يسمى الكواديين* (Les QUADES) ، و كان الحظ حليفه حين أحرز النصر ، و بالأصح حين مكنه الإله من النصر، خلافا لما كان يتوقع . وأن العناية الإلهية كانت وراء نجاة الرومان من الخطر الذي زجوا فيه بأنفسهم خلال المعركة ، و يقول أن الكواديين استغلوا موقعهم لتطويق الرومان الذين دافعوا عن أنفسهم ببسالة ، مستعملين تروسهم ، وتوقف البرابرة عن القتال آملين أن يستسلم العدو دون مقاومة بسبب الحر و العطش ثم استولوا على كل الأراضي المحيطة بساحة المعركة و حصنها بسد المنافذ و حالوا بذلك بين الرومان وبين المناهل ، لأنهم كانوا أكثر عددا . وبينما كان الرومان في الرمق الأخير بسبب التعب و الجراح و الشمس و العطش ، لا قدرة لهم على القتال ، عاجزين عن التراجع واقفين في صفوفهم ، كل في مكانه وقد التهمهم الحر ، فجأة ، تغيمت السماء ثم أمطرت بغزارة ، ولم تكن لتفعل ذلك لولا اللطف الإلهي . ⁷²

هذه الاستجابة الإلهية التي أشار إليها ديون كسيوس ، يذكر بعض المؤرخين أنها بفضل دعاء الجنود المسيحيين وقت المعركة ، عندما كان ماركوس أوريليوس في حيرة من أمره نظرا للظروف التي كان يعيشها، حيث كان خائفا على مصير الجيش

⁷⁰ ERNEST RENAN ,MARC AURELE et la fin du monde antique ,Calmann-Lévy,1882,chapitre XVII,pp.273-288

⁷¹ ديون كسيوس ، المصدر السابق.
*الكواديين : شعب من الشعوب الجرمانية دخلوا في حرب ضد الرومان في عهد الإمبراطور مارك أورل وابنه كومود ، المزيد من المعلومات أنظر : CHAUD Augué , loc.cit

⁷² ديون كسيوس ، المصدر السابق .

بأسره. قدم إليه أحد قادة جيشه ، و أخبره بأن أولئك الجنود الذين يسمون بالمسيحيين ، دعواتهم مستجابة إذا دعوا ، فطلب منهم ماركوس أوريليوس أن يدعوا ربهم . فأجاب الرب دعوتهم على الفور ، وأرسل الصواعق على الأعداء وسقطت الأمطار بغزارة ، و كان ذلك لطفا على الرومان. فرح حينئذ الإمبراطور بهذا النصر ، وكرم المسيحيين و لقب فرقتهم بالملتهبة (Fulminante) ⁷³. لكن ديون كسيوس كتم هذه الحقيقة وأرجع ذلك الفضل إلى كاهن مصري يدعى أرنوفيس (ARNUPHIS) الذي كان بصحبة ماركوس أوريليوس ⁷⁴ و أنه استغاث بعدة آلهة و خاصة الإله ميركوريوس السماوي (MERCURE Aérien) ⁷⁵ ، فلذلك تهاطلت الأمطار ⁷⁶ . و أهم ما كتبه ديون كسيوس في هذا الأمر :

" لما بدأ المطر في النزول ، رفع الكل أنظاره نحو السماء ...و بعد ذلك تلقى البعض ماء المطر بتروسه ، و البعض الآخر تلقاه بخوذته ، و شربوا شربا روييا ثم أرووا خيلهم ، و حتى لما أغار عليهم البرابرة ، كانوا يشربون و يحاربون في نفس المكان ، و بما أن الكثير منهم كان جريحا ، فان هؤلاء الجرحى كانوا يشربون الماء ممزوجا بالدم الذي يتدفق في خوذهم . و حيث أن معظمهم كان منهمكا في الشرب ، فان مباغثة العدو لهم كانت وشيكة القضاء عليهم ، لولا سقوط البرد بقوة على العدو و إصابته بعدة صواعق. و كان بوسع المرء أن يرى الماء و النار يتدفقان سويا من أعلى السماء . فالبعض كان يرتوي من الماء و يتبرد به ، و البعض الآخر كان

⁷³ERNEST RENAN ,loc.cit

⁷⁴ مصطفى غطيس ، تعليق على كتاب التاريخ الروماني لديون كسيوس ، الطبعة 1، طنجة ، 2013 ، الجزء العشر ، الكتاب LXXI. 9.

⁷⁵نفسه.

⁷⁶نفسه.

يحترق و يلقى حذفه . ولم تكن النار تصيب الرومان ، و حتى لما كانت تمسهم ألسنتها ، كانت تنطفئ على الفور أما المطر فعوض أن يفرج عن البرابرة فانه كان شأنه شأن الزيت ، يزيد النار التي تلتهمهم ... حتى أنهم كانوا يتهافتون على الماء و هم مبللون. و كان بعضهم يجرح نفسه بنفسه عسى أن يطفى النار بدمه ، و البعض الآخر يهرع إلى الرومان، و كأن لا سبيل إلى الماء إلا بفضلهم. ولقد أشفق مرقس أنطونينس عليهم، و نودي به إمبراطورا للمرة السابعة . و بالرغم من أنه لم يكن من عادته قبول لقب الشرف هذا قبل أن يمنحه إياه السيناتو ، فانه قبله هذه المرة و كأن إلها كرم بهذا اللقب ثم أخبر السيناتو بذلك ، أما فوستين ، فإنها لقبت بأمر المعسكر " ⁷⁷ . كتب مارك أورل في هذا الشأن رسالة إلى مجلس الشيوخ دافع فيها عن المسيحيين و طلب منه تجنب اضطهادهم أو قتلهم بسبب عقيدتهم ⁷⁸ . ومن عادته أيضا استئذان مجلس الشيوخ عند أخذ المال من خزينة الدولة ليس لأن المال لم يكن تحت تصرفه ⁷⁹ ، و لكن حسب قوله أن هذا المال و كذا كل شيء ملك مجلس الشيوخ و الشعب و قد صرح بذلك في إحدى خطبه قائلا : " نحن لا نملك شيئا ، و حتى الدار التي نسكنها هي من ملكهم " ⁸⁰ .

يؤمن ماركوس أوريليوس بأن الحياة فانية ولهذا كان تقيا ، وكثير التقرب إلى الآلهة إلى حد تقديم القرابين في داره ⁸¹ . و كانت له مزايا كثيرة إذ كرس معظم أيام حياته لأعمال الإحسان و ممارسة الفضيلة التي جعل لها هيكلها في الكابيتول (Le Capitole) . حاول قدر الإمكان تجنب الرذائل و الأخطاء. ⁸² أما أخطاء الآخرين

⁷⁷ ديون كسيوس ، المصدر السابق .

⁷⁸ ERNEST RENAN ,loc.cit

⁷⁹ ديون كسيوس ، المصدر السابق .

⁸⁰ ماركوس أوريليوس، نقلا عن ديون كسيوس ، نفسه.

⁸¹ ديون كسيوس ، المصدر السابق .

⁸² نفسه .

فقد كان يتجاوزها دون التحقيق في أمرها أو يعاقب مرتكبيها . بينما يثني على الصالحين ويذكر :

" بما أنه يستحيل على الإنسان أن يكون كما نود أن يكون ، فينبغي استعمال الناس كل في الميدان الذي سيسدي فيه خدمة للدولة " .⁸³

هكذا ثبت ماركوس أوريليوس على الإخلاص و الوفاء طيلة ممارسة الحكم .

وكانت غايته خدمة الدولة والصالح العام . ولقد بذل قصارى جهده من أجل ذلك رغم أنه كان يعاني من الضعف في صحته منذ وقت طويل السبب الذي اضطره إلى إتباع نظام غذائي خاص ، والينا إشارة إلى ذلك في إحدى مراسلاته مع فرونطو ، إذ يقول له : "... ثم ذهبنا لتناول الطعام ، تخيل ماذا أكلت ؟ قليل من الخبز ، في الوقت الذي رأيت الآخرين يفترسون المحار*، البصل و السردين."⁸⁴

وكان ماركوس أوريليوس يتناول على الدوام دواء يدعى الترياق ** خاصة عندما

كان في الحرب ضد البرابرة ، و يذكر ديون كسيوس في هذا الصدد ما يلي :

"... و يتناول ، دائما خلال الليل ، بعض الأكل . و لم يكن أبدا خلال النهار يأكل إلا الدواء المسمى بالترياق ، و كان يتناول ليس من باب الخوف ، بل لوهن معدته و صدره ، فالترياق ، حسب ما يقال ، كان يكسبه المناعة من الأمراض الأخرى و يخفف من وهنه . " .⁸⁵

⁸³ ماركوس أوريليوس المصدر السابق .

* المحار: نوع من الحيوانات الصدفية المائية ، يعيش في البحار و المحيطات . المزيد من المعلومات أنظر :

www.larousse.fr/huitre

⁸⁴ ماركوس أوريليوس ، الرسالة VI ، إلى فرونطو ، ترجمة . حسينة قادري .

** الترياق : مادة تحتوي على مضادات السموم ، المزيد من المعلومات أنظر :

www.larousse.fr/antidote/4042

⁸⁵ ديون كسيوس ، المصدر السابق.

استمر ماركوس أوريليوس في هذا الوضع إلى أن توفي في سنة 180م في إحدى حملاته على منطقة الدانوب⁸⁶ . بعد تعيين ابنه كومود (COMMODE) خليفة له . لكن هذا الأخير كان مخالفا لمبادئ و خصال والده ، و تذكر المصادر أنه كان شديد القساوة⁸⁷ . هكذا انتهت حياة ماركوس أوريليوس كلها حب و عطف و فضائل تاركا فراغا و حزنا كبيرين بين أصدقائه وجنوده⁸⁸ .

ثانيا : أعمال ماركوس أوريليوس

ترك ماركوس أوريليوس مجموعة من المراسلات وكتابا يعرف بالتأملات (les pensées) .

1 - المراسلات

معظم مراسلات ماركوس أوريليوس موجهة لمعلمه فرونطو ، منها ما هو في إطار التعلم وسيأتي الحديث عنها في الفصل الثالث ، ومنها ما هو في إطار الصداقة. من نماذج هذا النوع نقرأ ما يلي :

الرسالة XIX (أنظر الملحق رقم 14، ص.304)

إلى فرونطو :

" تخيل في أي حالة هي روحي ، عندما أفكر منذ متى لم أرك فيه و لماذا لم أرك ؟ و من الممكن أن لا أراك أيضا في بعض الأيام بما أنك أكدت لي أن لا يحدث

⁸⁶www.mediterranees.net/histoire romaine/empereurs 2 siecle/MARC AURELE

⁸⁷CAPITOLIN ,XIX

⁸⁸Ibid ,XXVIII

عكس ذلك . و هكذا إذن كلما تشتاق ، عقلي المهزوم يشتاق ، و بعون الآلهة ستستطيع أخيرا الوقوف ، و عقلي سيكون حازما و قائما ، و انه يحترق في هذا الوقت و يتحمس كثيرا لرؤيتك . وداعا ، يا روح قيصرك ، من صديقك ، من تلميذك .⁸⁹

الرسالة XXI (أنظر الملحق رقم 15، ص.305)

إلى معلمي :

" لم أكتب لك هذا الصباح ، لأنني عرفت أنني سأجدك في حالة أفضل ثم أنني كنت مشغولا بقضية أخرى . و لا أستطيع الكتابة لك إلا و عقلي طليق و حر . إذا كنا على الطريق الصحيح ، أخبرني بذلك لأنك تعرف ماذا أرغب و أعرف كم أنا محق في رغبتني . و داعا معلمي ."⁹⁰

الرسالة V (أنظر الملحق رقم 16، ص.306)

صباح الخير عزيزي المعلم :

" نحن بخير ، و فيما يخصني ، اليوم ، بعد تناول وجبة جيدة درست منذ الساعة التاسعة من الليل حتى الساعة الثانية عشر . من منتصف النهار حتى الساعة الثالثة قمت بجولة ممتعة بالنعال أمام غرفتي بعد ذلك لبست الحذاء و أخذت المعطف ، لأننا على ذلك انضبطنا في هندامنا . وذهبت لأحيي سيدي ، ثم ذهبنا للصيد حيث قمنا بضربات جميلة : قتلنا بعض الخنازير ، وسمعنا صوتها لكن لا يمكن رؤيتها

⁸⁹ ماركوس أوريليوس ، الرسالة XIX إلى فرونطو ، ترجمة . حسينة قادري .
⁹⁰ نفسه ، الرسالة XXI ، ترجمة . حسينة قادري .

من قريب ، فصعدنا بعد ذلك مكانا منحدرًا . ثم عدنا إلى القصر ، أنا متوجه إلى
كتبي بعد أن نزعت الحذاء ووضعت ثيابي " ⁹¹ .

الرسالة VI (أنظر الملحق رقم 17، ص.308)

صباح الخير معلمي الطيب جدا :

" الكل بخير . أما أنا لم أنم إلا قليلا بسبب رعشة بسيطة بدأت تهدأ الآن . إذ
قضيت الوقت من الحادية عشر ليلا إلى الساعة الثالثة صباحا في قراءة مؤلف كاتو
الزراعي* ...، في الواقع ، و الحقيقة ، إنني قرأت اليوم أقل من البارحة ... ثم
تحدثت كثيرا مع أمي التي كانت جالسة على سريري ، هذا ما كنت أقول لها :
ماذا تظنين يفعل فرونطو في هذه الساعة ؟ و هي تقول لي: ماذا تظن تفعل
غراتيا** (GRATIA) ؟ ... و لكي أنام أعد أولا أعمالتي ، و أقدم تقرير اليوم لمعلمي
العزيز ... أتساءل ما سر العلاقة بيني و بينك ؟ أحبك أيها الغائب ."⁹²

الرسالة VIII (أنظر الملحق رقم 18، ص.309)

إلى معلمي ، السلام عليك :

⁹¹ ماركوس أوريليوس ، الرسالة V ، ترجمة . حسينة قادري
* مؤلف كاتو الزراعي : قانون زراعي صدر في عام 160 ق.م على يد كاتو الكبير أحد أعضاء مجلس الشيوخ الروماني في عهد
الجمهورية . المزيد من المعلومات أنظر :
www.enssib.fr.../publication-des-de-re-rustica-à-la-renaissance
**كراتيا : هي ابنة الخطيب فرونطو .
⁹² ماركوس أوريليوس ، الرسالة VI ، ترجمة . حسينة قادري .

" أخبرني أخوك مؤخرا بقدمك ، في الحقيقة أرغب كثيرا أن تكون قادرا على المجيء و صحتك هي الأولى ، لأنني أتمنى أن تجعلني متعة رؤيتك سعيدا ... بالنسبة لحالتي الصحية، حاليا تستطيع أن تحكم عليها بسهولة بما أنني أستخدم للكتابة إليك يدا واحدة. في الواقع ، بالنسبة لقوا يا ، بدأت تعود ، لم يبق لي أي ألم في صدري ... سنحاول العلاج ، و نحرص على أن لا ينقص أي شيء لما نقوم به ، لأنني أظن أن لا شيء يساعد على تحمل الأمراض المزمنة إلا بالصبر و الثبات ، و النصيحة الجيدة عند الأطباء حين تدوم معاناة الجسم مدة طويلة ، التحلي بالشجاعة لاستعادة العافية . وداعا عزيزي المعلم والدتي تسلم عليك ."⁹³

كتب ماركوس أوريليوس هذه الرسائل عندما كان تلميذا . ويبدو منها أنه كان يعاني من ظروف صحية منذ صغره ، وكذلك أستاذه فرونطو . تغلب هذا الأمير على المرض بالإيمان و الصبر ، لكنه لم يستطع الصبر على غياب فرونطو ويعبر دائما عن قوة الشوق لرؤيته ، ما يدل على تعلقه وحبه الكبير له .

2 - التأملات (Les pensées)

كتب ماركوس أوريليوس تأملاته باللغة الإغريقية خلال حملاته العسكرية ضد الماركومانيين و الكواديين⁹⁴ . وهي أشبه ما تكون بمفكرة دون فيها خواطره لنفسه

⁹³ ماركوس أوريليوس ، الرسالة VIII ، ترجمة حسينة قادري .

⁹⁴ www.lesphilosophes.fr/MARC_AURELE/les_stoiciens/pensées-pour_moi

دون أحد سواه وسمائها "ta ei sheauton" و تعني لنفسه⁹⁵ أي أن هذا الإمبراطور كان يخاطب نفسه بعيدا عن نية النشر أو مخاطبة أحد . جاءت هذه التأملات في اثني عشر كتاب . وأهم ما ورد فيها نقرأ ما يلي :

الكتاب الأول ، الفقرة 17 :

" و أنا مدين للآلهة التي منحتني أجدادا صالحين و أبناء صالحين و أختا صالحة ، و معلمين و أسرة و أقارب و أصدقاء صالحين ، كل شيء تقريبا ، و أحمدها على أنني لم أسيء إلى أي أحد منهم رغم أن بي نزعة كانت كفيلة بأن تحملني على مثل ذلك الزلل إذا دعت الظروف . و لكن من فضل الآلهة أنها لم تضعني قط في هذا الامتحان . و من فضل الآلهة أنه لم تطل نشأتي في كنف خلية جدي ، و أنني حافظت على زهرة شبابي ، و حافظت على براءتي ولم أشرع في ممارسة رجولتي إلا في الوقت الصحيح، و ربما بعده بقليل . و أحمدها أنني نشأت في كنف حاكم و أب انتشلني من الغرور و بصرني بأنه بوسع المرء أن يعيش في قصر دون أن يشعر بحاجة إلى حرس شخصي أو ملابس مزركشة ، أو شمعدانات أو تماثيل أو زخارف أخرى لمثل هذه الأبهة ، بل بوسعه أن يعيش حياة قريبة جدا من حياة المواطن العادي دون أن يفقد كرامة أو بأسا في إدارة مسؤوليات الحاكم تجاه الصالح العام . وقد أنعمت علي بأخ كان قادرا بشخصيته القوية أن يحتثني على الاهتمام بنفسني ، و كان يغدق علي في الوقت نفسه احترامه و عطفه . و أحمدها على أن أبنائي لم

⁹⁵ ، ماركوس أوريليوس- التأملات ، ترجمة عادل مصطفى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 2010 ، ص.15.

يكونوا محدودي الذكاء أو مشوهي الجسم. و أحدها على أنني لم أتماد في طلب البلاغة و الشعر وغير ذلك من الأغراض التي كنت حريا أن أستغرق فيها لو آنست أنها طريقي الصحيح . و أنني لم أبطئ في ترقية معلمي إلى المناصب العامة التي كانوا يصبون إليها ، ولم أتهاون ذلك بحجة أنهم صغار السن مع وعود بالترقية في المستقبل...⁹⁶ . عبر مارك أورل في هذه الفقرة على نقاوة روحه من الغرور و الكبرياء و حمد الآلهة على فضلها ، إذ منحته بيتا صالحا تلقى فيه تربية صالحة على أيادي الصالحين ، و ذكر منهم أجداده و أباءه و أخته و معلميه و أقاربه و أصدقائه و تقريبا كل شيء . و يقول أنه لم يسيئ إلى أحد منهم رغم أن النفس أمارة بالسوء ، و يعترف بذلك و أن في نفسه هذه النزعة ، لكن بفضل الآلهة لم تضعه في مثل هذا الامتحان . و يذكر أيضا أنه كان وفيا للوعد إذ لم يبطن في ترقية معلميه إلى المناصب العامة . و دائما في إطار النفس الأمارة بالسوء، حمد مارك أورل أيضا الآلهة على صبره و امتناعه عن الاستجابة للشهوات ، و يقول في ذلك : " و أحمد الآلهة أن جسدي قد صمد حتى الآن في حياة مثل حياتي ، و أنني لم أمس قط بنديكتا أو ثيودوتوس*، و أنني شفيت بعد ذلك من سعار الشبق بعد أن وقعت فيه "⁹⁷.

الكتاب الثاني ، الفقرة 1 :

" قل لنفسك حين تقوم في الصباح : اليوم سألقى من الناس من هو متطفل ومن هو جاحد ومن هو عات عنيف، و سأقابل الغادر و الحسود ومن يؤثر نفسه على الناس .

⁹⁶ ماركوس أوريليوس ، التأملات ، ترجمة . عادل مصطفى ، الفقرة. 17

* نديكتا و ثيودوتوس : هما من خدم الإمبراطور في القصر ، المزيد من المعلومات أنظر : عادل مصطفى ، المرجع السابق ⁹⁷ ماركوس أوريليوس ، المرجع السابق .

لقد ابتلي كل منهم بذلك من جراء جهله بما هو خير و ما هو شر ، أما أنا و قد بصرت بطبيعة الخير و عرفت أنه جميل ، و بطبيعة الشر عرفتته قبيحا و أدركت أن مرتكب الرذائل لا يختلف عن أدنى اختلاف في طبيعته ذاتها ، فنحن لا تجمعن قرابة الدم و العرق فحسب بل قرابة الانتساب إلى نفس العقل و نفس القبس الإلهي. أما أنا بصرت بهذه القرابة فلن يسوءني أي واحد من هؤلاء ، و لن يعديني بائمه . و ليس لي أن أنتقم منه قرابتي أو أسخط عليه . فقد خلقنا للتعاون شأننا شأن القدمين و اليدين و صفي الأسنان . التشاحن ضد للطبيعة و ضدها نتيجته العداوة و البغضاء " 98 .

يتضح في هذه الفقرة تأثر ماركوس أوريليوس بالفلسفة الرواقية ، و المبدأ القائل بأن الفضيلة علم بالخير الحقيقي و الرذيلة جهل ، و من ثم فمن يعلم الخير فان لا بد فاعله ، و ليس ثمة من يفعل الشر عن قصد . و على هذا أخذ يشيد بقرابة البشر جميعا و كذلك بقرابة الدم و العقل، و يعتبر العقل الألوهية التي بداخلنا ⁹⁹ ، و المبدأ الحاكم و الموجه في الكائن الإنساني و يراه نظيرا داخليا للعقل الكوني . يستمد ماركوس أوريليوس من هذا المبدأ أمرا أخلاقيا يلزم الإنسان برعاية مصلحة إخوته في الإنسانية ، و الرفق بهم و تحمل إساءتهم ¹⁰⁰ . و بعد ذلك أخذ ينصح نفسه و يذكر:

" أيا ما كنت فإنني مجبول من قطعة لحم و نفس و عقل موجه . ألق بكتبك و ألق عن تعطشك إليها... لا تشتت نفسك ... بل أنظر إلى الأمر نظرة المودع الراحل ، احتقر الجسد ... انه دم و عظام .. مجرد نسيج و شبكة من الأعصاب و الأوردة

⁹⁸ مارك أورل ، التأملات ، الكتاب الثاني ، الفقرة 1

⁹⁹ عادل مصطفى ، تأملات ماركوس أوريليوس ، دراسة و تعليق ، القاهرة ، 2010 ، ص.43

¹⁰⁰ نفسه .

و الشرايين . و تأمل نفسك أيضا ما هو ... انه هواء . و ليته ثابت دائم ، إنما هو يزفر كل حين و يشهق مرة ثانية ... " ¹⁰¹ . قدم مارك أورل في هذه الفقرة نصيحة ذاتية تعكس إيمانه بزوال الحياة و يقينه باقتراب الأجل و لهذا احتقر المادة بما فيها الجسد .

الكتاب الثالث ، الفقرة 5:

" لا تفعل شيئا ضد إرادتك ، أو دون اعتبار للصالح العام ، أو دون رؤية ، أو بدوافع مصطنعة . لا تصنع أفكارك في أسلوب معقد مبهرج . لا تكن ثرثارا متطفلا . ثم لتكن الألوهة التي في داخلك هي حارسة الكائن الذي تكونه : كرجل ، مسن ، سياسي ، روماني حاكم رجل يقوم بوظيفته مثل جندي رهن إشارة استدعاء من الحياة ، و مستعد للذهاب ، لا يحتاج إلى قسم ولاء و لا إلى شهادة أي إنسان . كن مرحا أيضا ، و غنيا عن أي عون خارجي و عن أي سكيننة تأتيك من الآخرين . واجبك أن تقوم بذاتك و لا تقوم بغيرك " ¹⁰² .

استمر ماركوس أوريليوس في هذه الفقرة في مخاطبة نفسه ، و تعداد نصائح استمدها من تجارب حياته ، كالعمل بإرادة و قناعة في إطار المصلحة العامة بعيدا عن كل أنواع الكبرياء و الرياء و الكلام غير النافع الذي يجعل الفرد ثرثارا متطفلا . و أن يتذكر الإنسان أن هناك من يراقبه في داخله سواء كان موظفا أو حاكما أو مسنا . و عليه أن يقوم بالواجب بنفسه و لا يقوم به أحد في مكانه . ثم بين ماركوس أوريليوس الفضائل التي يجب أن يتحلى بها المرء قائلا :

¹⁰¹ ماركوس أوريليوس ، التأملات ، الكتاب الثاني .

¹⁰² نفسه ، الكتاب الثالث ، الفقرة 5

" إذا عثرت في حياة الإنسان على أي شيء يفضل العدالة و الصدق و الاعتدال و الشجاعة ، و باختصار شيء يفضل اكتفاء عقلك بذاته ذلك الاكتفاء الذي يمكنك من العمل وفقا للعقل الصحيح ومن قبول ما ليس لك به يد من أحكام القضاء ، أقول إذا أمكنك أن ترى شيئا أفضل من هذا فاتجه إليه بكل قلبك و تمتع بما وجدته أفضل . و لكن إذا لم يتبين لك ما يفضل الإله نفسه القابع في داخلك و الذي يحكم جميع اندفاعاتك ، و يمحص أفكارك ... فأنت إذا ملت مرة إلى أي بديل آخر سيكون من العسير والمعنت أن تستعيد الصدارة لذلك الخير الذي تملكه و لا تملك غيره . ذلك أن من الضلال أن يوضع أي شيء آخر ، من مثل إطراء الناس أو السلطة أو الثروة أو اللذة في منافسة مع الخير العقلي و الاجتماعي . قد تروك كل هذه الأشياء لحظة صغيرة ، و لكنها قد تأخذ بزمامك فجأة و تحملك بعيدا . فعليك مرة أخرى ، ببساطة و حرية ، أن تختار الأفضل و تتشبث به . ولكن الأفضل هو ما ينفع . إذا كان نافعا لك ككائن عاقل فاتخذه ، و لكن إذا كان نافعا لك كمجرد حيوان فانبذه و تمسك بحكم العقل دون مكابرة كن فقط على بينة من أنك قد أعملت الرأي على نحو و صحيح " 103

بين ماركوس أوريليوس في كلامه هذا ، الخصال التي تحلى بها ، من صدق و شجاعة و اعتدال و تواضع ، و أنه لم تغريه متاع الدنيا كالسلطة أو الثروة إطراء الناس ، بل فضل حب الخير و خدمة الصالح العام باحتكامه لضميره الذي وصفه بالخير العقلي و الاجتماعي . و ذكر أيضا في هذا الكتاب ، أن على المرء أن يكون صادق الوعد و لا يجري وراء المنفعة لأنها ستفسد طبيعه

103 ماركوس أوريليوس ، الكتاب الثالث ، الفقرة 6

فعلية حب الناس ولا يشك في أحد أو يكره أحدا لعله يحيى حياة طيبة ، ثم يرحل عنها وهو مطمئن و مرتاح وفي هذا السياق يقول :

" لا تعده نافعا لك أي شيء سوف يضطرك يوما إلى أن تخلف وعذك ، أو تتخلى عن وقارك ، أو تكره أحدا ، أو تشك ، أو تلعن أو ترائي ، أو تشتتهي أي شيء يتطلب التستر بالحيطان و الحجب ، فالرجل الذي أسلم قيادته لعقله و ألوهته و قدس علوها و امتيازها ، لا يجعل من حياته مأساة ، و لا يئس ، و لا يلجأ إلى الوحدة و لا إلى الصحبة الزائدة . و الأهم أنه سوف يعيش دون سعي إلى الموت و لا فرار منه ، ولن يبالي على الإطلاق بما إذا تعين عليه أن يرحل هنا و الآن فسوف يرحل بسهولة كما لو كان يؤيد أي عمل آخر تقتضيه الأمانة و اللياقة... " ¹⁰⁴ .

الكتاب الرابع ، الفقرة 3 :

" ... لعلك إذن تتحرق إلى شيء من المجد . فاذا كم هو سريع النسيان هذا العالم واذكر الفجوة الزمنية السابقة للحاضر و اللاحقة عليه و كم هو فارغ ذلك الإطار الذي تجده من الآخرين وكم هم متقلبون و عديمو الرأي أولئك الذين يتظاهرون بتأييدك ، و كم هي ضيقة تلك المساحة التي يجول فيها مجدك . الأرض برمتها مجرد نقطة في الفضاء فما أهون ذلك الركن تقطنه و ما أقلهم و أهون أولئك الذين ترتقب منهم هاهنا التمجيد و المدح . لن يبقى سوى حصنك الصغير الذي بين جنبيك فأو إليه ... كرجل ، كانسان كمواطن ككائن فان ... " ¹⁰⁵ .

¹⁰⁴ ماركوس أوريليوس، نفسه ، الفقرة 7

¹⁰⁵ نفسه ، الكتاب الرابع ، الفقرة 3

يحذر مارك أورل نفسه في هذه الفقرة من السعي وراء المجد كما فعل ذلك من سبقه ، فيقول أن ذلك سريع النسيان ، فهو إطرء مؤقت ، كما تنبه إلى المنافقين المتظاهرين أنهم عديمو الرأي ، وقد سبق لفرونطو أن نبهه إلى ذلك بمقال " الثناء على الإهمال".

يواصل ماركوس أوريليوس الحديث في هذا النص مع نفسه ، ويذكر :

" كل ما يحدث في العالم فهو حق . تأمل هذا القول بعناية ولسوف تجد أنه حق . لست أعني بالحق هنا مسار الأسباب ، بل أعني به العدل ، و كأن قاضيا ما يخصص لكل شيء استحقاقه . و أيما شيء تؤديه ، فأده أداء رجل صالح بالمعنى الدقيق للرجل الصالح . والزم ذلك في كل فعل ¹⁰⁶ . لا تحكم على الأمور كما يحكم عليها من آذاك أو كما يريدك أن تحكم بل أنظر إلى الأشياء كما هي عليه في الحقيقة ¹⁰⁷ . كن دائما على استعداد للعمل بهذين المبدأين : أولا ألا تفعل إلا ما يملئ عليك العقل الحاكم و المشرع ، أن تفعله لخير الإنسانية .ثانيا ، أن تغير موقفك إذا كان هناك في الحقيقة من يصح لك رأيا و يرشدك إلى ما هو أقوم ، على أن ينبع هذا التحول عن اقتناع بالعدل أو بالخير العام و أن تعدل مسارك وفقا لذلك ، وليس لمجرد اللذة أو الشعبية ¹⁰⁸ .

¹⁰⁶ ماركوس أوريليوس ، نفسه ، الفقرة 10

¹⁰⁷ نفسه ، الفقرة 11

¹⁰⁸ نفسه ، الفقرة 12

أكدت تلك الأقوال على صلاح حكم ماركوس أوريليوس الذي جعل العدل نصب عينيه و الأخذ بالرأي الصحيح والأقوم ، ما يدل على ميله إلى مبدأ الشورى و نبذه للحكم الاستبدادي ، وكان على استعداد دائم لخدمة الإنسانية و تعديل مساره وفقا للخير، وليس حسب قوله لمجرد اللذة أو الشعبية¹⁰⁹ و أن ينفع الناس بما تعلمه ، ولا يكون طاغية عليهم ، و نقرأ ذلك في قوله هذا :

" أحب الفن الذي تعلمته ، أيا كان ، وأرض به . و اقض ما تبقى من حياتك كأنسان نذر نفسه للآلهة بكل قلبه واحتسب عندها كل ما لديه . ولا تجعل من نفسك طاغية على أي إنسان و لا عبد ¹¹⁰ " .

الكتاب الخامس ، الفقرة 5

" تقول أنك تفنقر إلى حضور البديهة الذي تنزع به إعجاب الناس . حسن ولكن هناك خصالا كثيرة لا يمكن أن تتذرع بأنها لا تدخل ضمن قدراتك الطبيعية . فلتطهر إذن تلك الفضائل التي هي في حوزتك بالكامل : الإخلاص ، الوقار ، الكد ، إنكار الذات ، الرضا الإحسان ، الصراحة ، الفناعة ، الطيبة ، الاستقلال ، البساطة التعقل ، الشهامة . أرايت كم من الفضائل بوسعك أن تأتيها و لا تتملص منها بحجة افتقاد الموهبة أو الملكية ثم ما تزال راضيا بأن تقصر فيها عن الحد ؟ و هل حقيقة افتقادك الموهبة الفطرية تبيح لك أن تتذمر و تقتر و تنزلف و تحني باللوم على جسدك و تتملق الناس و تتباهى و توقع عقلك في هذا الاضطراب ؟ كلا بحق السماء ، لعل كان

¹⁰⁹ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق .

¹¹⁰ نفسه ، الفقرة 31

بوسعك أن تتخلص من كل هذا منذ زمن طويل ، فلا تعب ، إن أعبت
إلّا بالعي و الإدراك . حتى هذان بمقدورك أن تعالجهما ما لم تستتم إلى
العي و تستمرى الفهم¹¹¹ .

قدمت لنا الفقرة الخامسة من هذا الكتاب جملة من خصال ماركوس
أوريليوس الذي عددها بالترتيب و هي : الإخلاص ، الوقار ، الكد ، إنكار الذات
الرضا ، الإحسان الصراحة ، القناعة ، الطيبة ، الاستقلال ، البساطة ، التعقل و
الشهامة . ويقول أنه يفتقر إلى البديهة بسبب استعمال العقل في كل أفعاله لأنه
من طبيعته تجنب الأفعال الارتجالية التي لا تستحضر الفكر و بعد ذلك أخذ يصنف
الناس إلى ثلاثة أصناف و يذكر الآتي :

" من الناس من إذا أسدى جميلا إلى شخص سارع بتسجيله في حسابه كدين
مستحق . ومنهم من لا يسارع بذلك غير أنه يضر في نفسه أن هذا
الشخص مدين له و يعي جيدا بما فعله . و هناك صنف ثالث هو بمعنى
ما لا يعي ما أتاه و لا يحشد له ذهنه ، وإنما كالكرمة التي أهدت عناقيدها
ولا ترقب أي مقابل . الفرس وقد أتم السباق و الكلب و قد طارد اللصوص ،
و النحلة وقد أفرغت عسلها و الإنسان ، الذي أسدى معروفا لا يلحظ أي
من هؤلاء ما صنع و لا يلتمس عليه شهودا ، بل يمضي إلى فعل جديد .
فلتكن واحدا من هؤلاء الذين يجترحون الخيرات دون أن يلاحظوها ..."¹¹²

¹¹¹ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الخامس ، الفقرة 5

¹¹² نفسه ، الفقرة 6

نلاحظ أن ماركوس أوريليوس بعدما ذكر الأصناف الثلاثة للناس ، و أن الصنف الأول من يقدم جميلا لشخص ويطلب منه التسديد عنية ، والنوع الثاني لا يختلف كثيرا عن الأول فهو يخفي في نفسه أن ذلك الشخص مدين له والثالث لا يعد حسابا لأفعاله الخيرية بل يقدمها دون مقابل ، فضل الصنف الثالث و شبهه بالشجرة المثمرة مثل الكرمة التي تهدي عناقيدها و لا تتقرب أي مقابل وكذلك الحيوانات التي تخدم الإنسان كالفرس و الكلب و النحلة ولا تنتظر المقابل .

الكتاب السادس ، الفقرة 20

" في حلبة اللعب قد يخدشك خصم بأظافره ، أو ينطحك برأسك . غير أننا لا نخصمه من أجل ذلك و لا نتأذى و لا نتوجس منه كذلك كرفيق خائن . صحيح أننا قد نأخذ حذرنا منه ، لا كعدو أو مريب بل بمودة و هدوء ننتحي عن طريقه فحسب . كذلك ينبغي أن يكون الحال في جوانب الحياة الأخرى : هناك أناس هم خصوم اللعب و علينا أن نغض الطرف عما يفعلون . و بوسعنا أن نتجنبهم ، كما قلت من غير ارتياب أو عداوة ¹¹³ .

أكدت هذه الفقرة مرة أخرى على ما ذكرناه من قبل ، أن ماركوس أوريليوس عفو لا يؤاخذ الناس في أخطائهم و يتجاوزها ، و ها هنا شبه المخطئون بخصوم اللعب ، و يذكر أنه يستوجب غض البصر عما كانوا يفعلون لكن بوعي و حذر وليس بالعداوة أو الشك ، ثم أشار في الفقرة الآتية إلى غاية الإنسان من حياته الفانية ، ومدى وجوب الإكثار من الأفعال الخيرية مع الرفق بجميع الكائنات الحية وحتى مع الجمادات ، ويذكر في ذلك :

¹¹³ ماركوس أوريليوس ، الكتاب السادس ، الفقرة 20

" إنني أؤدي واجبي ، و لا تعينني الأشياء الأخرى ، فهي إما أشياء غير حية ، وإما غير عاقلة ، وإما تاهت و لا تعرف الطريق"¹¹⁴ . " تعامل مع جميع الحيوانات ، و جميع الكائنات ، بعامة وكرم و تسامح ، ما دمت تملك عقلا وهي محرومة منه . أما البشر من حيث إن لديهم عقلا ، فتعامل معهم بروح اجتماعية . وادع الآلهة في كل أمر . و لا تكثر نفسك بطول الزمن الذي سوف تحياه في هذا العمل فبمجرد ساعات ثلاث تقضيها هكذا تكفي"¹¹⁵ .

" ما أقسى أن تمنع الناس من السعي إلى ما يبدو لهم مسائرا لمصلحتهم و نفعهم . غير أنك تمنعهم ، بمعنى ما ، حين يغضبك أنهم على خطأ . فمن المتيقن أنهم مدفوعون إلى صالحهم و نفعهم . و لكنهم مخطئون في ذلك . إذن علمهم ، و أرشدهم ، دون أن تغضب عليهم . "¹¹⁶ " ... فبصفتي أنطونينوس فان مدينتي و وطني هما روما و بصفتي إنسانا فمدينتي هي الكون . لذا فان ما هو خير لهاتين المدينتين هو وحده الخير بالنسبة لي " ¹¹⁷ .

يبدو من هذه الفقرات أن لا شيء يغري ماركوس أوريليوس في حياته ، و ظل ينصح نفسه بعدم استعمال القسوة أو استغلال منصبه و سلطانه في تأذية الناس ، وأن لا يغضب عليهم إذا أخطأوا ، بل يعلمهم و يرشدهم .

¹¹⁴ ماركوس أوريليوس ، الفقرة 22

¹¹⁵ نفسه ، المصدر السابق ، الفقرة 23

¹¹⁶ نفسه ، الفقرة 27

¹¹⁷ نفسه ، الفقرة 44

الكتاب السابع ، الفقرة 27

" لا تحلم بامتلاك ما لا تملكه ، بل تأمل النعم الكبرى فيما تملكه . و ذكر نفسك كم ستفتقد هذه الأشياء كأنها لم تكن لديك . و لكن أحرص أن لا تدع التمتع بها يجعل منك مدمنا معتمدا عليها . كي لا تبتئس إذا ما فقدتها يوما " 118 .

" اتجه إلى ذاتك . إن طبيعة العقل الموجهة أن يكون قانعا بنفسه حين يعمل ما هو صالح . و ينعم في ذلك بالسكينة " 119 .

" أنظر إلى عقولهم ، أولئك الذين يبتغون الشهرة ، إلى طبيعة تفكيرهم و أي صنف من الأشياء يريدون و أي صنف يتجنبون . وانظر كيف تغشي الأحداث اللاحقة على السابقة ، كما تتراكم أكوام الرمال فينهال لاحقا على سابقها و يواريه " 120 .

حث ماركوس أوريليوس نفسه في هذه الفقرات على التمسك بالقناعة ، و أن لا يطمع في امتلاك ما لا يملكه ، أو يسعى وراء الشهرة . ثم قدم أمثلة على الذين يطمعون في ذلك ، أنهم هلكوا وانتهى ما كانوا يكسبون وتعاقب عليهم الآخرون . و استنتج أنه عليه إذن أن يعمل عملا صالحا و ينعم بذلك بالسكينة .

¹¹⁸ ماركوس أوريليوس، الكتاب السابع ، الفقرة 27

¹¹⁹ نفسه ، الفقرة 28

¹²⁰ نفسه ، الفقرة 34

الكتاب الثامن ، الفقرة 30

" عندما تتحدث في مجلس الشيوخ ، أو إلى شخص كان ، كن حادا مستقيما غير متحذلق . استخدم لغة واضحة تنضح بالصدق " ¹²¹ .

" من واجبك أن تنظم حياتك تنظيما جيدا في كل فعل مفرد . وأن تقنع إذا كان كل فعل يحقق هدفه على أفضل نحو ممكن . وليس بمكنة أحد أن يحول بينك وبين تحقيق هذا الهدف " ¹²² .

نستخلص من هذه الفقرات مدى نفور ماركوس أوريليوس من الكلام المملق و مدى حبه لاستعمال اللغة الواضحة التي يقول أنها تتبثق من الصدق . ¹²³ وذكر نفسه بواجب تنظيم حياته جيدا ، و أن يكون لعمله هدف واضح .

الكتاب التاسع ، الفقرة 2

" أسعد الحظ كله أن تغادر الناس ولم تعرف قط طعم الكذب ولا الرياء و لا الأبهة و لا الغرور . و يلي هذه الرحلة في السعد إن قمت على الأقل ، بعضا من هذه الأشياء قبل أن تلفظ آخر نفسك . أم تراك تفضل أن تبقى مقيما مع الخبث ، ولم تقنعك الخبرة أن تتأى عن هذا الرياء ؟ ذلك أن فساد العقل وباء أشد و أنكى من ذلك التلوث الذي يصيب الجو المحيط

¹²¹ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الثامن ، الفقرة 30

¹²² نفسه ، المصدر السابق ، الفقرة 32

¹²³ نفسه ، الفقرة 32

الذي نتنفسه . فهذا ينال الكائنات الحيوانية في طبيعتها الحيوانية ، أما ذلك فينال الكائنات الإنسانية يصيبها في إنسانيتها ¹²⁴

يقول ماركوس أوريليوس في هذه الفقرة أن السعادة الحقيقية هي ، عندما يموت الإنسان ولم يعرف أثناء حياته الكذب و لا الرياء و لا التباهي و لا الغرور . و أن ذلك خير من البقاء في الدنيا مع الخبث الذي يلوث الجو و يصيب جميع الكائنات الحيوانية في طبيعتها الحيوانية أي في جسدها ، و الإنسان في إنسانيته . ثم وضح في فقرة أخرى أن هذه النفوس المصابة بالخبث هي نفوس مسكينة أي مريضة ، ولهذا ينبغي الرفق بها ، ونقرأ قوله فيما يلي :

" إذا لامك شخص آخر أو كرهك ، أو تحدث الناس عنك بما يسوء فاقترب من نفوسهم المسكينة وانفد إليها لترى أي صنف من البشر هم . ولسوف تكتشف أنه ليس ثم ما يدعو إلى الابتئاس لرأيهم فيك ."¹²⁵

الكتاب العاشر ، الفقرة 1

" أيتها النفس ، أما آن لك أن تكوني صالحة ، بسيطة ، واحدة متجردة أوضح و أجلى من الجسد الذي يغلفك ؟ أما آن لك أن تذوقي حلاوة النزوع إلى الحب و العطف ؟ أما آن لك أن تصبحي كاملة خلية من الحاجة لا تفتقدن أي شيء و لا ترغبين في أي شيء ، حي أو غير حي ، تلتمسين فيه اللذة ، و لا ترغبين في أي في مهلة لمزيد من المتعة ، أو لين المكان و المناخ ، أو الصحبة الهائلة ؟ أما آن لك أن تقنعي بحالك الراهن و تجدي

¹²⁴ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، الفقرة . 30

¹²⁵ نفسه ،، الفقرة 27

متعة فيما هو الآن بين يديك ؟ أأن تقنتعي بأن لديك كل شيء ، و أن كل ما يأتي فهو من الآلهة ، و كله خير لك و سيكون خيرا لك ...¹²⁶.

يصف ماركوس أوريليوس في هذه الفقرة نفسه و يذكر بأن صلاحها يكمن في فعل الخير و يؤكد دائما على نزوعه إلى الحب و العطف و البساطة و القناعة كما يؤمن أيضا بالقدر و أن كل الابتلاءات من الآلهة فهي إذن خير¹²⁷ . ثم يواصل حديثه و يذكر : " أي صنف من الناس هم حين يأكلون و يرقدون و يضاجعون و يقضون حاجتهم...؟ ثم أي صنف من الناس هم حين يتولون السلطة ؟ متجبرين ...¹²⁸ .

الكتاب الحادي عشر ، الفقرة 9

" ... تذكر هذه المبادئ التسعة كأنها هدايا من ربات الفنون . و لتكن إنسانا ما حييت . و تجنب التملق بقدر ما تتجنب الغضب في التعامل معهم ، فكلاهما ضار و لا يؤدي إلى الصالح العام . و تذكر في نوبات غضبك أن الغضب ليس من الرجولة في شيء ، و أن الرحمة و اللين أكثر إنسانية و بالتالي أكثر رجولة . فالرحماء هم ذوو القوة و البأس و الشجاعة و ليس القساة و لا الساخطون . فكما تحكمت في انفعالاتك كنت أقرب إلى القوة . فالغضب دليل ضعف شأنه شأن الجزع . فالغاضب و الجزع كلاهما أصيب و كلاهما استسلم ...¹²⁹ .

¹²⁶ ماركوس أوريليوس ، الكتاب العاشر ، الفقرة 1

¹²⁷ نفسه .

¹²⁸ ، نفسه ، الفقرة 19

¹²⁹ نفسه ، الفقرة 21

وضع ماركوس أوريليوس في هذه الفقرة تسعة مبادئ في نصب أعينه ليتذكرها دائماً وهي : الإنسانية ، تجنب التملق و الغضب ، خدمة الصالح العام ، الرحمة اللبونة ، الشجاعة ، التحكم في الانفعالات وبالتالي الرجولة . و يذكر أيضاً أنه ينبغي أن يكون الهدف من كل عمل هدفا اجتماعيا ، يخدم المواطنين وأكد على ذلك في قوله الآتي :

" ... كذلك ينبغي أن يكون هدفنا الذي نكرس له أنفسنا هو هدف اجتماعي ، أي صالح اخواننا المواطنين . فمن يوجه كل جهوده إلى هذا الهدف سيكون متسقا في كل المواطنين . و يكون ، من ثم ، هو الشخص نفسه طوال حياته " ¹³⁰ .

الكتاب الثاني عشر ، الفقرة 1

" كل ما تتمنى يوما بلوغه بطريق ملتوي بوسعك الآن أن تتاله إذا كنت منصفا لنفسك أي إذا تركت الماضي وراء ظهرك و أوكلت المستقبل للعناية ووقفت الحاضر على التقوى و العدل . على التقوى فترضى بنصيبك المقسوم ، فقد جعلته لك الطبيعة و جعلتك له . وعلى العدل فتكون صادقا صريحا في قولك و فعلك ، تقول الحق و تلتزم بالقانون و القسط في كل ما تفعل . و لا يصدك عن طريقك حيث الخبثاء و لا تقول المتقولين ... " ¹³¹ .

" استحضر في ذاكرتك دائما أولئك الذين كانوا يفرطون في الغضب و الشكاة أولئك الذين بلغوا ذروى المجد أو النكبة أو العداوة أو أي صنف آخر من

¹³⁰ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق .
¹³¹ نفسه ، الكتاب الثاني عشر ، الفقرة 1

الحظ . ثم توقف و فكر : أين كل أولئك الآن ؟ دخان و رماد ، حكاية رويت بل حكاية نسيت ... «132 .

تساءل ماركوس أوريليوس في هذا الكتاب عن مصير الذين كرسوا حياتهم سعياً وراء المجد و الشهرة عن طريق القوة و العداوة ، ثم يجيب أنهم ماتوا و أصبحوا دخاناً و رماداً و حكاية و من المنسيين ، وأخذ ينصح نفسه في السير على التقوى و الإنصاف و الالتزام بالقانون و القسط في كل ما يفعله .

الخلاصة

أهم ما استنتجناه في نهاية هذا الفصل أن ماركوس أوريليوس استفاد كثيراً من دروس أساتذته و اعترف بجميلهم في كتابه (التأملات) ، و ذكر أنه تعلم منهم الحرية الفكرية و الإحسان و التواضع و أن يحيى حياة طبيعية بعيداً عن كل أنواع التباهي و الرياء و أن يكون ثابتاً و صبوراً في أوقات الأزمات و الشدائد ، و تعلم منهم أيضاً احترام الغير و أن يكون عادلاً مع الناس و أن لا يكون طاغية .

كان ماركوس أوريليوس تقياً و كثير التقرب إلى الآلهة إلى حد تقديم القرابين في منزله . كرس معظم أيام حياته لأعمال الإحسان و ممارسة الفضيلة التي جعل لها هيكلًا في الكابيتول ، و بين على ذلك عملياً عندما تعرضت الإمبراطورية الرومانية إلى أعنف كارثة طبيعية متمثلة في فيضان نهر التيبير الذي خلف خسائر مادية كثيرة و سببت في انتشار المجاعة . بذل هذا الإمبراطور كل ما في وسعه لتخفيف من أثر الكارثة ، و برهن مرة أخرى على إحسانه أيام حدوث العجز المالي في خزينة الدولة ، إذ باع بعض ممتلكاته بالمزاد العلني في فروم تراجانوس المقدس ليتجنب إرهاب

¹³² ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، الفقرة 27

المقاطعات الرومانية بالضرائب الباهظة ، و التمكن من تمويل الجيوش بسخاء . كان أثناء الحرب و في أوقات الهدنة حرصا على تطبيق الحكم بالعدل بين جنوده ، إذ كان يحقق في القضايا المرفوعة إليه تحقيقا مطولا قبل أن يصدر أي حكم . وكان يسهر على القيام بواجباته على أحسن وجه لشدة شعوره بروح المسؤولية . حاول قدر الإمكان تجنب الرذائل و الأخطاء ، بينما أخطاء الآخرين فقد كان يتجاوزها ، و خير مثال على ذلك عندما طلب من مجلس الشيوخ تخفيف العقوبات على المتورطين في الحرب الأهلية التي قادها كاسيوس بسوريا ، و طلب بدفن هذا الأخير الذي قتله جنوده علما أن ماركوس أوريليوس يود لو كان كاسيوس حيا ليناقشه فيما أقدم إليه هذا الثائر ، و ألقى خطابا على مسامح الجنود و ذكر فيه أن ما حدث شيء فظيع و أن الأفظع و الأعجب من ذلك هو انعدام الوفاء و أن يخونه أعز أصدقائه الذي لم يؤذنه أبدا ، و قال لو كان الأمر ممكنا لاستدعى كاسيوس ليناقش معه بخصوص أطماعه و لكان مسرورا بالتنازل له عن السلطة أمام جنوده و مجلس الشيوخ إذ كان ذلك فائدة ترجى للصالح العام .

كان ماركوس أوريليوس محبوبا من قبل المواطنين إذ فيهم من يناديه بالأب و البعض بالأخ و البعض الآخر بالابن حسب سنهم ، لأنهم وجدوا فيه الطيبة و الحب و كرس حكمه في خدمة المصلحة العامة .

هكذا ثبت ماركوس أوريليوس على الإخلاص والوفاء طيلة ممارسة الحكم ، و كانت غايته خدمة الدولة و الصالح العام . لقد بذل قصارى جهده من أجل ذلك رغم أنه كان يعاني من الضعف في صحته منذ وقت طويل واستمر في هذا الوضع إلى أن توفي في إحدى حملاته على منطقة الدانوب سنة 180 م .

الفصل الثالث

منهج فرونطو و تعليم ماركوس أوريليوس

من خلال المراسلات

أولا : دروس الخطابة و البلاغة

ثانيا : دروس التاريخ

أولاً : دروس الخطابة و البلاغة

لا يمكن فهم و تحليل دروس فرونطو إلا بعد الإلمام و أخذ فكرة عن مفهوم الخطابة و البلاغة و القواعد التي يحترمها الخطيب البليغ.

1 - الخطابة

1- مفهوم الخطابة :

1 - **الخطابة في اللغة** : الخطابة في لسان العرب لابن منظور : " اسم

فاعل خطب / يخطب، و الخطيب هو من يخطب على المنبر . و هي أيضا اسم

فاعل للفعل خطب ، أصبح مكينا في الخطبة يعني حسن الخطبة و فصيح اللسان .

يستعمل اللفظ إذن إما للدلالة على فعل الخطابة (إلقاء الخطبة) أو على الكيفية أي

البلاغة.¹ في قاموس المصباح : " خاطبه بالسلام مخاطبة و خطابا ، و هو

الكلام بين متكلم و سامع ، و منه اشتقاق الخطبة بضم الخاء و كسرهما باختلاف

معنيين.² في مختار الصحاح : " خاطبه بالسلام مخاطبة و خطابا ، و خطب

على المنبر خطبة بضم الخاء - و خطب المرأة في النكاح خطبة - بكسر الخاء.³

ب- الخطابة اصطلاحا : هي الكلام المتضمن وعظا و إبلاغا ، و لكن هذا فيه

إجمال ، و أوضح منه تعريف من قال أنها قياس مركب من مقدمات مقبولة ، من

شخص معتقد فيه ، و الغرض منها ترغيب الناس فيها من أمور معاشهم و معادهم .

و بعض المعاصرين عرفوها بأنها فن من فنون الكلام ، يقصد به التأثير في الجمهور

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، الخطب ، الجزء الخامس ، صادر بيروت ، 2003 ، لبنان ، ص.98-99 ; محمد فيضي ، التعريف بفن الخطابة ، 2018م ، مقال منشور في الموقع : <https://mawdoo3.com>

² نفسه .

³ نفسه .

عن طريق السمع و البصر معا ⁴. يحيل لفظ " الخطابة " إلى عدة معاني ، فيمكن أن يدل على كيفية ما (البيان) أو على نشاط ما (إلقاء الخطبة أمام العامة) ⁵. في الاستعمال الاصطلاحي ، تعني فن الخطابة الهلنستية بالموازاة مع الفلسفة الهلنستية ، و هذا المعنى ارتبط بترجمة مصطلح الخطابة " RITURQA " لأرسطو إلى اللغة العربية ⁶ ، و قد عرفها أنها ترجع إلى الديالكتيكية * ⁷ (Dialectique) .

2 - أهمية الخطابة

فيما يتعلق بأهمية الخطابة ، فقد ركز عليها فرونطو في عدة رسائل كتبها

لماركوس أوريليوس حيث ذكر له :

« Qusquam veriri potest , quem inridentium quam dictorum (eju causa haud) contempse rit ...Nemo tanta auctoritate est , qui non ubi pertitia ... » ⁸.

" كيف نحترم الذي نسخر منه حين يتكلم و نحترقه بعد أن تكلم ؟ لا أحد يستطيع منع ذلك حين تنقصه المهارة أمام الإنسان البليغ الماهر ... " .

كتب فرونطو هذه الرسالة ليبين لمارك أورل أهمية اكتساب فن الخطابة ، و أنه يجب عليه الاهتمام بها حتى يتمكن من كتابة الرسائل بأسلوب فصيح و إلقاء الخطب أمام الجماهير بشكل يؤثر في نفوس المستمعين خاصة عندما يتعلق الأمر بالرجل السياسي مثله ، ويتكلم في الأوساط السياسية كمجلس الشيوخ أين يتطلب من الخطيب المهارة في الأداء و المراوغة عند ارتكاب الهفوات لصرف انتباه المستمعين بليوننة و حنكة دون أن يشعرون بذلك .

⁴ محمد فيظي ، المرجع السابق .

⁵ نفسه .

⁶ نفسه .

* الديالكتيكية : تعني صناعة الجدل .

⁷ أرسطو طاليس ، الخطابة ، ج.1 ، ترجمة . عبد الرحمان بدوي ، دار القلم ، الكويت ، 1979

⁸FRONTON ,lettre A M. César..23

« hic summa illa uirtus oratoris atque ardua est , ut non magno detrimento rectae eloquentiae auditores oblectet , eaque delenimenta , quae mulcendis uolgi auribus comparat , cum multo ac dedecore fucata sint ... attamen quae magis necessaria frequentius sunt experiunda . »⁹

" أعلى مستوى في الأداء عند الخطيب هو معرفة صرف انتباه المستمعين عند الخطأ قد يرتكب دون التشكيك و المساس في بلاغته ، هذه المعالم أعدت لسحر آذان الجماهير ، و لا ينبغي أن تكون الأخطاء كثيرة ، في ذلك اهانة كبيرة . ارتكاب الخطأ بليوننة أفضل من الوقاحة في التعبير ... في هذا الوقت ينبغي أن يكون الأهم هو المناسب و الأكثر. " ¹⁰

هذه المعالم التي تحدث عنها فرونطو عبارة عن توجيهات و تقنيات يستخدمها الخطيب عندما يكون في المنصة حيث الإلقاء المباشر على الجمهور المستمع و أشار هذا المعلم إلى الأخطاء التي قد يرتكبها الخطيب أثناء الحديث ، وفي هذا الوقت يستلزم التحكم في فنون اللعبة و المراوغة كوسيلة لتجنب الإحراج المهين ووضح لماركوس أوريليوس أن المقصود بالأخطاء التي يجوز فيها المراوغة قد تكون هفوات لغوية و نحوية لا ينتبه كثير من الناس إليها ، لكن الأخطاء التي لا يجب ارتكابها في الخطابة هي الألفاظ غير المناسبة في النص الخطابي كالوقاحة في التعبير التي لا ترتقي إلى مستوى الأدب البليغ ، لأن الخطيب يستوجب عليه الكلام بأخلاق و آداب . ¹¹

⁹ FRONTON ,Ad Marcum Caesarem ,II.2

¹⁰ فرونطو ، الرسالة. II . 2. إلى ماركوس قيصر ، ترجمة حسينة قادري .

¹¹ نفسه .

كما أكد فرونطو في مراسلاته أن أفضل طريقة لاكتساب الثروة اللغوية هي القراءة المستمرة لمؤلفات الخطباء البلغاء ، و ذكر أن الخطابة علم و فن في آن واحد ، لها أصول و قواعد لا بد من تعلمها و احترامها حتى يتسنى للخطيب تزويد نفسه بوسائل الإقناع و طرائق التأثير و ما يلزم أن يكون عليه من صفات و آداب ، لأن غاية الخطابة عند العلماء هي الحصول على قوة التمكن من الإقناع¹² ، لاشك أن الخطابة مرتقي صعب المنال لا يصل إليها طالبها ببسر ، بل يحتاج من مبتغيها إلى جهد كبير¹³ ، وهذا المعنى ما كان فرونطو يريد إيصاله لتلميذه ماركوس أوريليوس و تحسيسه بضرورة السعي إلى اكتساب ثروة لغوية من ألفاظ و أساليب مناسبة في التعبير الخطابي ، فحثه على قراءة مؤلفات القدامى للخطباء و الشعراء ثم وجهه إلى بعض النماذج التي تساعده و يستفيد منها كثيرا وذكر :

« ... aliquid quod tibi disertissimum videatur , quod legam , vel tuuin vel Catonis vel Ciceroni saut Sallustii aut Gracchi aut poetae alicujus ... Etiam si qua Lucretii aut Ennii... »¹⁴

" بالنسبة لقراءتي وما تجده أكثر بلاغة ما كتبه: كاتو* و شيشرون ** وسالوستيوس *** و كراكوس **** و بعض الشعراء ... أمثال لوكريتيوس ***** أو اينيوس *****...".

¹² محود حمادة ، الخطابة ، مجلة أقلام ، 30 نوفمبر 2010 ، www.amlaam.net
¹³ نفسه

¹⁴ FRONTON , A.M.Antoninus , epistola II.67

* كاتو: بلقب بكاتو الكبير تميزا عن حفيده كاتو الصغير ، عاش ما بين 234ق.م - 149 ق.م ، و هو من كبار المحافظين على التقاليد القديمة للرومان ، المزيد من المعلومات أنظر : PLUTARQUE ,vie de CATON le censeur, trad.D.RICHARD,tome.IV,Paris,1829, VI

**شيشرون : اسمه ماركوس توليوس شيشرون ، خطيب روماني ولد سنة 106ق.م ، يعتبر نموذجا مرجعيا للتعبير اللاتيني الكلاسيكي ، المزيد من المعلومات أنظر : BRISSON ,JEAN – PAUL , LEMURIA et PARENTALIA ,loc.cit
**سالوستيوس: عضو في مجلس الشيوخ حوالي سنة 52ق.م ، ينتمي إلى الطبقة العامة و صاحب كتاب " حرب يوغرطة " ، المزيد من المعلومات أنظر : نفسه

***كراكوس : اسمه تيبيريوس سمبرونيوس كراكوس ، ولد حوالي سنة 168ق.م . أثار اضطرابا في الجمهورية بإصلاحاته الزراعية لصالح الطبقة العامة ، المزيد من المعلومات أنظر : نفسه .
****لوكريتيوس: شاعر و فيلسوف روماني في القرن الأول قبل الميلاد ، كتب قصيدة شعرية غنية بالاستعارات وصف فيها الكون وفق الخصائص الفيزيائية ، المزيد من المعلومات أنظر : نفسه.
***** اينيوس : (239ق.م - 169 ق.م) كاتب و شاعر روماني عاش خلال فترة الجمهورية الرومانية ، و يعتبر أبا للشعر الروماني المزيد من المعلومات أنظر : نفسه.

اعتبر فرونطو كل من كاتو و شيشرون و سالوستيوس و كراكوس و لوكريتيوس و كذلك اينيوس نماذجاً للفصاحة و البلاغة و مصادرًا يرجع إليها الباحث و المتعلم لاكتساب اللغة و الكلمات المناسبة لتحرير نصوص الخطب السياسية ، لأن الخطب الناجحة هي التي يحسن الخطيب اختيار ألفاظها و أساليبها و لا يكون ذلك إلا بالقراءة و حفظ أقوال الفصحاء و الخطباء البلاغاء . على هذا المقياس يرى فرونطو ضرورة توفر العبارات مواصفات و معنى التي يجب على الخطيب استعمالها ، و يكون لها أثر في قلوب المستمعين و نقرأ ذلك في الرسالة الآتية التي كتبها لماركوس أوريليوس:

« ... Nonne omnis oratorum copias sectavere , refutandi sollertiam , augendi facultatem eludenti venustatem , permovendi delectandique , deterrendi incitandique , ornandi , conciliandi , infamandi – laxandi audientium animos , aut alliciendi ... ut cola synonymorum ratione converteres , ut de vulgariibus elegantia , de contaminatis nova redderes , imaginem aliquam accommodares , figuram iniceres , prisco verbo adomares , colorem vetusculum adpingeres... ».¹⁵

" هل بحثت في جميع مصادر الخطباء ؟ عن عنوان الدحض و موهبة الفكر الواسع ، و نعمة المراوغة و التأثير و الجذب و التحويل و التجميل و التوفيق و استرخاء مشاعر المستمعين ... تقوم بجمع المرادفات و تبحث أحيانا عن الكلمات البسيطة و توظفها في عبارات جديدة و جميلة بشكل منطقي ، ثم تضبطها ببعض الصور البيانية و ترمي في القالب بعض الأنماط و تجعلها في مظهر لفظ قديم أصيل ، و بفرشائك تعطي لها لونا خفيفا للقدم ..."¹⁶

حث فرونطو تلميذه ماركوس على قراءة المصادر القديمة للخطباء الممتازين الذين ذكر أسماءهم من قبل ، و التمعن في بلاغتهم و أساليبهم مع الوقوف على العبارات

¹⁵ FRONTON , lettre AM. César.1

¹⁶ فرونطو ، الرسالة . 1 ، إلى ماركوس قيصر ، ترجمة . حسينة قادري

التي استعملوها لجذب و التأثير على قلوب المستمعين ، بهذه الطريقة يقول فرونطو أن المتعلم يكتسب فن الخطابة و كيفية توظيف مختلف الصور البيانية لتجميل التعبير الخطابي المؤثر . و أشار أيضا إلى بعض المواقف المحرجة التي قد يقع فيها الخطيب خاصة أثناء مواجهة المعارضين ، في هذه الظروف يتطلب من الخطيب استعمال الذكاء و مهارة المراوغة و التمكن من اللعبة و كيفية التهرب من ذلك الإحراج شريطة أن لا يشعر الآخرون بذلك . ركز فرونطو كثيرا على ضرورة توظيف الكلمات الكلاسيكية حيث يكون للفظ مصدر و مدلول لأنه يعتبر ذلك في علم اللسانيات أبجديات الخطاب¹⁷ دون إهمال علوم البلاغة لإعطاء وزنا و جمالا للخطب المختلفة.

II- البلاغة

1- مفهوم البلاغة

أ- **البلاغة في اللغة** : البلاغة لغة اسم مشتق من الفعل بلغ بمعنى وصل إلى النهاية¹⁸ ، وقد سميت بهذا الاسم " البلاغة " لأنها تنهي المعنى إلى قلب المستمع مما يؤدي إلى فهمه بسهولة ، أي أنها الوصول و الانتهاء إلى الشيء¹⁹ . و الإنسان يوصف بأنه بليغ حين يكون قادرا على إيصال المعنى إلى المستمع بإيجاز و لديه القدرة على الإقناع بواسطة كلامه و أسلوبه²⁰ .

¹⁷ أحمد مداس ، لسانيات النص ، الأردن ، 2007 ، ص. 4

¹⁸ محمد مشبال ، البلاغة و الخطاب ، دار الأمان ، الرباط ، 2014 ، ص.2
¹⁹ نفسه .

²⁰ نفسه .

البلاغة اصطلاحاً : هي مطابقة الكلام الفصيح المقتضى الحال ، أو هي

سياق الكلام الفصيح على مقتضى الحال بحسب المقامات ، و تحمل معاني كثيرة في ألفاظ قليلة ، و هي كلمة تستخدم للكشف عن بقية الكلام بإيجاز و إيصال المعنى بعبارة صحيحة ، يكون لها في النفس أثر جميل ²¹ . و البلاغة علم ينقسم إلى ثلاثة أقسام وهي : البيان و المعاني و البديع ²² .

البيان في اللغة معناه الظهور و الوضوح و الإفصاح و ما تبين به الشيء من الدلالة و غيرها ، نقول بأن الشيء بيان أي اتضح و أركانه هي : التشبيه و المجاز و الكناية ²³ .

التشبيه هو لغة التمثيل كأن نقول هذا شبه هذا أو مثيله ، اصطلاحاً هو مشاركة أمر لأمر في معنى بأدوات معلومة أو هو عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر قصد اشتراكهما في وصفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم ، و له أربعة عناصر : المشبه و المشبه به ووجه الشبه وأداة التشبيه ²⁴ .

و المجاز هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الأصلي ، أي أن اللفظ يقصد به غير معناه الحرفي بل معنى آخر له علاقة غير مباشرة بالمعنى الحرفي ، و العلاقة بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي أي بين المعنى المنقول عنه و المعنى المنقول إليه ، قد تكون المشابهة و قد تكون غيرها ، فإذا كانت المشابهة فهي استعارة وان لم تكن ذلك فهي مجاز مرسل ²⁵ .

²¹ ابن منظور ، المرجع السابق ، الجزء الثاني.

²² نفسه .

²³ نفسه .

²⁴ نفسه .

²⁵ www.almaref.org/books/contentsinages/books/allougha/albalgha

و الاستعارة هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له ، في الأصل تشبيه حذف أحد عناصره²⁶ ، و في حالة حذف المشبه و التصريح بالمشبه به تسمى الصورة البيانية بالاستعارة التصريحية ، و إذا حذف المشبه به و يدل عليه لازم من لوازمه أو صفة من صفاته تسمى الصورة البيانية بالاستعارة المكنية . أما الكناية في اللغة ما يتكلم به الإنسان و يريد غيره ، اصطلاحاً لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له.²⁷

علم المعاني في اللغة هو قواعد يعرف بها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، و يكون طبق الغرض الذي سيق له²⁸ ، و في الاصطلاح هو التعبير عما يتصوره الذهن أو هو الصورة الذهنية من حيث ما يقصد من اللفظ²⁹ . و علم المعاني تسمية تعرف به أحوال اللفظ ، و المراد بالحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد خصوصية في الكلام ، و المعاني البلاغية هي الأغراض أو الغايات أو المقاصد التي من أجلها قال أو ألقى المتكلم كلامه وفق ما اقتضاه الحال أو حسب ما تطلبه الموقف .

علم البديع لغة هو من بدع و أبدع أي أوجده لا على مثال سابق . اصطلاحاً هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام³⁰ . و المحسنات البديعية قسمان : المحسنات المعنوية و المحسنات اللفظية . بالنسبة للمحسنات المعنوية تشمل : التورية -

²⁶ طه عبد الرؤوف سعد ، علم البلاغة ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، الطبعة الأولى ، 2016 ، ص.296

²⁷ www.almaref.org/books

²⁸ طه عبد الرؤوف ، المرجع السابق ، ص.41

²⁹ www.uobabylon.edu.iq/ جامعة بابل - علم المعاني

³⁰ أحمد كلحى ، علم البلاغة ، مقال منشور في الموقع : File:///c:/users/client/Desktop

الاستخدام الاستطراد - الافتتان - الطباق - الارصاد - الإدماج - المذهب الكلامي وحسن التعليل . التورية هي الإيهام أو التخيل ، وهي أن يكون للفظ معنيان هما : قريب و بعيد ، فيذكره المتكلم و يريد به المعنى البعيد ، الذي هو خلافا للظاهر و يأتي بقرينة لا يفهمها السامع غير المتقطن ، فيتوهم أنه أراد المعنى القريب³¹ . الاستخدام هو أن يكون للفظ معنيان فينطقه المتكلم و يريد به أحد المعنيين ثم يذكر ضميره و يريد به المعنى الآخر . و الاستطراد هو أن يشرع المتكلم في موضوع معين و يخرج منه قبل تمامه إلى موضوع آخر و يعد ذلك يرجع مرة أخرى إلى موضوعه الأول . و الافتتان هو الجمع بين فنين من الكلام كالمدح و الذم ، و التهئة و التعزية³² .

أما الطباق أو المقابلة هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى . و الارصاد ويسمى أيضا التسهيم هو أن يذكر المتكلم قبل تمام الكلام شعرا أو نثرا³³ . و الإدماج أن يدمج في كلام سيق لمعنى معين معنى آخر غير مصرح به . المذهب الكلامي هو أن يؤتى لصحة الكلام بدليل مسلم عند المخاطب³⁴ . و حسن التعليل هو أن يأتي البليغ طريفة لمعلوم علتة شيء آخر³⁵ .

و فيما يتعلق بالمحسنات اللفظية فإنها تركز على اللفظ و أصالته ، و أصنافها هي : الجناس و السجع و الاقتباس . الجناس هو تشابه اللفظان في النطق و يختلفان في المعنى . السجع هو توافق الفاصلتان في الحرف الأخير . أما الاقتباس هو الاستعانة بأقوال الشعراء و الشخصيات البارزة باستعمال علامتي

³¹ أحمد كلبي ، المرجع السابق .

³² نفسه .

³³ طه عبد الرؤوف سعد ، المرجع السابق .

³⁴ نفسه .

³⁵ نفسه .

التتصيص في حالة الاقتباس المباشر أو الإشارة إلى المصدر في حالة الاقتباس غير المباشر³⁶ .

ب - البلاغة في مراسلات فرونطو

في إطار تعلم كيفية تحرير النص الخطابي أو مراسلة معينة ، طلب فرونطو من ماركوس أوريليوس توظيف علوم البلاغة و قواعدها توظيفا جيدا و ساعده بنص نموذجي للاقتداء به جاء فيه ما يلي :

" ...Viriathus , etiam Spartacus belli scientes et manu prompti fuerunt . Sed enim omnes universos quicumque post Roman conditam oratores extiterunt , illos etiam , quos in oratore Cicero eloquentiae complebis quom ex una Fabiorum familia trecenti milites fortissimi pro patria dimicantes uno die occuburint . Non gentium milia ... sus pellibus ... unum etia... yium , tu p yocis modnlatae amatores primas audisse feruntur aves vernas luco opaco . Post pastores recens repertis fistulis se atque pecus oblectabant . Visae fistulae longe avibus modulatiores . Murmurentium voculis in luco eloquentiae oblectantur .Ennium deint et Accium et Locretium amplieore jam mugitu personantis taschae quod ... " ³⁷

" فيرياتوس* (Viriathus) و أيضا سبارطاكوس** (Sparthacus) كانا ذكيين في الحرب و شجاعين في القتال . لكن من بين الخطباء الذين علا مجدهم منذ تأسيس روما

³⁶ طه عبد الرؤوف سعد ، المرجع السابق.

³⁷ FRONTON , lettre AM.César .25

* فيرياتوس : قائد الوستانيين في مقاطعة لوسيتانيا (Lustanie) باسبانيا ، و كان في حروب دائمة مع القادة الرومان الذين أجبرهم على عقد معاهدة صلح في عهد البروقنصل كوينتوس فايبيوس ماكسيموس (Quintus Fabius Maximus) . و أهم ما نصت عليه هذه المعاهدة : احتفاظ فيرياتوس على مكتسباته و أن يكون حليفا للرومان . لكن لم يمض وقتا طويلا على هذه المعاهدة حتى نقضها القائد الروماني كوينتوس سرفيلبيوس سيبينو (Quintus Servilius Caepion) و تمكن بعد ذلك من القضاء على فيرياتوس عن طريق الرشوة بشراء أصدقاء هذا الاخير الذين ساعدوه على قتله . المزيد من المعلومات أنظر : EUTROPE , Abrege de l'histoire Romaine , trad. DUBOIS , PARIS , 1710,livre quatrième, 91

** سبارطاكوس: كان عبدا و مقاتلا من أصول تراسيا (Thrace) ، قاد ثورة العبيد ما بين 73 و 71 قبل الميلاد في جنوب ايطاليا ، حقق انتصارات كثيرة على القادة الرومان ، لكنه لم يستغلها لأن هدفه هو العودة إلى موطنه (تراسيا) وتمكن بعد ذلك القائد كراكوس (Gracchus) ، من القضاء عليه بعد مجزرة رهيبية حيث قتل إثرها حوالي 6000 عبدا . المزيد من المعلومات أنظر : PLUTARQUE , vie de GRASSUS , tome . troisième , III , trad.ALEXIS PIERRON , Paris,1853

و حتى في الحشد الذي عدده و ذكره شيشرون في مؤلف - الخطيب - أين منح لهم بشكل عفوي حق المواطنة في إمبراطورية الفصاحة و البلاغة ، ستملاً ما يقارب عدد الثلاثمائة ، بينما عائلة فابيوس *** (Fabius) ، وحدها ، قدمت للوطن ثلاثمائة جندي شجاع الذين قتلوا في يوم واحد فداء لوطنهم . يقال أن هواة الأنغام يسمعون أولاً لعصافير الربيع تحت ظل الأشجار ثم إلى قصبات الناي ذات الاستعمال الحديث ، اللواتي يمثلن متع الراعي و قطعانه . قصبات الناي تظهر أكثر تناغماً على زقزقة العصافير ... و يتركن للتمتمة و الأصوات الخفية داخل الآجام المقدسة لبلاغة اينيوس **** (Ennius) و أكيبوس ***** (Accius) و لوكريتيوس (Lucretius) الذين يضرِبون آذانها و يتسع بذلك عضو الإصغاء... " .³⁸

وظف فرونطو في هذا النص علم المعاني و البيان ليصل في النهاية إلى الكشف عن المكانة المميزة للإنسان الفصيح في عالم الأدباء ، و أنه يجب التدقيق في درجة الفصاحة أثناء تعداد الخطباء و التمييز بين الفصيح و الأفصح ، فقدم أمثلة على ذلك بذكر أولاً شخصيتين عسكريتين بارزتين في التاريخ الروماني و هما فيرياتوس و سبارطاكوس اللذان استطاعا تشكيل قوة عسكرية بفضل خطبهما المؤثرة في نفوس أنصارهما . ثم وجه فرونطو تلميذه إلى قراءة الكتاب الذي ألفه شيشرون حول الخطابة

³⁸ فرونطو ، المصدر السابق ، الفقرة 25 ، ترجمة حسينة قادري.

*** فابيوس : نسبة إلى فابيوس كوينتوس فيبولانوس (Fabius Quitus Vibulanus) الذي كان قنصلاً ما بين 487 ق.م و 482 ق.م هزم الفولسكيين (Les Volsques) و الاخييين (Les Eques) ، عائلته سارت على نهجه بدءاً من أخيه فابيوس قيصر فيبولانوس (Fabius César Vibulanus) حوالي سنة 479 ق.م إلى فابيوس بيكتور كوينتوس (Fabius Pictor Quintus) الذي عاصر الحرب البونيقية الثانية (218 - 202 ق.م) ، المزيد من المعلومات أنظر :

BERNARD LATZARUS , PLUTARQUE , vie de FABIUS MAXIMUS , t.I, paris.1950

**** اينيوس : اسمه اينيوس كوينتوس (Ennius Quintus) الذي عاش ما بين 269 و 239 قبل الميلاد ، و هو شاعر ملحمي يعتبر من أشهر الشعراء اللاتينيين إذ لقب بأب الأدب الروماني ، المزيد من المعلومات أنظر :

www.universalis.fr/encyclopedie/Quintus - Ennius

***** أكيبوس : اسمه لوكيوس أكيبوس (Lucius Accius) من أكبر شعراء تراجيديا في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد . المزيد من المعلومات أنظر : Ibid

و أنه سيجد فيه ذكرا لعدد يقارب الثلاثمائة خطيب ، في نفس الوقت قدم فرونطو انتقادا لشيشرون حيث قال أنه وضع ذلك العدد على خط و مستوى واحد من البلاغة " منح لهم حق المواطنة بشكل عفوي في إمبراطورية الفصاحة " ³⁹ ، في هذه العبارة معنى مجازي والمراد من ذلك أن شيشرون لم يرتب الخطباء الذين ذكرهم ترتيبا دقيقا حسب درجة بلاغتهم حيث اعتبرهم جميعا خطباء بلغاء . ثم يعلل فرونطو و يذكر أنه إذا كان ذلك هو المقياس فإن عائلة فابيوس وحدها قدمت للوطن ثلاثمائة جندي شجاع في يوم واحد ، والمعنى المجازي البعيد المراد ايصاله هو التمييز بين الإنسان المقاتل الشجاع مثل فيريباتوس و سبارطاكوس و فابيوس و بين الإنسان البليغ الذي له مهارة استعمال فنون البلاغة كعلم المعاني و أقسامه و كذلك توظيف ما يناسب للمعنى صورا بيانية هادفة . و الصورة البيانية التي وظفها هذا الخطيب في النص النموذجي السابق هي : " يقال أن هواة الأنغام يسمعون أولا لعصافير الربيع تحت ظل الأشجار ثم إلى قصبات الناي ذات الاستعمال الحديث " ⁴⁰ أي أن هواة الموسيقى يفضلون الإيقاع الأصيل الذي تؤديه العصافير في الطبيعة تحت ظل الأشجار على الإيقاع المصطنع كقصبات الناي الحديثة الاستعمال ، و يقول رغم أنها تظهر أكثر تناعما من زقزقة العصافير إلا أن هذه الأخيرة هي المفضلة عند الرعاة ⁴¹ . هدف فرونطو من هذا المجاز هو الوصول بتلميذه إلى التمكن من التمييز بين الإنسان البليغ

³⁹ FRONTON, loc. cit.

⁴⁰ Ibid.

⁴¹ Ibid.

الأصيل الحقيقي والإنسان المزيف المصطنع ، أي بين الذي يستحق لقب البليغ و الذي لا يستحقه . لتوضيح المعنى أكثر قدم بعض الأمثلة من الشعراء النموذجيين الذين شبه إيقاعهم الموسيقي بزقزقة العصافير الأصيلة وقال : " قصبات الناي تظهر أكثر تناغما على زقزقة العصافير ، و يتركن للتمتمة و الأصوات الخفية داخل الآجام المقدسة للبلاغة ، اينيوس وأكييوس و لوكريتيوس الذين يضررون آذانها ويتسع بذلك عضو الإصغاء ."⁴² أي أن الأنغام المصطنعة التي تؤديها قصبات الناي لا تظهر أمام أنغام بلاغة اينيوس و أكييوس و لوكريتيوس الذين تسمو مكانة بلاغتهم إلى القدسية و التي شبهها بالشجر المقدس " الآجام المقدسة "⁴³ ، و أن أصوات هؤلاء تؤثر في أعماق السمع " يضررون آذانها و يتسع عضو الإصغاء "⁴⁴ ، و المعنى البعيد من هذا التشبيه و الاستعارة و المجاز المرسل أن الخطباء درجات و الممتازين هم الأصوليون ، أي الذي يريد أن يتعلم الخطابة و البلاغة عليه أن يقرأ مؤلفات و خطب البلغاء و الخطباء القدامى الذين يعتبرون لدى فرونطو مصادرا للتعليم و التعلم ، و أن يميز القارئ بين الخطب العسكرية و غيرها ، و في هذا المعنى تنبيه لمارك أورل على ضرورة حسن استعمال الخطب أي حسب ما يناسب المجال ، فعلى سبيل المثال المجال العسكري له نوع معين من الخطب و هي موجهة في الغالب إلى الجنود ، و في هذه الحالة على الخطيب استعمال أسلوبا مؤثرا لإثارة حماس الجيوش و كذلك الجمهور أو العامة يستلزم أيضا معرفة أسلوب التأثير لكسب تأييدها حيث شبه فرونطو العامة بالرعاة " يقال أن هواة الأنغام يسمعون أولا لعصافير الربيع

⁴² FRONTON, loc. cit.

⁴³ Ibid.

⁴⁴ Ibid.

تحت ظل الأشجار ثم إلى قصبات الناي ذات الاستعمال الحديث ، التي تمثل متع الراعي و قطعانه⁴⁵ .

في إطار الدروس دائما ، أكد فرونطو في كثير من مراسلاته على ضرورة الاعتماد على الجهد الذاتي و تقديم عملا جديدا وكذلك إبداعات فكرية ، كما حذر تلميذه من النقل الحرفي لأعمال الآخرين دون إضافة الجديد ، و حثه على الإبداع أو ترجمة مؤلفات القدامى لإثراء الفكر اللاتيني ، وعاتب الذين يكتفون بالنقل دون التجديد أنهم يحبون أن يحمدون ، و ذكر أن العيب الكبير أنهم ينسبون إلى أنفسهم ما لم يقوموا به والينا ما كتبه في هذا الأمر :

« Enimyéro ad philosophes librum legas , magistro interpretanti tacitus adtendas , mtellescisse adnuas , aliis legentibus ipse plerumque dormites , auilias lixo ThowTov , Tt to SSuxspov diu iduhumque numerari , si riidpsa éorlv ,...Fenestri patentibus laborari , securus inde abeas , cuinihil per doctem meditandum aut constribendum , niho magistro recitandum , nihil de memoria pronimtiadum , null (a verborum) indagatio , niillios synonymni ornatus , nihil de graeco in nostram linguam (pariter) vertendum .⁴⁶

" في الواقع ، اقرأ كتاب الفلسفة ، واسمع بهدوء ترجمة الأستاذ ، الإشارة الوحيدة التي ستفهمها ، إذا كان الآخرون يقرؤون ، سوف تنام من حين إلى آخر ، و استمع إليهم ثم عدد وقتا طويلا : أولا و ثانيا و عدة مرات . ستتعب ، و النواذ مفتوحة ، تقول هل اطلع الصباح و كيف هو ؟ ثم اذهب و أنت مطمئن مثل الرجل الذي ليس عنده ما يتأمله في الليل أو يكتبه . لا شيء يحفظه لمعلمه أو يخاطب به الذاكرة ، لا يوجد أي بحث عن الكلمة أو مرادف للتزيين ، و لا أية ترجمة من الإغريقية إلى لغتنا .

⁴⁵FRONTON , loc.cit.

⁴⁶Ibid, lettre AM. César.28

« In eos quoque meus magister Dionysius Tenuior et illam compositam fabulam protulit de dixeptatione yitis et arboris ilicis . Yitis se ante ilicem ferebat , quod suavissimum fructum hominum conviviis et deorum altaribus crearet . Idem dulce esu , idem hastru jucundum . Tum se majore cura , quam Cleopatram reginam , ornari, coptius quam laidem formosam . Pampinos suos ita pulchros esse , ut necterentur ex eis Libero thyrsi , corona Sileno , nymphis Bacchisque redimicula . Illicem esse horridam , infructuosam , inamabilem , creare . »⁴⁷

انه ضدهم كتب معلمي ديونيسيوس تنويور* (Dionnysius Tenuior) هذه القصة اللطيفة ، حول شجار و قع بين الكرمة و البلوط . قالت الكرمة أن فضلها كبير و أفضل من البلوط و أنها تنتج فاكهة لذيدة لولائم الرجال و قربانا للآلهة ، فاكهة رطبة للأكل و شراب حلو ، و أنها زينت بالمزيد من الرعاية بل بالزيادة على ملكة كليوباترة* (Cléopatra) أو لاييس** (Lais) الجميلة ، و أن سيقانها جميلة جدا ، يصنع بها أكاليل لباكوس*** (Bacchus) و تاج لسيلان**** (Siléne) و أحزمة للحسناوات و رفيقات ديونيصوص***** (Bacchantes) . و أما البلوط فهو سمين و يطلب أن يكون على حد سواء و بالتهنئة .⁴⁸

نلاحظ في هذا النص أن فرونطو مزج بين علمين : البيان و المعاني و ركز كثيرا على دلالات الألفاظ دون الانسجام بين الفقرات ، حيث خصص لكل فقرة موضوع

⁴⁷ FRONTON , loc.cit.

*ديونيسيوس تنويور: فيلسوف لاتيني و معلم فرونطو.
**كليوباترة: مالكة مصرية من عائلة البطالمة ، حكمت ما بين 51 و 30 قبل الميلاد ، وكانت جميلة جدا ، المزيد من المعلومات أنظر :

www.history.com/Topic/ancient.history/Cleopatra

*** لاييس: فتاة جميلة جدا من أصول صقلية، كانت أسيرة في كورنثة ، اشتهرت بممارسة الرذيلة و ذلك في القرن الخامس قبل الميلاد،

المزيد من المعلومات أنظر : www.cosmovision.com/Lais

**** باكوس: اله الكرمة عند الرومان ، وهو ابن الإله جوبيتر ، المزيد من المعلومات أنظر :

CHARLES VICTORE DAREMBERG , Dictionnaire des antiquités grecques et Romaines , Hachette , Paris , 1877

***** سيلان : اله المياه و الينابيع و الرطوبة و معلم الإله باكوس، المزيد من المعلومات أنظر : Ibid

*****ديونيصوص : اله الكرمة عند الإغريق و يسمى باكوس عند الرومان ، المزيد من المعلومات أنظر : Ibid

⁴⁸ فرونطو ، المصدر السابق ، ترجمة حسينة قادري

خاص بها بهدف الوصول إلى المغزى في نهاية النص . و الجدير بالذكر أن الألفاظ في اللسانيات تعتبر أبجديات الخطاب⁴⁹ ، ووصفها بعض الباحثين بأنها بنية تؤدي إلى الانسجام داخل كل تركيب للنص⁵⁰ ، و البعض الآخر رأى أنها تسعى إلى بلورة عدم انسجام نصوص الخطابات استنادا على القاعدة الآتية :

" هدف اللسانيات النصية بسيط . من أجل متابعة التحليل اللساني خارج إطار الجملة المركبة و نوع الجمل ، وكما تبدو جد صعبة يجب قبول التوقع على حدود اللسانيات بهدف بلورة عدم تجانس كل تركيب نص . و لا يجد النص الخطابي تجانسه ... إلا داخل النشاط التأويلي (Activité interprétative) للقارئ ، لأن الانسجام النصي ليس خاصية لسانية تحققها الملفوظات ... حيث يعطي المؤول بالدرجة الأولى للملفوظات المعنى و الدلالات ، و لا يكون عادة حكم بعدم الانسجام إلا في نهاية عمله ... " ⁵¹ . على هذا الأساس نلتمس صعوبة في بداية تحليل نصوص الخطيب فرونطو الذي يركز على الألفاظ دون الانسجام كون هذا الأخير ليس خاصية لسانية تحققها الملفوظات . فاللفظ بالنسبة لهذا الخطيب له مدلول و معنى يستنتج في نهاية النص . والباحثون في علم الدلالة يؤكدون على اقتران اللفظ بالمدلول أو كما يسمونه بالمتصور الذهني ، و أن الخطاب بمثابة الجانب الحي المتحرك في اللغة⁵² . ومن هذا المنظور طلب فرونطو من مارك أورل توظيف علوم البلاغة من بيان و معاني

⁴⁹ أحمد مداس ، لسانيات النص – جدارا للكتاب العالمي ، الأردن ، 2007 ، ص.4.

⁵⁰ نفسه .

⁵¹ نفسه.

⁵² نواري سعودي أبوزيد ، الدليل النظري في علم الدلالة ، بيت الحكمة ، الجزائر ، 2014 ، ص.50.

و بديع مع اختيار الألفاظ المناسبة التي لها دلالة ومعنى بعيد يستنتج في نهاية النص⁵³.

إذا عدنا إلى الفقرة الأولى من نص فرونطو السابق ، لا يمكن لنا فهم الفكرة العامة من الموضوع الذي طرحه هذا البليغ في البداية : " في الواقع ، اقرأ كتاب الفلسفة واسمع بهدوء ترجمة الأستاذ . الإشارة الوحيدة التي ستفهمها ، إذا كان الآخرون يقرؤون ، سوف تنام من حين إلى آخر ، و استمع إليهم ثم عدد وقتا طويلا...⁵⁴ إلى حد الآن لا يوجد أي انسجام في الجمل ثم يبدأ المعنى يتضح في الفقرة الثانية : " ستتعب ، و النوافذ مفتوحة ، تقول هل اطلع الصباح و كيف هو ؟ ثم اذهب و أنت مطمئن مثل الرجل الذي ليس عنده ما يتأمله في الليل أو يكتبه . لا شيء يحفظه لمعلمه أو يخاطب الذاكرة ، لا يوجد أي بحث عن الكلمة أو مرادف للتزيين ، ولا أية ترجمة من الإغريقية إلى لغتنا . انه ضدهم كتب معلمي ديونيسيوس تنوير هذه القصة الجميلة ...⁵⁵ . إذن في نهاية هذه الفقرة بدأ يظهر المعنى و الانسجام حيث طلب فرونطو من تلميذه قراءة الكتاب الذي ترجمه أستاذه الفيلسوف ديونيسيوس تنوير من الإغريقية إلى اللاتينية لأن فيها إشارة واضحة إلى الذين يكتبون و ينقلون أعمال الآخرين دون ترجمة أو إضافة شيء جديد . و العبارة الآتية من تلك الفقرة : " إذا كان الآخرون يقرؤون " ⁵⁶ ، المقصود منها أن هؤلاء الذين ينقلون حرفيا أعمال الآخرين لا يحسنون قراءة و فهم المؤلفات لذلك يعجزون عن ترجمتها . و أكد لماركوس أوريليوس أنه حتى ولو سهر طول الليل من بدايته إلى طلوع الصباح و هو

⁵³ FRONTON, AM. Antoninus, Epistola II . 67

⁵⁴ Ibid , lettre AM. César. 28

⁵⁵ Ibid.

⁵⁶ Ibid.

يقراً ما كتبه هؤلاء ، لا يجد أبداً جديداً يذكر عندهم و لا مرادفاً للتزيين أي محسناً بديعياً ، و لا أية ترجمة من الإغريقية إلى اللاتينية . ولتقريب معنى النص أكثر ، دعم فرونطو الفقرتين الأولى و الثانية بتوظيف الاستعارة و المجاز في الفقرة الثالثة قائلاً : " انه ضدّهم كتب معلمي ديونيسيوس تنوير هذه القصة اللطيفة حول شجار وقع بين الكرمة و البلوط ... و يطلب أن يكون على حد سواء وبالتهنئة⁵⁷ .

أخذ فرونطو هذه القصة من أستاذه ديونيسيوس تنوير ، ليقارن بها بين الإنسان الذي يجتهد و يفيد الآخرين بإبداعاتهم و أعمالهم الجديدة و الإنسان الذي يكتفي بالنقل دون إضافة الجديد . فالإنسان المجتهد و المبدع شبهه بالكرمة التي لها فضل كبير بما تقدمه من فوائد نافعة لذينة و شراب حلو الذي يقدم في المناسبات و الأعياد الدينية وكذلك القرابين للآلهة ، ولهذا قالت الكرمة أنها جميلة ونالت عناية أكثر من الملكة كليوباترة ولايبس اللتان يضرب بهما المثال في الجمال خلال ذلك الزمن ، و أن أوراقها و سيقانها يصنع بها أكاليل و تاج للآلهة وأيضاً أحزمة للحسناوات و رفيفات الإله ديونيسيوس الإغريقي والإله باكوس الروماني⁵⁸ .

و أما الإنسان الكسول الذي يكتفي بالنقل دون اجتهاد ، فقد شبهه فرونطو بالبلوط الذي يريد أن يكون كالكرمة في الحمد و الثناء⁵⁹ .

أراد هذا البليغ من خلال سرد هذه القصة أن يغرس في فكر تلميذه حب الاجتهاد و الإبداع و ضرورة الرجوع إلى المصادر و قراءتها قراءة جيدة و اقتباس منها ما يناسب من الكلمات لتوظيفها في علوم البلاغة كالبيان و المعاني ، كما حذره من

⁵⁷ FRONTON, loc. cit

⁵⁸ Ibid

⁵⁹ Ibid.

الكسل و نقل ما كتبه الآخرون دون إثرائه أو ترجمته ، وبين له أنه لا يمكن أن يكون له دور حضاري إلا بالعمل و الاجتهاد ، و قدم مثالا بمعلمه ديونيسيوس تنوير الذي نقد الكتاب غير المبدعين الذين لا يقدمون الجديد و لا يترجمون المؤلفات الإغريقية إلى اللغة اللاتينية قصد إثراء الفكر الروماني⁶⁰ .

وبعد تقديم هذه النصائح و التوجيهات ، واصل فرونطو شرح دروس البلاغة حيث ذكر لماركوس أوريليوس:

« Figuras etiam , quas Gaeci yocant , illum historiae , hunc orationi eongruentes adtiibuisse . Sallustium antithetis honeste eoinpositis nsum alie ni adpetens sui profusus : satis eloquentiae , sapientide parum . Paronomasia etiam non absurda ne frivola , sed proba et eleganti : simulator ac dissimulator Tuuium vero commodissima et familiari oratoribus figura . »⁶¹

" الصور البيانية المعروفة عند الإغريق ، توضع بطريقة فنية في التاريخ ، و هذا الفن يوضع هو أيضا في الخطاب . سالوستيوس استخدم أيضا و لحسن الحظ المقابلة (Antithése) مثل قوله : الطمع في الآخر و الإسراف على النفس و كذلك : بلاغة كافية و المعنى قليل ، و الجناس عنده ليس معقدا و لا بسيطا لكنه طبيعي و ذكي مثل قوله : عرف كيف يقتدي و عرف كيف يبدع . توليوس* بالنسبة للخطباء فقد استخدم صورة بيانية بسيطة و مناسبة . " ⁶²

بين فرونطو في هذه الفقرة كيفية توظيف الصور البيانية و المحسنات البديعية ، و أن استخدامها ينبغي أن يكون بفن و دهاء و دعم ذلك بأمثلة من أقوال سالوستيوس فيما يخص المقابلة و الجناس ، إذ جمع في المقابلة بين لفظين متقابلين في المعنى

⁶⁰ FRONTON , loc.cit

⁶¹ Ibid , , lettre VI.

* توليوس : اسمه ماركوس توليوس شيشرون (MARCUS TULLIUS CICERO) ابن الخطيب شيشرون ، ولد في حوالي 65 ق.م شغل منصب القنصل في سنة 30 ق.م ، المزيد من المعلومات : charles VICTOR DAREMBERG , loc.cit :

⁶² فرونطو ، المصدر السابق ، ترجمة حسينة قادري .

مثل : " alie ni adpetens , sui profusus " ⁶³ (الطمع في الآخر و الإسراف على النفس) ، و أما الجناس الذي هو تشابه لفظان في النطق مع الاختلاف في المعنى فنجد في هذا المثال : " simulator ac dissimulator " جناس ناقص لأن فيه لفظان يتشبهان في كثير من حروفهما و يختلفان في حرف واحد مثل حرف (di) الذي نجده في اللفظ الثاني (dissimulator) ولا نجده في اللفظ الأول (simulator) ، و في حالة تطابق كل الحروف مع اختلاف المعنى فالجناس يسمى بالتام ⁶⁴ .

من خلال هذه الأمثلة ، نلاحظ أن فرونطو استخدم أيضا الاقتباس الذي هو من المحسنات البديعية حيث استعان بأقوال سالوستيوس (alie ni adpetens , sui profusus) و ذلك يدل على شدة تعلقه بالقدامى و مؤلفاتهم حتى أصبح يعلم البلاغة بنصوص و أمثلة من التاريخ ، و أغلب الدروس التي كان يقدمها تستند على المصادر القديمة . كما شدد على تلاميذه بما فيهم لوكيوس فيروس و ماركوس أوريليوس على ضرورة توظيف أمثلة تاريخية في البلاغة و الخطابة وذلك بالعودة إلى قراءة المصادر .

ثانيا : دروس التاريخ

1- مبادئ التاريخ :

في إطار تكوين و تعليم ماركوس أوريليوس ، ألف فرونطو كتابا بعنوان " مبادئ التاريخ " (Les principes de l'histoire) بهدف منح تلميذه ثقافة تاريخية وأخذ

⁶³FRONTON , loc.cit.

⁶⁴ محمد مشبال ، المرجع السابق .

العبر من الماضي و غرس فيه روح الشجاعة و التضحية في سبيل الوطن و حقوق العامة . و قدم له أمثلة بشخصيات بطولية خلدتها التاريخ بما كانت تقدمه من أعمال مجيدة ، كما ظل يذكره بأن التاريخ ذاكرة الشعوب يثني على البطولات و يوبخ الجبناء ، وعلى هذا عليه أن يسير وفق مبادئ و أخلاق و أن يكون في منصبه السامي بجدارة و استحقاق . و أهم ما كتبه فرونطو حول هذه المبادئ :

" Macedonum opes torrentis modo magna viortae brevi die occiderunt : quorum unius humanae prolis aetate imperium extinctum est . Nam illa quae Alexandri comités familiaresque tenuerunt , praefecturae magis , quam imperia , appellandae Inimici usquam oppidum neque tectum diutinum aut limen inveteratum : Libertatem inopia sortiti , quia inpen subigendi sterilis fructus laboris capitur ...yagipalantes nuuo itineris destinato fine , non ad locum sed ad vesperum contenditur " .⁶⁵

" تشكلت قوة المقدونيين ، بعنف السيل ، و سقطت في يوم واحد ، إمبراطوريتهم لم تدم إلا مدة حياة رجل واحد ، لأن الدول التي احتلها رفاق وأصدقاء الاسكندر تستحق اسم ولاية بدل من الإمبراطوريات ... لم يكن لهم أبدا لا مدن و لا أسقف ثابتة و لا منازل أين يسكنون . اكتسبوا الحرية عن طريق العوز ، لأن لا فائدة من القهر الذي ليس له أي نفع ... متجولون ، متشتتون ، لم يكن لهم أي هدف من أسفارهم ، يمشون لا من أجل الوصول إلى مكان محدد و لكنهم يفعلون ذلك في المساء ، هؤلاء الذين قاموا بالحرب من أجل الذهب ، أضعهم في صف اللصوص بدل من الأعداء . " ⁶⁶

أشار فرونطو في هذه الفقرة إلى أسباب زوال إمبراطورية الاسكندر المقدوني* التي قال أنها عمرت مقدار مدة حكم هذا الرجل (356 ق.م - 323 ق.م) لأن بعد وفاة الاسكندر تفككت الإمبراطورية المقدونية وانقسمت بين القادة العسكريين وأن هدف

⁶⁵ FRONTON , principes de l'histoire .

⁶⁶ نفسه ، ترجمة . حسينة قادري

* الإسكندر المقدوني : ابن فليب الثاني ملك مقدونيا ، ولد سنة 356 ق.م في بيلا (Pella) ، تعلم على يد أرسطو ووصل إلى الحكم سنة 336 ق.م ، وقاد حركة توسعية كبيرة في الشرق ، المزيد من المعلومات أنظر :

PLUTARQUE, les vies des hommes illustres – vie d'ALEXANDRE, tome.3 , trad.ALEXIS PIERRON, Paris ,1853, III ,41

الحروب التي شنّها رفاقؤه و أصدقاؤه هو البحث و الاستيلاء على الذهب لذلك وصفهم بالصوم⁶⁷ ، و هذا الوصف نجده تقريبا عند المؤرخ بلوتارك (Plutarque) حيث قال :⁶⁸ " وهكذا الاسكندر تحدى الخطر ، ليمارس الفضيلة و تدريب الآخرين عليها ، لكن أصدقاؤه طراء من قبل العظمة و الثروات ، يحلمون إلا في الراحة والسعادة و لم يعودوا يستطيعون تحمل مشقة الأسفار و الحملات العسكرية ، تجرؤوا الهمس ضد الاسكندر و الحديث عليه بالسوء ."⁶⁹

أكد فرونطو في هذا الصدد على ما ذكره المؤرخ بلوتارك أن أهداف رفاقؤه و أصدقاؤه الاسكندر المقدوني اختلفت عن طموحاته و ضيعوا ما حققه من انتصارات اثر وفاته ، لهذا قال فرونطو أن قوة المقدونيين تشكلت تحت القهر و العنف و لم تدم إلا مدة قصيرة جدا تعادل مدة حياة رجل واحد ، كناية عن عمر الاسكندر المقدوني الذي انتهت امبراطوريته بنهاية حياته.⁷⁰ بالإضافة إلى ما ذكره بلوتارك⁷¹ أن هؤلاء الرفقاء و الأصدقاء كانوا يهمسون فيما بينهم بالسوء على الاسكندر ، و ذلك يدل على الخوف و طاعته كرها . بعد الإشارة إلى كيفية تشكل قوة المقدونيين و أسباب تفككها انتقل فرونطو في الفقرة الثانية إلى البارثيين لإجراء المقارنة بين هاتين القوتين فقال :

« Soli hominum parthi adversus populum Romanum hostile nomen haud umquam contemnendum gesserunt . Id satis demonstrat non crassi modo clades et Antoni foeda

⁶⁷ FRONTON , loc.cit

⁶⁸ PLUTARQUE ,loc.cit

⁶⁹ Ibid, loc.cit

⁷⁰ FRONTON , loc.cit

⁷¹ Plutarque , loc.cit

fuga , sed etiam fortissimi imperatoris tragani duetu legatus cum exercitu caesus , et principis ad triumphuin decedentis haudquaquam securo nec incruenta regressio . »⁷²

" البارثيون ، هم فقط من جميع الرجال الذين يحملون دائما وبجدارة اسم الأعداء ضد الشعب الروماني، وما يدل على ذلك كاف ، ليس فقط كارثة كراسوس* (CRASSUS) و الفرار المخزي لأنطونيوس ** (Antonius) ، بل كذلك مذبحه قائد و جيشه أثناء حكم الإمبراطور الشجاع تراجانوس و التراجع الصعب و الدموي لهذا الأخير عندما عاد للانتصار ."⁷³

ما ذكره فرونتو في هذه الفقرة أن البارثيين هم أعداء الشعب الروماني مدعما رأيه بما حدث لكراسوس و أنطونيوس قد نجده في بعض المصادر الأخرى التي اعتبرت هي الأخرى البارثيين كأعداء تقليديين للرومان مع تعداد معارك أبيدت خلالها عدة فرق عسكرية منها معركة حاران سنة 53 ق.م حيث قتل فيها كراسوس عندما كلف بإدارة مقاطعة سوريا سنة 54 ق.م و قيادة الحرب ضد البارثيين⁷⁴ بعد القضاء على ثورة العبيد التي قادها سبرطاكوس ما بين (73 ق.م و 71 ق.م) في صقلية (Sicile)⁷⁵ .

⁷² FRONTON , loc.cit , 324

* كراسوس : رجل سياسي و جنرال روماني ولد سنة 115 ق.م ، نجح في القضاء على ثورة سبرطاكوس (Spartacus) و وقف إلى جانب سيلا (Sylla) ، كما شارك في الحكم الثلاثي مع بومبي (Pompée) و قيصر . كلفه مجلس الشيوخ بآدارة مقاطعة سوريا ، جهز حملة ضد البارثيين و انهزم أمامهم في معركة حران (Harran) بتركيا سنة 53 ق.م ، المزيد من المعلومات أنظر :

www.universalis.fr/Grassus-lat-marcus-licinius

** أنطونيوس : رجل سياسي روماني شغل منصب بريطور (Preteur) سنة 74 ق.م ، كلفه مجلس الشيوخ بمهمة تحرير البحر المتوسط من القراصنة و مساعدة بومبي العظيم (Pompée Magnus) في حروبه ضد الملك ميتريدات السادس (Mithridate VI) أحد أحفاد الملك ميتريدات الذي أسس مملكة على طول سواحل البحر المتوسط ، وفي سنة 77 ق.م قاد أسطولا في اتجاه جزيرة كريت حيث انهزم فيها و أجبر على توقيع معاهدة السلام التي اعتبرها الرومان معاهدة مخزية . المزيد من المعلومات أنظر :

www.universalis.fr/Antonius/Pomoeé Magnus ; Appien , Mithridatique , chapittre II , trad. Philippe Remacle , www.remacle.org/bloodwolf/historien/Appien/mithridatique ; Adolphe Joane et Emile Isanbert , itinéraire de l'orient , paris , 1861 , p . 269

⁷³ فرونتو ، المصدر السابق ، ترجمة . حسينة قادري

⁷⁴ Plutarque , la vie de Crassus , XXI

⁷⁵ Ibid , Spartacus , XIII

يذكر المؤرخ بلوتارك في هذا الصدد أن حملة كراسوس على البارثيين كلفتها عشرين ألف قتيل و عشرة آلاف أسير⁷⁶ ، و لهذا وصفها فرونطو بالكارثة⁷⁷ . و فيما يتعلق بأنطونيوس الذي كلفه مجلس الشيوخ بمهمة تحرير البحر الأبيض المتوسط من القراصنة و مساعدة بومبي مانيوس في حروبه ضد ميتريدات السادس فقد انهزم سنة 77 ق.م و أقدم على توقيع معاهدة السلام التي اعتبرها الرومان معاهدة مخزية⁷⁸ ، و عنها قال فرونطو " الفرار المخزي لأنطونيوس " ⁷⁹ . إلى جانب هذه المجازر التي ارتكبتها البارثيون في القرن الأخير من عهد الجمهورية فقد تكررت في العهد الإمبراطوري لا سيما أيام تراجانوس (98م - 117 م) ، إذ قال فرونطو أن البارثيين أبادوا جيش تراجانوس و قائده و أنه لم يتمكن من الانسحاب إلا بصعوبة و شجاعة كبيرة⁸⁰ . واصل فرونطو مقارنته قائلاً :

" Bella igitur duo maxima a duobus maximis imperatoribus adversum parthos nostra memoria pari eventu bellata contendere inter sese procopiis eu jusque ducis et temporibus pergam : haud ignarus , fortissima facinora viventium gravatius , mortuorum gratin accipi : faveri praeteritis , invideri praesentibus . " ⁸¹

" سأواصل إذن المقارنة بينها مقارنة بالزمن و كذلك بالقوى العسكرية لكل قائد . حربان لا ينسيان و كذلك إمبراطوران ثابتان في مثل أيامنا هذه و بنفس النتيجة ضد البارثيين

⁷⁶Plutarque op.cit., XLII

⁷⁷ FRONTON, loc.cit

⁷⁸ Adolphe Joane et Emile Isanbert , loc.cit

⁷⁹ FRONTON , loc.cit

⁸⁰ Ibid.

⁸¹Ibid, 324

لا نتجاهل أن أفعال الأحياء الجميلة مرحب بها بحزن كبير و أفعال الأموات بمتعة و سرور و أن الجميل يرد إلى الماضي و الرغبة إلى الحاضر ."

" ubi primum magnum ducem resp . Proscit , obnibus Arpinati Paupertate aut nursina duritia ducibus ... adversus romanus intentum et infestuni et instructum , bellis exercitatum ... ab insidiis ... ad omne facinus audendum praeceps agebatur , nuuo jam scelere , quod atrocius auderet , reliquo , tym praeterea – nodatum – bellum ... in bellum profectus est cum cognitis militibus hostem parthum contemnentibus , sagitarum ictus post ingentia dacorum falcibus inlata volnera despiciatui habentibus . Multos militum imperator suo quemque nomine proprio atque castrensi cognomine (jo) culari appellabt ⁸²".

" عندما أصبحت الجمهورية في حاجة إلى قائد ، ظهر رجل شغوف بالقتال ، من الذين كونتهم المعاناة و كفلتهم الصلابة . كان دائما متقوسا و مستعدا ، و دائما فطنا و يقظا بفرص الهجوم على الرومان ، دريته الحروب ، و كان دائما مدفوعا بعنف إلى ثمن فظيع الذي لا ينبغي الخوض فيه . ذهب بالجنود الذين يعرفهم و يحتقرون بارثيا و يسخرون من ضربات السهام بعد الجروح الكبيرة التي أصيبوا بها خطأ من قبل الداسيين . كان الإمبراطور ينادي أغلبية الجنود بأسمائهم الخاصة و بألقابهم الحربية."

أعجب فرونطو كثيرا بتراجانوس و أثنى عليه ، و قال في فقرة أخرى أن سياسة هذا الإمبراطور اختلفت عن سياسة هادريانوس الذي فضل الهدنة و المحافظة على ما حقق سلفه من توسعات و شبهه بالملك نوما* ⁸³ لما كان يتصف به من تقوى و سياسة السلام خلافا لرومولوس ⁸⁴ و الاسكندر المقدوني ⁸⁵ و تراجانوس الذين انتهجوا سياسة توسعية حيث قال :

⁸² FRONTON , op.cit , 324

⁸³ Ibid , 328

* نوما : اسمه نوما بومبيليوس (Numa Pompilius) ملك روما الثاني بعد رومولوس (Romulus) عاش ما بين 753 و 673 قبل الميلاد ، كان محبا للسلام و الدين . المزيد من المعلومات أنظر: www.dictionnaire.sensagent-leparisien.fr/

⁸⁴ www.dictionnaire.sensagent,le Parisien.fr

⁸⁵ PLUTARQUE , loc.cit

« Gundis et facunde appellandis exercitibus suis inpigro , sed summ...bellorum ... Hadrianus provincias manu Trajani captas omittere maluit quam exercitu retinere . Ejus itinerum monumenta videas per plurimas Asiae atque Europae urbes et regum ...exercitus ... suum neminem umquam post – yidit ... nemine apstinendo uni omnium Romanorum principum Numae régi ... »⁸⁶.

" هادريانوس كان أميراً و عرف كيف يخاطب جنوده و يسيرهم ، و قد انتهج سياسة السلام و تخلى عن المقاطعات التي أخضعها تراجانوس بالقوة . و كانت له شعبية كبيرة حيث أقيم على شرفه نصبا تذكاريًا في عدة مدن من آسيا و أوروبا ، انه الأمير الوحيد الذي يمكن تشبيهه بالملك روما . "

يذكر فرونطو في الفقرة الموالية أن سياسة السلام التي انتهجها هادريانوس لها أثر سلبي على الجنود الرومان الذين فقدوا الشجاعة و العزيمة لأنهم تعودوا و أعدوا للحروب و التوسعات خلافاً لجنود آسيا الذين وصفهم بالجنباء و أنهم جندوا عن طريق الرشوة ، و من شدة الهوان يفرون أثناء المعارك و أمام البارثيين :

« Bellandi miles Romanus ad ignaviam redactus . Nam cum omnibus artibus , tum praecipue rei militari desidia noxiaest ... permoti...est ... experiri et milites in campo exercece . Corruptissimi vero onmium syriatici milites , seditiosi , contumacies , apud Signa infrequentes praesidiis vagi ac palantes de meridie temulenti , ne armatu quidem sustinendo adsueti , sed inpatientia laboris armis singillatim omittendis in yelutum atque funditorum modum seminudi , proeter hujuscemodi dedecora malis praeliis ita perculti fuerunt , ut ad primum parthorum conspectum terga verterent , tubas quasi iugae signum canentis audirent... »⁸⁷

" الجندي الروماني المتمرس على فنون الحروب و بدونها فقد تدريجياً شجاعته . لكن جنود سوريا الأكثر فساداً من الجميع ، فهم محرضون و وقحون و غير منضبطين أمام تحية العلم ، يتجولون خارج الأحياء ... في الظهيرة و يشربون الخمر بكثرة حتى أصبحوا لا يقدرّون على حمل الدرع ولا يتحملون التعب ، باقين دون سلاح و نصف

⁸⁶ FRONTON , loc.cit

⁸⁷Ibid, 328

أجسادهم عراة على هيئة المشاة و الرماة المبتدئين⁸⁸ . و من شدة الهوان أصبحوا خائفين من المعارك التعيسة إلى حد الفرار أمام أول ملمح من ملامح البارثيين ، و يتخيلون صوت الأبواق إشارة للفرار . " ⁸⁹

قارن فرونطو في هذا النص بين جنود روما و جنود سوريا ، و قال أن جنود الرومان نظاميون و منضبطون عكس جنود سوريا الذين يفتقدون إلى الانضباط و الخبرة . ثم صرح بأن لوكيوس فيروس كان مجبرا على أخذ هؤلاء المبتدئين أثناء حروبه ضد البارثيين :

« Lucio milites aut dilectu novo sumendi fuerunt , aut ...et molli militia corrupti . »⁹⁰

" لوكيوس كان مجبرا على أخذ الجنود المبتدئين الذين أفسدتهم النعومة . " ⁹¹

ثم يواصل ويقول :

" Taris disciplinae labem coercuit , industria sua ad militandum exemplo proposita . Primus ipse in agmine haud saepius equo yehi , quam pedibus fatisci : tam solem torridum facile , quam diem serenum ferre : Pulverem confertum pro nebulis pati , sudorem in armis , ut in ludicris , insuper habere caput apertum sok et imbribus et grandini et nivibus , neque ... ad versus tela munitum praebre , " ⁹²

" الانضباط العسكري كان صارما ، لإنهاء هذا الوضع ، قام بنفسه بكل التدريبات العسكرية اللازمة ، كان قدوة حيث نراه على رأس قوات أكثرها مشاة وفرسان ، متحملا أشعة الشمس المحرقة بكل بساطة كأنه في يوم معتدل ، وقساوة أمواج الغبار كأنها ضباب ، زيادة على ذلك كان يترك رأسه عاريا تحت الشمس و المطر وبرودة الثلج ، انه معرض و شاحب دون حماية " .

⁸⁸FRONTON , loc.cit.

⁸⁹ Ibid

⁹⁰Ibid,324

⁹¹ Ibid .

⁹²Ibid , 330

"Spectandis in campo nilitibus operam dare , aegros intervisere , non incuriose per militum contubernia transire , sed forte temere synorum munditias introspicere et pannoniorum inscitias . Sero ips post decisa negotia lava , mensa sobria , vietu in castris plebeio ,"⁹³

"مراقبة الجنود في السهل و زيارة المرضى كانتا أولى اهتماماته ، لا يمر على الخيام دون عناية بل كان يتوقف و ينظر بدقة الجنود السوريين و البانونيين ، في المساء بعد مراقبة و تنظيم كل الأعمال ، يستحم ثم يتناول وجبة خفيفة و اقتصادية ، كان يعيش في المخيمات كالعامة ."

"Vinum loci , aquam temporis biber , primam vigiliam facile vigilare , postremam jamdudum expergitus opperiri , labore magis quam otio laetari , otio ad laborem abuti , vacua militaribus tempora civilibus negotiis occupare . In paenuria subita ramis nonnumquam et frondibus pro suppellectile use est , coespitem interdum ut torum incubans . Somnum cepit labore paratum , non silentio quoesitum ."⁹⁴

" فيما يتعلق بالمشروبات ، يتناول النبيذ المحلي و يشرب الماء كما هو في الطبيعة ، كان يقضي الليالي فطينا ، يجد المتعة في العمل على الراحة ، يتفرغ للقضايا المدنية عندما تتيح له الحرب وقتا لذلك ، كان يستخدم في أوقات الشدة الأغصان و الأوراق كبديل للأثاث و العشب فراشا له في عدة مرات ، لا يأتيه النوم في الهدوء بل بالعمل".

" Graviora demum perverse facta severe animadtertut , leviora sciens dissimulavit , locum paenitendi reliquit . Nam delicta sua plerique , dum ignorari putant , corrigunt , ubi manifesta sciunt impudentia obfirmantur , "⁹⁵

" كان يعاقب بشدة الأخطاء الكبيرة و يتجاوز عن الصغيرة التي ترك لها وقتا للإجابة ، عندما يعرف أنهم ارتكبوها بجهالة و أصروا عليها بوقاحة ."⁹⁶

⁹³ FRONTON, loc. cit

⁹⁴ Ibid

⁹⁵ Ibid , 332

⁹⁶ Ibid .

يذكر فرونطو في الفقرة الموالية أن لوكيوس فيروس مر بظروف صعبة جدا خلال حروبه ضد البارثيين و البرابرة ، و أن هؤلاء الأخيرين كانوا ينقضون عهودهم في وقت غير مناسب كفصل الشتاء حيث عجزت الخيول على السير في أرض زلقة رغم ضخامتها و التي شبهها بالأسماك الكبيرة ، و أن أيادي الجنود تجمدت من شدة البرد و الأقواس التي كن يحملنها سقطت على الأرض بفعل الأمطار الغزيرة ، ولذلك السبب عاقب لوكيوس فيروس البرابرة شر عقوبة و هم على يقين بعدالته لأن للحروب مبادئ و نقض العهود خروقات ، و نتابع ذلك فيما يلي :

« Sciret catafractos similcs esse biluis piscibus , eas eludere alto mari cernuantis spectes , lucius conilliorum souertia longe magnas personare equi lubrico instabiles , nauus frigore inritae , arcus imbribus énerves ... litteras ultro dederat , bellum , si vellet, condicionibus poneret . Dum oblatam pacem spernit barbarus , maie mulcatus est . Ea re dilucide patet . »⁹⁷

" كان على علم أن الخيول التي ترتدي الحديد و تشبه الأسماك الضخمة لا تستطيع الوقوف على أرض زلقة . خدرت الأيادي من البرد و استأقت الأقواس من فعل المطر . كان لوكيوس ينتظر بفارغ الصبر قدومهم وهم عارضون له السلام . نقض البربري عروضه باستخفاف و عوقب على ذلك بشدة . "

بعد وصف الظروف الصعبة التي مر بها لوكيوس فيروس ، قارن فرونطو سياسته بسياسة تراجانوس و قال :

« quanta Lucio cura insita sit militum salutis , qui gloriae suae dispendio redimere cupiverit pacem incruentam . Trajano suam potioem gloriam in sanguine militum futuram , de ceteris ejus studiis multi coniectant . Nam soepe parthorum legatos pacem precanteis dimisisse inritos . Justitiae quoque et clementiae fania apud barbaros saietta de Lucio . »⁹⁸

⁹⁷ FRONTON , loc.cit

⁹⁸ Ibid .

" لا يوجد ما يثبت كم كان للوكيوس قلب كبير على الجندي بما أنه يريد في أقرب وقت شراء السلم بثمن يقدر مجده دون إراقة الدماء ، و كان يختلف في هذا الأمر عن تراجانوس . لكن اختلاف الأذواق جعل الكثير يعتقد أنه يفضل اكتساب المجد بدم الجندي . المؤكد و الواقع أنه كان يرفض استقبال السفراء البارثيين الذين جاؤوا لطلب السلم . لوكيوس ، كانت له سمعة في العدالة و الرأفة ، وفي نظر البرابرة كان يقدسها."⁹⁹

يبدو من خلال هذه الفقرة أن هناك من اتهم لوكيوس فيروس بالقسوة و سفك الدماء ربما بسبب رفضه لمعاهدات السلام خاصة مع البارثيين ، لكن فرونطو قال أنه كان رؤوفا و محبا للجندي ، ويتمنى وقف الحرب في أية لحظة لكن أن يكون ذلك في إطار العدل حيث كان صارما و شديدا على مرتكبي الأخطاء الكبيرة . اعتراف البرابرة بأخطائهم و نقض عهودهم دليل على عدالة لوكيوس التي كانت مقدسة لديه ، و يذكر فرونطو أنه اكتسب عندهم سمعة طيبة . و من جهة أخرى يقول أنه رغم اختلاف سياسة لوكيوس عن تراجانوس إلا أن الظاهر جعل الكثير يعتقد أنهما يتشابهان في الأذواق أي كانا يحبان التوسع و السعي وراء المجد على حساب دماء الجنود . وللمزيد من الإيضاح كتب فرونطو نصا وصف فيه سياسة و أهداف تراجانوس قائلا :

" Trajanus non omnibus aequè purgatus . Régna fortunasque suas in fidem Luci contulisse neminem paenituit : Trajano caedes Parthamasiri régis supplicis haud satis excusata . Tametsi ultro iue yim coeptans tumultu orto merito interfectus est , meliore tamen Romanorum fama impune supplex abisset , quam jure supplicium luisset . Namque talium facmorum causa facti latet , factum spectatur , longeque proestat secundo gentium rumore injuriam neglegere , quam adverse vindicare ." ¹⁰⁰

⁹⁹FRONTON , loc.cit.

¹⁰⁰ Ibid.

" لم يكن تراجانوس أيضا في نظر الجميع معصوما من الأخطاء ، لا أحد تراجع عن هذا و كذلك أنه عهد ما لديه من ممالك و أملاك إلى لوكيوس الذي لا يبالي إذ كان تراجانوس برر جريمة قتل الملك بارثامازيروس* (Parthamasirus) حين ائتمنه ، رغم أنه قتل حقا في ظروف كان يرغبها إلا أن الأفضل و من أجل شرف الرومان يدعه يذهب دون عقاب مع أنه جاء متوسلا يطلب تسليط عقوبة يستحقها ، لأن في مثل هذه الأحكام التنفيذية ، يبقى سبب القضية مخفيا و لا نرى إلا الفعل المنفذ ، و في هذه الظروف ، الأفضل كثيرا لما كان من تجريح و اهانة أن يصفق له الشعب وهو غافل على أن يكون موبخا و معاقبا ."¹⁰¹

نلتمس من هذا النص موقف فرونطو و وقوفه إلى جانب لوكيوس فيروس من خلال مقارنته بتراجانوس ، على أنه لا يوجد أي أحد معصوم من الخطأ ، و ما قيل على لوكيوس قيل من قبل على تراجانوس . فالأول كان شديد العقاب على مرتكبي الجرائم الكبرى مثل نقض العهد الذي يعتبر جريمة في القانون العسكري ، و الثاني فعل ذلك من قبل و قدم فرونطو دليلا على ذلك يتمثل في مقتل الملك بارثامازيروس¹⁰² الذي نقض معاهدة رونديا (Rhandeia) بأرمينيا التي كانت بين الإمبراطور نيرون (Neron) وملك البارثيين كوسترو الأول (KHOSTRO 1^{ER}) سنة 63 م،¹⁰³ علما أن هذه المعاهدة نصت على تعيين ملوك أرمينيا بموافقة روما ، لكن بارثامازيروس اعتدى على المعاهدة بتنظيم انقلاب عسكري على أخيه أكسيداريس (Axidarés)

* بارثامازيروس: أحد ملوك البارثيين وصل إلى الحكم حوالي سنة 114 م ، المزيد من المعلومات أنظر :

<http://books.google.dz/Parthamasirus>

¹⁰¹ FRONTON , loc.cit

¹⁰² Ibid.

¹⁰³ www.books.google.dz/biographie_universelle,_ancienne_-_volume_33/_parthamasiris.

الذي زكته روما على أرمينيا ، الأمر الذي عجل بسير تراجانوس سنة 113 م بقواته نحو الشرق¹⁰⁴ لكن بارثامازيروس أرسل في المرة الأولى مبعوثا يطلب عقد معاهدة السلام وفي المرة الثانية ذهب بنفسه إلى تراجانوس و اعترف له بما أقدم إليه و أنه يستحق عقوبة شديدة¹⁰⁵ ، و قيل أنه تفاوض مع تراجانوس سرىا على أن يكون قتله بتدبير اضطراب وضجة أمام الجنود و من كان معه من البارثيين¹⁰⁶ حتى يحتفظ بسمعة طيبة لدى شعبه، وهناك الكثير من شكك أن مقتل بارثامازيروس كان بإذن من تراجانوس¹⁰⁷ . في الواقع أغلبية الأبطال يرفضون الاستسلام للعدو و يفضلون إنهاء حياتهم بالموت على أن يحيون حياة الذل و الالهانة ، وقد أشار فرونطو إلى ذلك وذكر أن الأسباب الحقيقية تبقى مخفية و لا نرى إلا الأفعال المنفذة¹⁰⁸ ، و أن الأفضل بكثير أن يحيي الشعب بطله وهو مقتولا على أن يعرف الحقيقة ويقدم على معاقبته¹⁰⁹ . في هذا الصدد قال فرونطو أنه رغم الخطأ الذي ارتكبه بارثامازيروس كان على تراجانوس أن يدعه يذهب و لا يقتله سرىا لأنه ليس أسيرا مهزوما ، بل جاء حرا و منزوع السلاح يتوسل إليه أن ينفذ رغبته ، و بهذا أكد أن تراجانوس هو الآخر ليس معصوما من الخطأ¹¹⁰ ، و واصل في سرد حقائق أخرى و كتب ما يلي :

« Bello Parthico utroque consulares viri duo exercitum utrique ducentes obtruncati : Severianus quidem Lucio ab urbe necdum etiam tum profecto . Enimtero cum praeseus Trajanus Euphrati et Tigridis portoria , equorum et camelorum trib (utra onera...)... cer coesus est . Illud (etiam)... tum bello (incipiente) histriones ex urbe suriam accise . Sed

¹⁰⁴Biographie universelle , loc.cit

¹⁰⁵ Ibid.

¹⁰⁶ FRONTON ,loc.cit

¹⁰⁷ Biographie universelle , loc.cit

¹⁰⁸ FRONTON , loc.cit

¹⁰⁹ Ibid.

¹¹⁰ Ibid.

profecto sicut arborum altissimas vehementius ventis quati videmus .Ita virtutes maximas invidia criminosisu in cessit . »¹¹¹

" في هاتين الحربين البارثيتين ، سقط قنصلان مقتولان ، كانت لكل واحد منهما قيادة جيش : سيفيريانوس (Severianus) قبل أن يخرج لوكيوس من روما وماكسيموس (Maximus) في الوقت الذي كان تراجانوس بالخيل و الجمال ، يفرض الجزية على المقاطعات التي بين الفرات و الدجلة ، عند بداية القتال ، استدعى من روما إلى سوريا فرقا متخصصة في الموسيقى الحربية . لكن بقدر ما نرى الأشجار العالية محطمة بفعل الرياح العنيفة ، كان الحقد فوق الخصال يقود هجوماته الشنيعة.¹¹²

أراد فرونطو أن يبين في هذه الفقرة الدور الذي لعبه الإمبراطوران لوكيوس فيروس وتراجانوس في إعادة المجد للرومان الذين تلقوا من قبل هزائم كثيرة على يد البارثيين ، و أن هاذين الإمبراطورين كلما كانت خصالهما حميدة كان غضبهما كبيرا على العدو، وشبه هجومات تراجانوس بالرياح القوية التي لها قدرة تحطيم الأشجار العالية ، وأنه عرف كيف ينتقم من البارثيين و يلحق بهم هزائم كثيرة بجلبه من روما فرق متخصصة في الموسيقى الحربية . أثنى فرونطو على تراجانوس قائلاً :

« Ceterum bello an pace clarior Trajanus imperator existimandus sit , in ambiguo quidem pono : nisi quod armis etiam Spartacus et Viriathus aliquantum potuere , Pacis artibus vix quisquam Trajano ad populum , nisi qui adaeque , acceptior exstitit .Ipsa haec cum pri...ae nonne illis optrectationibus faces sunt ? ex summa civilis scientiae ratione sumpta videntur , ne histrionum quidem ceterorumque scaenae aut circi aut harenae artificum indiligentem priocipen fuisse ...¹¹³

¹¹¹ FRONTON , loc.cit

¹¹² Ibid

¹¹³ Ibid , 336

" في الواقع، هل لمع تراجانوس في وقت السلم أم الحرب؟ بالنسبة لي سؤال مطروح. في الحقيقة نستطيع القول أن سبرطاكوس و فيريباتوس لديهما بعض اللعان في السلاح، لكن لا نجد أحداً أكثر لطفاً تجاه الشعب الروماني من تراجانوس حيث أقيمت له أقواس السلام. انه بالسياسة الحكيمة و العالية لم يهمل هذا الأمير الكومديين وبقية الممثلين في مسرح السرك و الهزل...¹¹⁴

Ut qui sciret , populum Romanum duabus prsecipae rébus , annona et spectaculis , teneri : imperium non minus Ludicris , quam seriis probari , majore damno séria , graviore invidia ludicra negligi , minus acribus stimulis congiaria , quam spectacula expeti , congiariis frumentariam modo plebem singillatim placari ac nominatim , spectaculis universum quod se oporteat . »¹¹⁵

"كان يعرف أن الشعب الروماني يقاد أساساً بشيئين : القمح و المسارح ، و أن سياسة الحكومة لا تتجح بالاعتماد على التسلية (المسارح) دون أخذ بعين الاعتبار الأمور الجدية (القمح) ، و أنها أكثر عرضة للأسف عند إهمال الأمور الجدية و أكثر استياء عند إهمال الملاهي ، إلا أن السخاء على العامة مرغوب بالقمح على المسارح ، و بذلك نقوم بتهدئة الفئة الفقيرة من الشعب بتوزيع القمح و الشعب بأكمله بالمسارح ."¹¹⁶

وضح فرونطو في هذا النص السياسة الداخلية التي رسمها تراجانوس ، و أنه استطاع أن يتبوأ مكانة عالية لدى الشعب الروماني بتوفير له حاجاته الأساسية وفي مقدمتها القمح و المسارح للتسلية . و ذكر أن هذا الإمبراطور لم يكتسب سمعة كبيرة بكفاءته العسكرية بل اكتسبها بفضل الخدمات التي قدمها للشعب الروماني

¹¹⁴ FRONTON , loc.cit.

¹¹⁵ Ibid.

¹¹⁶ Ibid.

ودعم رأيه بسبرطاكوس و فيريباتوس اللذان حاربا بخبرة عسكرية و كفاءة ممتازة ، لكنهما لم يكتسبا السمعة التي كانت عند تراجانوس ، لأنهما لم يهدفا خدمة الشعب الروماني بل قاوما من أجل الحرية و التحرر من قيود الرومان . عبر فرونطو عن ذلك الواقع بأسلوب غير مباشر وبلغ مستعملا " التورية " التي سبق شرحها من قبل حيث ذكر المعنى القريب وهو يريد به المعنى البعيد كقوله : " الحكومة أقل نجاحا بالملاهي دون أخذ بعين الاعتبار الأمور الجدية ، و أنها أكثر عرضة للأسف عند إهمال الأمور الجدية " ¹¹⁷ ، فالمعنى القريب أن روما عرفت كيف تحقق التوازن بين حاجات و رغبات الشعب الروماني بالتركيز على شيئين أساسيين هما :

التسلية و القمح " ... نقوم بتهدئة الفئة الفقيرة من الشعب بتوزيع القمح و الشعب بأكمله بالمسارح " ¹¹⁸ . و أما المعنى البعيد نلتمسه في نهاية النص حيث وضح فرونطو أن الأمور الجدية كانت من أهداف سبرطاكوس و فيريباتوس اللذان حاولا استرجاع حقوقهما كحق العيش في الحرية و الكرامة ، وذكر أيضا أن هناك الكثير من حارب و مات لنفس الغرض ¹¹⁹ . و في نص آخر صرح فرونطو أن في الوقت الذي توسعت الإمبراطورية الرومانية في عهد تراجانوس وامتدت حدودها إلى نهر الفرات ، ارتفع عدد الأسرى و ازداد معهم الشوق إلى الحرية التي لا يمكن التعبير عنها إلا في صمت و سرية لأن من يطالبها سيكون مصيره الموت :

" Itaque bonus ille imperator ator...venire captivos jubebat ... sint ingratiis quid ego , quippe cui...sin...num me..... ais est...quod quis...piscibus in caudis , avibus in pinnis anguibus serpendi vi ... imperium populi Romani ad flumina hostilia porrectum ... quambrem ... etiam tum unioris decere... qouminus ad trium ...habitas . Quantum a stipendiis datum , in yenando occupatus certaminis ... nécessitatis ... visset , providere :

¹¹⁷ FRONTON , loc.cit

¹¹⁸ Ibid.

¹¹⁹ Ibid ,338

per tôt provincias , tôt opsidionum , praeliorum acrium , stationum , castellorum excidendorum aperta discrimina curas et (animum) dispergere non... ducem ... tametsi num consentirem gnarus portare (fon)gior mora. Liberum amanti est inculpatum silentium . " ¹²⁰

" أيضا هذا الإمبراطور الطيب ، كان يأتي بالسجناء بالذليل كالأسماء ، بالأجنحة كالطيور و التسكع كالزواحف ، و إمبراطورية الشعب الروماني ، امتدت إلى حدود أنهار العدو ، لينشر فكره و اهتمامه على عدد كبير من المقاطعات وعلى أماكن فيها المخاطر و المصادفات . بالمعارك العنيفة و المعسكرات و الحصون تم أخذ الصمت البريء من الحاب . " ¹²¹

تأسف فرونطو كثيرا على الكتاب الذين يحرفون الحقائق ولا يكتبون الأحداث التاريخية بصدق ، و قال أنهم يستحقون اسم القتلة لقتلهم للحق ونقل الباطل و الكذب لجيل بعد جيل :

" Namque ceteri mortales praesnti die mentiuntur , scriptorum mendacia tam culpam quam memoriam merent sempiternam Eorum profecto uberrima ingénia frustra fuissent nissi magnificis se rébus scribendis occupassent : itemque nisi pro magnitudine rerum gestarum scriptorum quoque ingénia congruerint . " ¹²²

" في الواقع هناك قتلة آخرون يكذبون لهذا اليوم ، لكن أكاذيب هؤلاء تستحق التوبيخ وذكرى أبدية . ما الفائدة من العباقرة المثمرين إذا لم يهتموا بكتابة الأفعال العظيمة و الجميلة ؟ و كذلك ما الفائدة أن يكون للكتاب عبقرية و هي ليست في مستوى عظمة الأحداث . " ¹²³

¹²⁰ FRONTON,loc.cit

¹²¹ Ibid.

¹²² Ibid ,340

¹²³ Ibid.

في نص آخر ، أضاف فرونطو لهؤلاء الكتاب صفة الذاتية و الانحياز ، و قدم مثالا كدليل على ذلك بكاتو الكبير وقال أنه يستحق التمجيد و الثناء أكثر من أي كان ¹²⁴، لأنه رفع من قيمة الشعب الروماني و أعاد له كرامته بالبحث عن أصوله القديمة التي احتكرها البطارقة و النبلاء في شبه الجزيرة الايطالية ¹²⁵ ، رغم ذلك لم يكتب عليه الكتاب كما كتبوا لتراجانوس الذي حظي بنصب تذكارية كثيرة :

" Enimvero fandi agendique laudibus longe praestantissimus omnium Cato ... tuendt ejus ergo denominatus : ita Cato opidatim statuis ormandus , qui primam latini nominis sobolem et italicarum originum pueritias inlustravit ut magnis rébus gestis historia non indiligenter scripta nonnihl studii et rumoris auctura sit , sicut ignem quantumyis vel levis aura , si adflaverit , adjuverit . ¹²⁶"

" بالتأكيد ، كاتو تجاوزه كثيرا وفي كل شيء بكلماته المجيدة و كذلك أفعاله ، لذلك يستوجب رفع تماثيل لكاتو في جميع المدن بما أنه رتب الأصول الايطالية و طفولة الشعوب الأولى نوات الاسم اللاتيني . إن القصة المكتوبة بشكل جيد تضيف دائما شيئا لفائدة و قيمة الأفعال الجميلة مثل الرياح الأكثر خفة إذا هبت على نار مهما كان عظمتها فإنها ترفع من حرارتها . ¹²⁷"

نبه فرونطو تلميذه ماركوس أوريليوس في نهاية كتابه " مبادئ التاريخ " إلى أن ما يرسل إلى مجلس الشيوخ من تقارير يختلف كثيرا عن ما يكتب في الأصل ، وأكد على ذلك أنه كان يقرأ تقارير لوكيوس فيروس قبل إرسالها إلى روما و بعد مدة يسمع غير الذي قرأه أول مرة ، أي طرأ تحريف على التقارير الأصلية ، وفي هذا الصدد يقول :

« Ubi primum frater tuus commentarium misent rem copiose scribere adgrediemur , si tamen hoc quod gustui mittimus non displicebit ... tantas res te gestas , quantas et Achilles gessisse cuperet , et Homerus scribissse ... laborationibus his (rursus) vereor ne quando (taceo in solifundiis ... et modis absonum quid modulatu et cantu cecinerim

¹²⁴ FRONTON , loc.cit

¹²⁵ Plutarque , les vies des hommes illustre , tome VI. I

¹²⁶ FRONTON , loc cit

¹²⁷ Ibid.

parfa si quis leget , seu proayus sen pronepos virtute praestare Idebitur , comparationis quidem discriinen in familiae nomioe permanebit . »¹²⁸

" حين كان أخوك يبعث لي تفاصيل الحملات ، أخذت أكتب القصة بالتعمق . إذا كان ما نبعثه لا يعجب الهوى ، فانك فعلت أشياء عظيمة التي كان أخليوس* (Achilles) يريد فعلها و هوميروس كتابتها . أخشى بعد أيام قليلة السكوت ، لهذا سأكون قد رنمت و طربت شيئاً متناثراً ، و بعد قراءة ذلك ، نبحت من أخذه إلى الفضيلة ، الجد أو الحفيد ؟ بعد المقارنة نجد أنهما لا يختلفان إلا في اسم العائلة." ¹²⁹

أثنى فرونطو في خاتمة كتابه على أخلاق و فضائل ماركوس أوريليوس، و شجعه على الثبات والتمسك بالمبادئ التي كان عليها ، و أكد له أن ما كان يقوم به من أعمال قد تمناه الأبطال كأخليوس و الكتابة عليه مثل هوميروس . كما أثنى على أجداده الذين قاموا بتربيته تربية حسنة و أنه أيضا على أخلاقهم . وفي النهاية يقول فرونطو أنه يخشى أن يأتي يوما أين يسكت أي يموت ، ولهذا عمد إلى كتابة كل هذه الحقائق التاريخية حتى يستريح ضميره و يكون قد قدم شيئاً أميناً للتاريخ.

2 - الممارسة و التقويم :

أدرك فرونطو أن الممارسة و التقويم لهما دور كبير في تفعيل عملية التعليم و التكوين و تثبيت المعارف و التوجيهات التي لقتها لتلميذه مارك أورل ، لهذا جعلها ضمن

¹²⁸ FRONTON ,loc.cit

*أخليوس: بطل أسطوري إغريقي ، شارك في حرب طروادة و هو أحد أحفاد الإله إياك (Eaque) ، المزيد من المعلومات أنظر :

CHARLE VICTOR DAREMBERG ET EDMOND SAGLIO , loc.cit

¹²⁹ FRONTON, loc.cit

إستراتيجيته البيداغوجية ، كما كان على دراية بأن الممارس البيداغوجي أي المعلم يستوجب عليه استحضار مهاراته الخاصة و إبداعاته الشخصية لمساعدة المتعلم على إعادة تنظيم معارفه المكتسبة و تأهيله لمواجهة التحديات ويكون قادرا على مسايرة الواقع بمختلف مجالاته . من خلال هذا التصور ، كان هدف فرونطو جعل تلميذه محورا في العملية التعليمية بحيث يسعى إلى البحث عن المعرفة ويساهم في بناء كفاءته ، أي وضعه في محل إنتاج و إبداع وليس مستقبل للمعلومات فقط . و لتحقيق هذا الغرض لا بد من الممارسة أي التكوين التطبيقي بانجاز نشاطات تعليمية و توظيف فيها المكتسبات القبلية بشكل منطقي بحيث يناسب النشاط المطلوب انجازه . ولمعرفة مدى تحقيق الأهداف التربوية يستلزم إخضاع الممارسة البيداغوجية للتقويم ، لأن هذا الأخير عبارة عن عملية تشخيصية علاجية وقائية من خلالها يتعرف المعلم على قدرات و ميول المتعلم وكذلك الكشف عن نقاط الضعف و القوة في العملية التعليمية قصد تحسينها و تطويرها و تحقيق الأهداف المسطرة في الإستراتيجية البيداغوجية التربوية ، بعبارة أخرى أن غاية التقويم ليس إصدار الحكم و الانتهاء عند ذلك ، بل تحديد مدى تحقيق الأهداف وإيجاد حلول ومقترحات لتصحيح مسار العملية التعليمية . في إطار عملية التعليم و التعلم ، طلب فرونطو من ماركوس أوريليوس تحرير بعض الرسائل حيث يعالج فيها مواضيع معينة بهدف توظيف مكتسباته القبلية والتمرس على الإنشاء و التأليف البليغ ، و أهم ما كتبه مارك أورل خلال هذه الممارسة :

« Legi Catonis orationem de bonis Dulciae , et aliam ,qua tribuno diem dedit lo , inquis puero tuo ; vade quantum potes , de Apollonis bibliotheca has mihi orationes adporta . Frustra mittis ; nam et isti libri me secuti sunt . Igitur Tiberianus bibliothecarius tibi ¹³⁰

¹³⁰ MARC AURELE, epistola .V

subigitandus est , aliquid in eam rem insumendum , quod mihi ille , ut ad urbem venero aequa divisione inperiat . Sed ego orationibus his perlectis paululum , misere , scripsi , quod aut lymphis aut volcano dicarem ,... venatoris plane aut vindemiatoris studiolum , qui jubilis suis cubiculum neum perstrepunt , causidicali prosum odio et tedio . Quid hoc dixi ? immo recte dixi : nam meus quidem magister orator est . »¹³¹

" قرأت خطاب كاتو حول فوائد ديلسيا * (Dulcia) و آخر أين عين ممثلاً للعامة . اذهب وقل لخدمك ، أسرع قدر ما استطعت ، و احضر لي هاذين الخطابين من مكتبة أبولون ** (Apollon) . إنها خطوة بلا جدوى ، لأن هذه الكتب جاءت معي ، إذن عليك الإسراع إلى مكتبة تيبيريانوس *** (Tibérianus) . لكن ليكون في علمك أنه رتب أموره على أساس حين أعود إلى روما يتقاسم الأمر بالتساوي . في الواقع أن بعد قراءة هذه الخطب ، كتبت شيئاً يستحق أن يلقى في النار أو الماء . اليوم ، أنا تعيس جدا وأنا أكتب ، لأنها محاولات جديرة بالصيادين و الناقصين التي تهتز غرفتي بضجيج أغانيها ، ضجيج ممل جدا و مقيت أكثر من ضجيج المحامين . لكن ماذا قلت هنا ؟ بالعكس قلت ما هو جيد جدا ، في الحقيقة معلمي خطيب ."¹³²

حاول هذا الأمير توظيف علوم البلاغة في هذا النص واستعمل المزاح (l'ironie) للتعبير عكس ما يقوله حيث ذكر أنه يستحيل على فرونطو الحصول على تلك الخطب¹³³ ، و الواقع أنه قرأها قبل تلميذه وهو الذي أرشده إليها وسبق له أن اطلع

¹³¹ Marc AURELE, loc.cit

* ديلسيا : كلمة لاتينية تعني السكريات ، المزيد من المعلومات أنظر :

<https://1001antiquite.net/antiquite/sens-de-dulcia>

** أبولون : نسبة إلى الاله الإغريقي ، اله الفنون و الموسيقى و الجمال و الشعر ، المزيد من المعلومات أنظر : CHARLE VICTOR

DAREMBERG et EDMOND SAGLIO , loc.cit

*** تيبيريانوس : عضو في مجلس الشيوخ و حاكم يهودا بفلسطين في نهاية حكم الإمبراطور تراجان ، المزيد من المعلومات أنظر :

ibid

¹³² MARC AURELE , loc.cit

¹³³ ibid

على ما في مكتبتي أبولون و تيبيريانوس . بعد ذلك يصرح ماركوس أوريليوس أنه بعد قراءة خطابي كاتو، الأول حول السكريات و الثاني أين عين ممثلاً للعامة قد يكون فليريوس فلاكوس (Valérius Flacus) الذي تم تعيينه بعد سنة 182 قبل الميلاد¹³⁴ ، يقول أنه شعر بحزن كبير لعجزه الوصول إلى مستوى البلاغة الذي وصل إليه كاتو و أن ما كتبه مجرد محاولات يائسة كأنها محاولات الصيادين و المتناقصين ، أي أنها محاولات لا تليق بالذي يدرس البلاغة على أيادي البلغاء و شبهها بالأغاني المملة و بضحج المحامين حين يدافعون في المحاكم . بعد هذه المحاولات و توظيف علم المعاني و البيان ، تذكر مارك أورل أنه قدم تشبيها لا يليق بمقام أستاذه حين قال " ضحج المحامين "¹³⁵ علما أن فرونطو كان من قبل محاميا ، لهذا قال " ماذا قلت هنا "¹³⁶ ، ثم أجاب نفسه أنه عبر عن ذلك بصدق و أن معلمه يفهم ذلك كونه خطيب . و لرفع من مستوى بلاغة هذا الأمير ، كثف فرونطو النشاطات التطبيقية على تلميذه ، و طلب منه البحث عن عشر صور بيانية و نقرأ ذلك في الرسالة التي بعثها إليه ماركوس أوريليوس :

"Ego quoque hodie a septima in lectulo nonnihil egi , nam decem expedi . Nona te sociem et optionem mihi sumo , nam minus secunda fuit in persequendo mihi . Est autem quod in insula Aenaria intus lacus est : in eo lacu alia insula , et eo quoque inhabitatur ."¹³⁷

" قرأت اليوم بما فيه الكفاية منذ الساعة السابعة ، أنهيت تقريبا عشر صور . فيما يخص الصورة التاسعة أدعوك لمشاركة خيارتي لأنني قليل السعادة في البحث عنها ،

¹³⁴ PLUTARQUE , vie de CATON LE CENSEUR , tome.VI

¹³⁵ MARC AURELE, loc .cit

¹³⁶ Ibid.

¹³⁷ Ibid, lettre . VII

وها هو الموضوع¹³⁸: في وسط جزيرة ايناريا * (Aenaria) بحيرة ، و في هذه

البحيرة جزيرة أخرى مسكونة ، استخرج من هنا صورة .¹³⁹

أجابه فرونطو قائلا :

" Imaginem , quam te quaerere ais , meque tibi socium ad quaerendum et optionem sumis , num moleste feres , si in tuo atque in tui patris sinu id fictum quaeram ? ut illa in mari Ionio sive Tyrrhenico , sin vero potius in Hadriatico mari , seu quod aliud est mare ejus nomen maris addito .¹⁴⁰ "

" هذه الصورة التي تقول أنك تبحث عنها ، و تطلب مني أن أكون شريكا لك في بحثك وخيارك ، هل ستكون غاضبا إذ وجدتتها فيك و في والدك . كذلك في البحر الأيوني أو التيراني أو بالأحرى في البحر الأدرياتيكي أو في بحر آخر الذي أترك لك تسميته.¹⁴¹

اختار فرونطو صورة بيانية في إطار الموضوع الذي طرحه ماركوس أوريليوس ، و صاغها بشكل هادف ويتضح ذلك في الفقرة الآتية :

« Igitur ut illa in mari insula Aenaria fluctus maritimos ipsa accipit atque propulsat , omnemque vim classium , praedonum , beluarum , procellarum ipsa perpetitur , intus autem in lacu aliam insulam protegit ab omnibus periculis ac difficultatibus tutam , omnium vero deliciarum voluptatumque particeps . Namque illa intus in lacu insula aequae undis alluitur , auras salubris aequae accipit , habitatur aequae , mare aequae prospectat . »¹⁴²

¹³⁸ MARC AURELE, loc.cit

* ايناريا : جزيرة ايطاليا تقع في البحر التيراني (Tyrrhénienne) شمال خليج نابولي الواقع على الساحل الجنوبي الغربي لاطاليا ، وتعرف حاليا باسم اسكيا (Ischia) ، المزيد من المعلومات أنظر :

www.Frensh Museo Archeologicodi pithecusae

¹³⁹ MARC AURELE, loc.cit

¹⁴⁰FRONTON, lettre VIII

¹⁴¹ Ibid.

¹⁴² Ibid.

" و كذلك أقول أن في هذا البحر ، جزيرة ايناريا ، تتلقى و تدفع الأمواج البحرية ، تعاني من كل الاعتداءات ، الأساطيل ، اللصوص ، الحيوانات المتوحشة والعواصف . في حين على مستواك بحيرة تحمي جزيرة أخرى ضد أي خطر و غضب ، تتقاسم معها خيراتها ، لأن هذه الجزيرة الداخلية في وسط بحيرتها كأنها تستحم بالموجات ، وتستقبل بلطف كأنها تتنفس حلاوة النسيم ، مسكونة و تتمتع كأنها مناظر البحار ."¹⁴³

بعد كتابة هذا البيان ، وضع فرونطو المعنى المجازي قائلاً :

« Item pater tuus imperii Romani molestias ac difficultates ipse persetitur , te tutum intus in tranquillo sinu suo socium dignitatis gloriae honorumque omnium , participem tutatur . »¹⁴⁴

" و هكذا والدك تحمل كل الأعباء و كل متاعب الإمبراطورية الرومانية ، و أدخلك في اطمئنان راحته و سكينته ، و أشركك في كرامته و مجده ، و جعلك تتقاسم كل ممتلكاته ."¹⁴⁵

أشار أيضا إلى أهمية هذه الصورة والوقت المناسب لإلقائها و توظيفها :

« Hac imagine multimodis uti potes ubi patri tuo gratias ages , in qua oratione locupopiosissimumletissimum et copiosissimum te esse oportet . Nihil est enim , quod tu aut honestius aut verius aut libentius in omni vita tua dicas quam quod ad omandas patris tui laudes pertinebit . »¹⁴⁶

¹⁴³ FRONTO , loc.cit

¹⁴⁴ Ibid.

¹⁴⁵ Ibid.

¹⁴⁶ Ibid.

" هذه الصورة ، بإمكانك استخدامها في عدة مناسبات ، عندما تقدم الشكر و الثناء لوالدك ، أو في الخطاب أين يستوجب عليك توظيف كل الثروات و الزخارف لأنه لا يوجد في حياتك ألمع ما ترغبه من وقار و صدق القلب من الذي تقدمه لوالدك ."¹⁴⁷

أراد فرونطو من خلال اختياره لتلك الصورة أن يعلم ماركوس أوريليوس متى و كيف يستعمل أسلوب المدح و الثناء سواء على والده أو أثناء إلقاء الخطب أمام الملأ ، إذ ذكره بضرورة استعمال فنون البلاغة من بيان و معاني و بديع ، و نبهه بأن الصورة البيانية تستعمل إما لرفع من قيمة الإنسان أو إنزالها بالتهجم عليه .

الخلاصة

نصل في نهاية هذا الفصل أن فرونطو تميز بفكر بيداغوجي متميز خلال القرن الثاني الميلادي ، حيث توفرت لديه كفاءة التعليم و كيفية تسيير عملية التعلم . كما وضع في إستراتيجيته أهدافا قريبة و أخرى بعيدة المدى . فالأهداف القريبة تركزت على تعليم ماركوس أوريليوس علوم البلاغة و توظيفها في النصوص الخطابية أو المراسلات المختلفة لأنه يشغل أعلى المناصب السامية أين يستوجب عليه التمكن من قواعد اللغة و فنون الخطابة التي تلعب دورا كبيرا في نجاح الخطب السياسية . لم يهمل فرونطو الجانب التربوي الذي سعى إلى غرسه في وجدان تلميذه حيث أشار من حين إلى آخر إلى أدب احترام الآباء و تقدير أفضالهم على الأبناء و وجوب المحافظة على قيمهم و تقاليدهم مما أكسب فرونطو ميزة الأصالة . أما الأهداف البعيدة تتلخص في إعداد ماركوس أوريليوس للحياة السياسية ونبذ الاستبداد و حكم

¹⁴⁷ FRONTON , loc.cit

الطغاة و العمل على تجسيد دولة القانون أين يسود فيها الإنصاف و العدالة الاجتماعية و قدم له أمثلة كثيرة لشخصيات و أبطال خلدتها التاريخ بحكم عظمة أعمالها و أخرى سجل لها الذل و الاحتقار بسبب أخطائها الكبيرة . لهذا ألف كتابا بعنوان مبادئ التاريخ ليرسخها في شخصية ماركوس أوريليوس ويكون مخلصا لوطنه و شعبه و عادلا بين الناس في جميع المقاطعات الرومانية دون الانحياز إلى أي تأثير أو نفوذ قد يصدر من بعض الأرسقراطيين الذين ما فتئوا يقدمون مصالحهم على خدمة المصلحة العامة.

كما لاحظنا أيضا من خلال دروس فرونطو أنه يدرس البلاغة بنصوص و أمثلة تاريخية حيث كان كثير الميل إلى التاريخ وله ثقافة واسعة في هذا المجال . التمسنا منه إعجابا كبيرا بخطب شيشرون و كاتو الكبير وكذلك سالوستيوس فقد أشار إليهم في عدة مرات حين كان يوجه ماركوس أوريليوس إلى نوع النصوص التي ينبغي قراءتها . لكن رغم كل الجهود التي بذلها فرونطو في جعل تلميذه بليغا إلا أن هذا الأخير كان له توجه خاص به و هو ما سنتناوله في الفصل الرابع الذي جاء تحت عنوان : " الاتجاه الفكري لماركوس أوريليوس و موقف فرونطو منه من خلال المراسلات " .

الفصل الرابع

الاتجاه الفكري لماركوس أوريليوس و موقف

فرونطو من خلال المراسلات

أولا : الاتجاه الرواقي في فكر ماركوس أوريليوس

ثانيا : موقف فرونطو من خلال المراسلات

أولاً : الاتجاه الرواقي في فكر ماركوس أوريليوس

1 - المفهوم العام للرواقية

الرواقية مذهب فلسفي¹ وضع أسسها الفيلسوف الفينيقي زينون* (Zénon) الذي أسس مدرسة فلسفية بمدينة أثينا أوائل القرن الثالث قبل الميلاد . سميت "بالرواقية" نسبة إلى رواق كان يجتمع فيه زينون مع تلامذته² . الفلسفة في الفكر الرواقي هي الحكمة و ممارستها ، والحكمة هي العلم بالأشياء الإلهية والإنسانية ، وتنقسم إلى المنطق و الطبيعيات و الأخلاق . الغاية الرئيسية من الفلسفة من المنظور الرواقي أن تكون فلسفة عملية أخلاقية ، وبذلك تميزت الرواقية بثلاث سمات : الأولى أن الفلسفة الحقيقية هي الفلسفة العملية ، و الثانية أن هذه الأخيرة هي التي تقوم على العمل المطابق للعقل، و الثالثة أن المطابق للعقل هو الذي يجري بمقتضى قوانين الطبيعة فالحياة يجب أن تعاش وفق الطبيعة³ .

ينظر الرواقيون إلى الفلسفة على أنها الأخلاق ، و أن موضوع الفلسفة هو الفضيلة و فروع الفلسفة هي أنواع متعددة للفضيلة ، فيصنفون الأخلاق في المرتبة العليا من هرم العلوم الفلسفية ، و يؤكدون على أن جميع ما في الكون دقيق التركيب و أن المظاهر الطبيعية تسير وفق القوانين و أن دينامكية الحياة تعمل بنظام

¹ GOURINAT JEAN BAPTISTE , *les fragments de l'ancien stoïcisme* , Revue numérique, 2017, www.philosopsis .fr ; PATRICK DUCRAY , Zénon de Kiton par Diogène Laerce , R. philo , Barcelone , www.revue – Klesis.org ; DIOGENE LAERCE , vies – doctrines et sentences des philosophes illustres , trad. JACQUE GEORGE DE CHAUFFEPIE , 1758 , livre VII.

*زينون: فيلسوف رواقى ولد حوالي سنة 336 قبل الميلاد بمدينة كيتيوم بجزيرة قبرص ، اشتغل بالتجارة قبل التفرغ إلى دراسة الفلسفة وتكريس حياته لها . استقر في مدينة أثينا أين أسس فيها مدرسته . كان زينون رجلاً طويل القامة ، شديد سواد الجلد ، لباسه بسيط و يقنع في مأكله بالقليل ، وكان يؤثر الصمت على الكلام . المزيد من المعلومات أنظر : يسري عبد الغني عبد الله ، زينون الرواقي ،

File:///C:/Users/cilent/Desktop

² www.encyclopédie.fr

³ يسري عبد الغني عبد الله ، المرجع السابق .

الكائنات الحية وهنا يدخل دور العقل إذ هو العامل الفعال الذي يؤمن الانسجام في الطبيعة⁴ . وهذا العقل في المذهب الرواقي هو الله الموجود في جميع أجزاء الكون، و من هنا جاء التأكيد على أن الله و العالم و الطبيعة شيء واحد⁵ ، و من خضع لقوانين الطبيعة فقد أطاع الله و سار لمقتضيات العقل⁶ . يذكر الرواقيون أن الطبيعة إذا كانت تتجه إلى غايتها بلا شعور في الجماد و النبات و بالغريزة والشعور في الحيوان فإنها تتخذ في الإنسان طريقاً آخر هو العقل ، فهو أكمل الطرق لتحقيق أسى الغايات ووظيفة الإنسان أن يستكشف في نفسه العقل الطبيعي و يعبر عنه بأفعاله ، أي أن يحيا وفق الطبيعة و العقل بعبارة أخرى أن يعيش الإنسان على وفاق مع العقل و الطبيعة بمعنى وفق القانون الكبير الذي يحكم العالم، و من ثم سعادة الإنسان إذا عاش و فيا للطبيعة الكلية⁷ .

تعتقد المدرسة الرواقية بوجود وحي دائم في كل نفس وأن المرء يعثر في داخل نفسه على الوحي الإلهي الذي يتولد عنه كل شيء ، و يقبه من كل هوى و أنانية و رغبات⁸ . ترى الرواقية أن كل معرفة تدخل إلى العقل تكون عن طريق الحواس، فالعقل بالنسبة لها لوحة بيضاء تنقش عليها انطباعات الحواس ويكون للعقل نشاط معين خاص به ، لكن هذا النشاط قاصر تماماً على المواد التي تقدمها أجهزة الحس الفيزيائية⁹ . و بطبيعة الحال تتعارض هذه النظرية مع مثالية أفلاطون* (Platon) الذي يرى أن العقل وحده هو مصدر المعرفة و الحواس .

⁴ VALERY LAURAND , *les stoïciens* , R. N.philo , <http://www.philopsis.fr>

⁵ مصطفى حلمي ، *الفلسفة الرواقية و معالمها - تحليل و نقد* ، مقال منشور في موقع : <http://www.alukah.net>

⁶ نفسه .

⁷ GOURINAT JEAN BAPTISTE , loc.cit

⁸ يسري عبد الغني عبد الله ، المرجع السابق .

⁹ www.universalis.com .

* أفلاطون : فيلسوف إغريقي كلاسيكي عاش ما بين 428 و 348 قبل الميلاد بأثينا ، كتب العديد من الحوارات الفلسفية التي تناولت مواضيع متنوعة مثل المعرفة - المنطق - اللغة - الرياضيات - الأخلاق و السياسة . كتاباته عبارة عن دراما فلسفية عبر من خلالها عن أفكاره ، المزيد من المعلومات أنظر : ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ترجمة . فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 2014 م ، ص. 17

القاعدة الأساسية في الفلسفة الرواقية هي أن لا وجود لشيء غير مادي، و تتسجم هذه المادية مع النزعة الحسية لمذهب الرواقيين في المعرفة الذين وضعوا الحقيقة فيما هو معروف بالحواس أي المادة ، ويرون أن كل الأشياء مادية . هذا الاعتقاد قائم على اعتبارين : الأول أن العالم واحد و لهذا يجب أن يصدر عن الواحد ، كما أنه يجب أن تكون لدينا نزعة واحدة حيث أنه لا يمكن تجاوز الهوة الحاصلة بين المادة و الفكر إلا بالوقوف في صف المادة و رد العقل إليها ،¹⁰ وثانيا نجد أن الجسم و النفس زوجان يؤثران في بعضهما البعض ، فمثلا الجسم ينتج الانطباعات الحسية في النفس ، و هذه الأخيرة تنتج الحركات في الجسم ، وهذا سيكون مستحيلا إذا لم يكن كلاهما من نفس الجوهر ، و من هذا المنظور ، ترى الرواقية أن المادي لا يمكن أن يؤثر في اللامادي و العكس صحيح ، فليست هناك نقطة التقاء و من ثم فيجب أن يكون الكل ماديا .¹¹

على هذا الأساس يعتقد الرواقيون أن النار هي المادة الأولية للوجود وأن كل الأشياء مؤلفة من النار ، وربطوا هذه المادة بوحدة الوجود و النار الأولية هي الله الذي هو مرتبط بالعالم كما ترتبط النفس بالجسم¹² ، و النفس الإنسانية أشبه بالنار وتأتي من النار الإلهية التي تنفذ و تتسلل في الجسم كله . النار الإلهية (الله) تحيط بالعالم كله ، وبهذا فهي تمثل نفس العالم وهذا الأخير هو جسمها¹³ .

تؤكد المدرسة الرواقية أن الله هو العقل المطلق، و أن العقل مثل كل شيء آخر مادي و أن النار الإلهية هي عنصر عقلي ، و بما أن الله هو العقل فإنه يترتب

¹⁰ BRISSON , JEAN – PAUL , LEMURIA et PATENTIA , loc.cit

¹¹ GOURINAT JEAN BAPTISTE , loc.cit

¹² مصطفى حلمي ، المرجع السابق .

¹³ BRISSON , JEAN – PAUL , LEMURIA et PATENTIA , loc.cit

على هذا العالم أنه محكوم بالعقل، و هذا يعني أن الكون خاضع لسيطرة القانون، وهذا الأخير محكوم هو أيضا بالضرورة للعلة و المعلول¹⁴ ، ومن ثم فإن الفرد ليس حرا ولا يمكن أن تكون هناك حرية حقيقية للإرادة في عالم محكوم بالضرورة فالنفس الإنسانية جزء من النار الإلهية ومن ثم فهي نفس عقلية .

تتصور الرواقية أن الكون كائن حي ذو جسم مادي ونفس مادية، وكل ما يحرك الجسم أو يؤثر فيه لا بد أن يكون ذا جسم ، والنفس نسيم ناري منبثة في جميع أجزاء الجسم¹⁵ . ذهب الاعتقاد الرواقي إلى استنتاج أن الإنسان إذا كان جزءا من الله أو الطبيعة فإن من اليسير أن يكون الخير هو التعاون مع الله أي مع الطبيعة بمعنى قانون العالم ، وليس الخير هو الجري وراء الاستمتاع أو اللذة لأن هذا الجري يخضع عقل الإنسان للشهوة وكثيرا ما يؤذي الجسم . و أن السعادة لا يمكن أن تتحقق إلا بالتوافق بين أغراضنا و سلوكنا من جهة و بين أغراض العالم و قوانينه من جهة أخرى ، لأن قانون الخير يجعل الفرد يتفق مع قانون الطبيعة . وإذا لحق الشر بالرجل الطيب فإن هذا لا يكون إلا إلى أجل قصير ، و ليس الأمر في الواقع شرا¹⁶ ، لذلك يبتعد الرواقي عن كل أنواع الترف والنزاعات وكذلك السياسة و الاقتصاد ، و يقتنع بالقليل ويقمع كل شعور يقف في وجه سير الطبيعة .

عالجت الرواقية أيضا موضوع الشر الذي صورته بشقين: أحدهما باطني كالشعور بالحزن و الدم و الخطأ ، و شق آخر خارجي كال فقر و البؤس و الأذى و المرض لكنها عالجت الشق الثاني علاجا عقلانيا باعتبار الأشياء الخارجية لا تؤثر بذاتها

¹⁴ يسري عبد الغني عبد الله ، المرجع السابق .

¹⁵ سليمان الضاهر ، فلسفة الوجود عند أفلاطون ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 21 ، العدد (4+3) ، 2005

¹⁶ الموسوعة العربية الالكترونية ، ملون أنلاين ، المكتبة الوقفية للكتب المصورة ، 2014

فينا و لكن المؤثر الحقيقي هو الاستعداد الذي يجعلنا نحكم عليها بالخير أو الشر ، و هذه الأحكام هي سبب شعورنا بالسعادة أو الشقاء ، ولتحقيق السعادة على الإنسان التحرر من أوهام الأحكام بواسطة إرادته¹⁷ . إذن الرواقية فلسفة مرتبطة بالمذهب الطبيعي لكونها مبنية على أساس فيزيائي وقاعدتها "يجب العيش وفق الطبيعة"¹⁸ . و الطبيعة هي الفاعلية العقلانية شاملة الوجود و التي تبعث الحياة في كل ذرة " الكل " لأن الكون بالنسبة للرواقي " اله " الذي هو وليد النار ، و هذه الأخيرة هي الإله و العقل و الحياة معا ، و كل كائن بما فيه الإنسان و روحه شرارة جزئية من تلك النار¹⁹ ، و أن المرء يتلقى من داخل نفسه الوحي الإلهي الذي يتولد عنه كل شيء و يقيه من كل هوى أو أنانية و رغبة.²⁰

عرفت الرواقية ثلاث مراحل طويلة تاريخ تطورها : المرحلة الأولى تعرف بالرواقية القديمة (le Stoïcisme ancien) و تبدأ بتاريخ تأسيسها على يد زينون أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، و المرحلة الثانية تدعى بالرواقية المتوسطة (le Stoïcisme moyen) خلال القرنين الثاني و الأول قبل الميلاد ، أشهر روادها بانيتيوس* (Panétius) وبوزيدونيوس** (Posidonius) و المرحلة الثالثة تعرف بالرواقية الحديثة (le Stoïcisme nouveau) أو الرواقية الرومانية المتأخرة في القرنين الأول و الثاني الميلادي ، من أشهر فلاسفة هذه المرحلة سنيكا*** (Séneque) بالإضافة إلى وماركوس أوريليوس.²¹

¹⁷ مصطفى حلمي المرجع السابق .

¹⁸ SIMONE MANON , la sagesse stoïcienne, 2008 , www.philolog.fr

¹⁹ www.universalis.ed.fr

²⁰ KONSTANTIN BIICHLER , qu'est – ce que l'élique des vertus , 2014 , http : // archives –ouvertes .fr

* بانيتيوس: فيلسوف رواقي إغريقي ولد سنة 185 قبل الميلاد بجزيرة رودس ومنها أخذ اسم بانيتيوس الرودسي . كان يدرس في أثينا أين توفي فيها حوالي 110 قبل الميلاد ، المزيد من المعلومات أنظر : www.encyclopedie – universelle .Fracademic.com

** بوزيدونيوس : فيلسوف رواقي إغريقي ولد بسوريا سنة 135 قبل الميلاد وكان من أشهر علماء عصره البارزين في الجغرافيا و التاريخ ، توفي سنة 51 قبل الميلاد بجزيرة رودس . المزيد من المعلومات أنظر : CHAUD Augué , loc.cit

*** سنيكا : فيلسوف رواقي ولد في بداية القرن الأول الميلادي في جنوب اسبانيا و تقلد عدة مناصب سياسية بمدينة روما حيث توفي فيها سنة 65 قبل الميلاد ، المزيد من المعلومات أنظر : BRISSON , JEAN – PAUL , LEMURIA et PARENTALIA , loc.cit

²¹ Ibid

2 - أسس الفلسفة الرواقية في فكر ماركوس أوريليوس

انجذب ماركوس أوريليوس منذ طفولته نحو الفلسفة حيث كان يحب كثيرا الاستماع إلى دروسها . هذب نفسه على الأخلاق الرواقية وهو صبي كان ينام على الأرض دون غطاء²² . اعترف في تأملاته على فضل أساتذته الذين غرسوا فيه حب الفلسفة وقال : " تعلمت ألا أنشغل بالتفاهات ... وأن أنجذب إلى الفلسفة و أحضر أولا محاضرات باخيوس* (Bacchius) ثم تانداسيس** (Tandasis) و ماركيانوس*** (Merciannus)..."²³ . هؤلاء هم الأساتذة الأوائل الذين درس على يدهم ماركوس أوريليوس الفلسفة وغرسوا فيه حب الحكمة والفضيلة ، وقد بدا هذا التأثير من خلال كتاباته المتكررة حول ميوله الفلسفية التي سطرت اتجاهه في حياته، واتخذ الرواقية نهجا له ومبادئها أخلاقه و بني فكره على مجموعة من الأسس أهمها :

1 - قانون الطبيعة

تصور ماركوس أوريليوس أن الكون تحكمه قوة عقلية خيرة مع وجود تناسق بين القوانين الطبيعية والمعنوية المتمثلة في الروح السماوية الموجودة في كل شيء والتي عبر عنها بعض الفلاسفة " بالوجود " أمثال أفلاطون و أرسطو**** ، و شكل هذا الموجود البنية

²² CAPITOLIN , IV

* باخيوس : أستاذ ماركوس أوريليوس في مادة الفلسفة ولم تتوفر أية معلومة عن حياته ، أنظر : ROMISCHES Reich , reflexions morales de l'Empereur MARC Antonin , Tome premier ,Amsterdam , 1714 ,p.7

** تانداسيس : من بين أساتذة الأوائل الذين درس على يدهم ماركوس أوريليوس ، ولم تتحدث عنهم المصادر ، أنظر : Ibid

***ماركيانوس : أستاذ ماركوس أوريليوس في الفلسفة ولم تتحدث عنه المصادر ، أنظر : Ibid

²³ ماركوس أوريليوس ، التأملات ، الكتاب الأول ،الفقرة.1

**** أرسطو :فيلسوف إغريقي ولد بمدينة أسطاغيرا (Stagire) شمال أثينا سنة 384 قبل الميلاد ، تعلم على يد أفلاطون وكان تلميذا عبقريا حيث أسس مع الزمن مدرسة التي استمدت منه اسمها ، توفي سنة 322 قبل الميلاد ، المزيد من المعلومات أنظر : SEVERINE DESREUMAUX ,Aristote ,Bordeaux,2008, www.harribey.u-bordeaux4.fr

الأساسية التي أقيمت عليها نظرياتهم ، و هي من المفاهيم الأولى التي واجهت العقل اليوناني الذي صور الطبيعة معطى ابتدائيا غير منظم ثم يتدخل العقل لتنظيمها إيماناً بأن للعقل قدرة على تفسير الطبيعة و الكشف عن أسرارها²⁴ . و من هذا التصور تأسست نظرية المعرفة التي تبحث في طبيعة الوجود والعلاقة بين نشاط العقل والحواس . يرجع ماركوس أوريليوس أصل الوجود إلى مادة واحدة وأنها تتجزأ إلى جزيئات دقيقة ثم يعاد استيعابها و أن الروح البشرية جزء من هذه المادة التي تعود بعد الممات إلى الأصل الأول أي عودة الجزء إلى الكل ، ونقرأ هذا التصور في الفقرات التالية :

" ضع نصب عينيك دائما هذه الأشياء: ما هي طبيعة الكل؟ ما هي طبيعة الخاصة ؟ ما علاقة هذه الطبيعة بتلك ؟ أي صنف من الجزء ولأي صنف من الكل ؟ وأن ليس بإمكان أحد أن يحول بينك و بين أن تقول ما تقول و تعمل ما تعمل وفقا لتلك الطبيعة التي أنت جزء منها"²⁵.

" حتى لو قدر لك أن تعيش ثلاثة آلاف عام ، أو عشرة أضعاف ذلك ، فاذاكر دائما أن لا أحد يفقد أي حياة غير تلك التي يحيها أو يحيا حياة غير تلك التي يفقدها . ينتج من ذلك أن أطول حياة و أقصرها سياتان ، فاللحظة الحاضرة واحدة في الجميع ، ومن ثم فان ما ينقضي متساو أيضا . يتبين إذن أنه فقدان لحظة لا أكثر . ذلك أن المرء لا يمكن أن يفقد الماضي و لا المستقبل ، فكيف يمكن أن يسلب ما ليس ملكه ؟ تذكر إذن هذين الشئيين : أن الأشياء جميعا هي ما هي منذ الأزل ، تبدأ و تعود دواليك ، وسيان أن يرى المرء نفس المشهد لمائة عام أو مائتين أو ما لا نهاية من الأعوام ، أن يسلب من المعمر ما يسلب من أقصر الناس عمرا ، فليس غير

²⁴ سليمان الضاهر ، المرجع السابق .

²⁵ ماركوس أوريليوس، الكتاب الثاني ، الفقرة 9.

اللحظة الحاضرة ما يمكن أن يسلب من الإنسان . فإذا صح أن هذه اللحظة هي كل ما يملكه فمن غير الممكن أن يفقد ما لا يملكه .²⁶

المرء في تصور ماركوس أوريليوس جزء من أجزاء الطبيعة و أنه منبثق من الكل وأنه مهما طال عمره أو قصر فانه يعود إلى ذلك الكل و أكد على هذه الحقيقة بتعداد بعض مشاهير الفلاسفة القدامى على أنهم رغم شهرتهم ومكوّنهم في هذه الحياة إلا أنهم عادوا إلى المنطلق الأول و إلى المادة الأولى التي خلقوا منها²⁷ ، و قال : " في مادة العالم ، كما في تيار جارف ، تذهب جميع أجسادنا ، فهي بطبيعتها متحدة بالكل و متعاونة معه مثلما تتعاون أعضاء الجسد الواحد بعضها مع بعض . كم خريسيبوس* (Chrysippe) ، و كم سقراط ** (Socrate) ، و كم اكتيتوس*** (Epictète) ابتلعتهم الأبدية ؟ وليروك هذا التصور بخصوص كل إنسان و كل شيء .²⁸ ... تستخدم الطبيعة مادة العالم مثلما يستخدم الشمع : فتارة تخلق منه كهيئة حصان ، ثم تصهره و تستخدم مادته لخلق شجرة ، ثم إنسان ، ثم شيء آخر . كل شيء من هذه الأشياء لا يدوم إلا قليلا .²⁹

يقول ماركوس أوريليوس أن المادة التي تتكون منها الطبيعة هي نفس المادة التي تشكلت منها

²⁶ ماركوس أوريليوس، المصدر السابق، الفقرة 4 .

²⁷ نفسه .

* خريسيبوس : فيلسوف إغريقي عاش ما بين 280 و 206 قبل الميلاد ، درس على يد زينون ويعتبر من أكبر الفلاسفة الذين دفعوا عن الفلسفة الرواقية ، المزيد من المعلومات أنظر : EMILE BREHIER , *Chrysippe et l'Ancien stoïcisme*, revue .22, philosophique de Louvain ,1951 , pp. 249-250 ; TEUN TIELEMAM ,les stoïciens sur les tempéraments du corps et de l'ame , Université d'Utrecht , teun.tieleman@phil.uu.nl

**سقراط : فيلسوف يوناني عاش ما بين 469 و 399 قبل الميلاد ، كرس حياته في البحث عن الحقيقة و الخير . كان يعلم الناس في الشوارع و الأسواق بالاعتماد على الطريقة الجدلية وتوجيه الأسئلة إلى مستمعيه . وجهت إليه تهمة إفساد الشباب و الإساءة إلى التقاليد الدينية و قدم للمحكمة أين صدر عليه حكما بالإعدام بتناول كوبا من السم ، المزيد من المعلومات أنظر :

PLATON , *Apologie de socrate*, trad.Emile Chambry ,volume 3,Quebec,2009 , XXXIX

***اكتيتوس : فيلسوف يوناني عاش ما بين 50 و 130 م ، ينتمي إلى المدرسة الرواقية التي أسسها الفيلسوف الرواقي زينون . كان عبدا لافروديت عتيقة نبرون . لم يترك مؤلفات لكنه وصلت تعاليمه عن طريق تلميذه اريانوس (Arrien) الذي دونها في كتابين : PASCAL DUPOND , *Epictète* , Revue numérique , المحادثات و الدليل المختصر ، المزيد من المعلومات أنظر : www.philopsis.fr

²⁸ ماركوس أوريليوس، الكتاب السابع ، الفقرة 19 .

²⁹ نفسه ، الفقرة 25 .

الأشياء الأخرى ، و أنه مهما بلغ الإنسان من قيمة و مكانة إلا أنه راجع إلى وحدة الكل الذي انبثق منه أول مرة . و قال أنه كم من واحد عمر في هذه الدنيا عمرا طويلا و عاش في شهرة وعزة مثل خريسيبوس و سقراط و اكتيتوس و غيرهم إلا أنهم ماتوا و عادوا من حيث أتوا وفق قانون الطبيعة الذي يعمل على تشكيل الأجزاء في صور متنوعة ويسترجعها بعد عمر محدد و يعاد تشكيلها من جديد³⁰ ، أي نظام الطبيعة يبدأ من الكل إلى الجزء ، ويعود الجزء إلى الكل الذي يعيد عملية التشكيل واسترجاع مادة الجزء بشكل مستمر ، ويقول في هذا الصدد : " تذكر دائما بأن الكون وجود حي كلي جوهره واحد و روحه واحدة . و تأمل كيف أن كل شيء ينتهي إلى مرجعية واحدة ، مرجعية الوجود الحي الكلي ، و كيف أن كل شيء يتحرك بوحدة ، و أن الموجودات نتائج موجودات أخرى"³¹ . يشير ماركوس أوريليوس في هذه الفقرة إلى تصور آخر وهو حركة التغير في نظام الكون والذي يعتبر من أسس فلسفته .

ب - نظام التغير

تغير الشيء في اللغة يعني تغير حاله و تبدله ، كأنه أصبح غير ما كان عليه من ذي قبل ، انه انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى ، و يقال تغايرت الأشياء أي اختلفت . وهناك فرق كبير بين التغير و التغيير ، فالأخير يعني إحداث شيء لم يكن موجودا من ذي قبل. والتغير في الاصطلاح على معنيين : أحدهما التغير الدفعي و ثانيهما التغير التدريجي ، و يندرج تحتها عدة صور للتغير. فإذا تغير الشيء في ذاته دفعة واحدة كان تغيره دفعا ، و إذا تغير في الكم أو في الكيف شيئا فشيئا ، كان

³⁰ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق .

³¹ نفسه ، الكتاب الثامن ، الفقرة 35 .

تغيره تدريجياً .³² ويوضع التغير في مجال الفلسفة ضد الاستقرار النسبي لصفات الأجسام أو بنائها أو قوانين وجودها³³ .

أكد ماركوس أوريليوس على ظاهرة التغير وقال : " تأمل أن كل شيء يتبوأ مكانة من خلال التغير ، و عود نفسك على فكرة أن طبيعة الكون لا تحب شيئاً كما تحب تغيير ما كان ، و الإتيان بجديد يشبهه . فكل شيء موجود ما هو إلا بذرة لما سيأتي. و إن كانت فكرتك عن البذور هي فقط ما يزرع في التراب أو في الأرحام، فاعلم أنها فكرة خاطئة³⁴ ". هذا التأكيد في الواقع هو جواب ونفي لنظرية الثبات التي آتى بها بعض الفلاسفة قبل سقراط و بالخصوص بارمنيدس* (Parménide) الذي رفض فكرة التغير وامن بثبات الوجود وسكونه ، و اعتبر الوجود الحقيقي هو الثابت و الوجود غير الحقيقي هو الظن و خداع البصر، ونادي إلى التعقل و المنطق وجعل للمعرفة طريقين : الأول طريق اليقين ، و الثاني الظن ، وأكد على تصوره بهذا القول : " أقبل الآن لأخبرك ، و اسمع كلمتي و تقبلها ، هناك طريقان لا غير للمعرفة يمكن التفكير فيهما : أن الوجود موجود ...، و لا يمكن أن يكون غير موجود، و هذا هو طريق اليقين ، لأنه يتبع الحق ، و الثاني : أن الوجود غير موجود ، و يجب ألا يكون موجوداً ، و هذا الطريق لا يستطيع أحد أن يبحثه ، لأنه لا يستطيع معرفة اللاوجود و لا أن تنطق به ، لأن الفكر و الوجود واحد و نفس الشيء³⁵ ". بين بارمنيدس أن ما نفكر فيه موجود ، و ما لا نفكر فيه غير موجود ، فكأن الأشياء

³² ابن المنصور ، لسان العرب ، ط3، بيروت - لبنان ، 2015 م ، ص20.

³³ جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية ، ج1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،

1982م، ص361.

³⁴ ماركوس أوريليوس، الكتاب الثامن ، الفقرة 54.

* بارمنيدس : فيلسوف يوناني ولد سنة 500 قبل الميلاد في مدينة إيليا جنوب إيطاليا و توفي حوالي سنة 470 قبل الميلاد . كان يؤمن بأن العقل هو مصدر كل المعرفة و أن الوجود ثابت و واحد ، المزيد من المعلومات أنظر : www.universalis.fr / Parménide :

³⁵ Parménide , poème , II

المحسوسة لا وجود لها في إدراكنا³⁶ ، وبهذا اختلف هذا الفيلسوف مع الفلاسفة الطبيعيين الأوائل الذين تصوروا أن العالم متغير ، ومن بعده نقدوه الفلاسفة اللاحقون بما فيهم ماركوس أوريليوس الذي دعم النظرية القائلة أن كل شيء في تغير مستمر، وأنه في سيلان دائم وأن العالم نار حية دائمة البقاء و أن الكون ولد من النار و سينصهر من جديد إلى نار ويقول أن لا يوجد شيء جامد في الكون وأنه سيتحول إلى نار حية أزلية توقد بقدر وتنطفئ بقدر ، وكل شيء في صورة من صور النار ، وليس ثمة حالة تبقى على حالها دون أن تتغير ، فكل شيء دائم على الخروج عن حالة التي هو عليها صائر إلى ما سيكون عليه وتلك حالة جديدة³⁷ ، وأهم ما كتبه في هذا الموضوع : " تتشغل طبيعة العالم بهذا العمل : أن تحول الواقع إلى الآخر ، أن تغير الأشياء ، أن تأخذها من هنا و تضعها هناك . كل شيء مألوف وليس ثمة ما يدعونا إلى الخوف من أي شيء جديد³⁸ .

" بعض الأشياء تحت الخطو إلى الوجود ، وبعضها يحث الخطو إلى الخروج منه ، وبعض ما يولد يكون هالكا من الأصل . التجدد و التغيير يجدد العالم على الدوام ."³⁹

" تأمل دائما كل ما يأتي به التغير ، روض نفسك على فكرة أن طبيعة الكل ، لا تولع بشيء وبقدر ، ولعها بتغيير كل شكل من الوجود إلى شكل آخر ، شبيه و لكن جديد . كل ما يوجد هو بمعنى بذرة لما يأتي بعده"⁴⁰ .

³⁶ حسن حسن كامل ابراهيم ، التغيير و الثبات في الفكر اليوناني قبل سقراط ، مجلة أصول الدين ،

³⁷ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الرابع ، الفقرة 36.

³⁸ نفسه ، الكتاب الثامن ، الفقرة 6 .

³⁹ نفسه ، الكتاب السادس ، الفقرة 15 .

⁴⁰ نفسه ، نفسه ، الكتاب الرابع ، الفقرة 36.

يبدو من خلال هذه الفقرات أن ماركوس أوريليوس تأثر كثيرا بنظرية التغيير لهيراقليطس* (Héraclite) الذي أكد أن كل شيء في هذا الوجود يتغير و لا يدوم على الثبات⁴¹ ، وهو اعتقاد يجعل كل التركيبات تخضع لعملية التحلل و التكون⁴² ، ويحدث هذا التغيير إما أن يكون انتقالا من صفة إلى صفة المضادة لها ، أو أن يكون انتقالا من مرحلة إلى مرحلة أخرى في نظام تسلسل⁴³ . إن التغيير من منظور هيراقليطس هو الانتقال من الضد إلى الضد ، لهذا بني نظريته على الأضداد ودعمها بعدة أمثلة كتغير حالة الطقس من الدفء إلى البرودة ثم إلى حالة الجفاف بينما كان رطبا من قبل⁴⁴ .

في إطار الحديث عن نظام التغيير في الطبيعة ، فتصور مارك أورل هو نفسه عند هيراقليطس الذي رمز لهذا العالم بالنار و أنها تملك ثلاث خواص رئيسية و هي : الضوء – التوهج و الحرارة و كذلك قدرتها على إحداث التغييرات وقوة ازديادها الذاتي السريع⁴⁵. هذه النظرة إلى النار بمظهر طبيعي هي تقريبا نظرة جميع الفلاسفة الطبيعيين الإغريق الذين بحثوا في عناصر الطبيعة مثل النار و الهواء و الماء و التراب ، وأشار مارك أورل إلى هذه العناصر متأثرا بفكر هيراقليطس حيث قال : " تذكر دائما قول هيراقليطس : موت التراب هو أن يصبح ماء ، و موت الماء ميلاد الهواء ، و موت الهواء هو النار ، و عودة إلى البدء " ⁴⁶ .

* هيراقليطس : فيلسوف يوناني ولد في عام 535 قبل الميلاد بمدينة أفسس في تركيا وتوفي فيها عام 475 قبل الميلاد ، ينتمي إلى عائلة نبيلة وعريقة . يقال أنه في مزاجه و سلوكه كان حزينا و عنيدا ، أدت به صفاته إلى أن يعيش في الجبال متخذا الأعشاب و الجذور طعاما له . المزيد من المعلومات أنظر : فيليب ويلرايت ، هيراقليطس ، ترجمة . عبده الراجعي ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1969 ، ص. 15

⁴¹ هيراقليطس ، الطبيعة ، الفقرة 20. ، ترجمة . حسن كامل ابراهيم ، القاهرة ، 2016

⁴² فيليب ويلرايت ، المرجع السابق ، ص.42

⁴³ نفسه .

⁴⁴ هيراقليطس ، المصدر السابق ، الفقرة 22 .

⁴⁵ فيليب ويلرايت ، المرجع السابق ، ص. 51

⁴⁶ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الرابع ، الفقرة 46 .

نظرية هيراقليطس التي تأثر بها ماركوس أوريليوس تقول أن النار الكونية تصبح مشتعلة وخابية وتحدث كلتا العمليتين بمقاييس منتظمة ما أسماه هيراقليطس بالطرق الصاعدة و الهابطة⁴⁷ ، وعند ماركوس أوريليوس بالأعلى و الأسفل : " أعلى و أسفل ، هنا وهناك ، تمضى حركة العناصر"⁴⁸ . العمليتان التي يتحدث عنهما ماركوس أوريليوس و هيراقليطس يقصدان عمليتي الانصهار و التبخر عند انتقال عناصر المادة داخل النار عن طريق الاحتراق والتبخر⁴⁹ ، واستدلا في ذلك ، فكرة انحلال العالم بالنار هي فكرة واردة بوضوح في نظرية الاحتراق عند الرواقيين ، حيث يذهب قولهم إلى أن هذا الانحلال دوري ، يحدث في دورات طويلة جدا و يتبعه في النهاية الظهور التدريجي لعالم جديد من كتلة نارية⁵⁰ . يفهم من هذا التصور أن طبيعة الوجود عند ماركوس أوريليوس و هيراقليطس نارية ، فالنار عندهما تشير إلى مفهوم التغير على نحو حسي ، و أنها مبدأ أول الأشياء باعتبارها العنصر الفعال الذي يؤدي إلى حدوث ما نلاحظه من تغيير في كثير من العمليات الطبيعية ، و الحواس مصدر لمعرفة الوجود المحسوس ، و المعرفة التي تأتينا من هذا الطريق لا تمثل حقيقة الأشياء ، فهي معرفة محدودة و نسبية ، و العقل هو الآخر مصدر للمعرفة، فهو الوحيد الذي يستطيع أن يصل إلى معرفة حقيقة الأشياء أي الوحيد الذي يدرك القانون العام الذي سماه هيراقليطس باللوجوس (Logos) الذي يحكم هذا الوجود⁵¹ . لم يتوقف تأثر ماركوس أوريليوس بنظرية اللوجوس وطبيعة الوجود بل أيضا قانون الأخلاق الذي يمثله العقل في تصور الرواقيين بصفة

⁴⁷ هيراقليطس ، المصدر السابق ، الفقرة . 118

⁴⁸ ماركوس أوريليوس، الكتاب السادس ، الفقرة 17

⁴⁹ فيليب ويلرايت ، المرجع السابق ، ص.21

⁵⁰ نفسه ، ص. 27

⁵¹ حربي عباس ، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان ، الإسكندرية ، 2003 ، ص.19

عامة و ماركوس أوريليوس بصفة خاصة حيث قال : " اختبر دوما انطباعاتك الذهنية ، كل انطباع على حدة إذا أمكن ، طبق عليها مبادئ الفيزياء و الجدل "52 ، أي طبق في سلوكك التحليل المنطقي مع البحث عن السبب و التحكم في الانفعال53 .

ج - قانون الأخلاق

يرى ماركوس أوريليوس أن العقل البشري متجانس مع العقل الكوني و أن الإنسان عليه أن يعيش وفق الطبيعة ، و أن واجباته لا تكون كاملة إلا بتوافقها مع القانون العام ، و أن تبني على أساس الفضيلة و التعاون بين جميع الكائنات العاقلة ، و قال في تأملاته : " الكائنات العاقلة كأعضاء الجسد الواحد خلقت للتعاون ، سيتبين هذا بوضوح كلما قلت لنفسك إنني عضو في منظومة الكائنات العاقلة "54 . " لا شيء يؤدي إلى سمو العقل مثل قدرتك على أن تعرض كل عنصر من عناصر خبرتك في الحياة على الفحص المنهجي و الصادق ، و قدرتك على أن تنظر إلى الأشياء دائما بحيث يمكنك في الوقت نفسه أن تتأمل أي صنف من العوالم هذا و أي دور يسهم به هذا الشيء أو ذاك في هذا العالم ، و أي قيمة يتحلى بها كل شيء بالنسبة إلى الكل و بالنسبة إلى الإنسان الذي هو مواطن هذه المدينة العليا، التي تعد سائر المدن مجرد عائلات فيها "55 .

يتصور ماركوس أوريليوس الكون مدينة واحدة التي تمثل العالم العلوي والكائن العاقل هو مواطنها ، ولهذا على هذا الأخير أن يتخلق بقانون الأخلاق

52 ماركوس أوريليوس ، الكتاب الثامن ، الفقرة . 13

53 نفسه .

54 نفسه ، الفقرة . 25

55 نفسه ، الكتاب الثالث ، الفقرة . 11

الذي هو عند ماركوس أوريليوس "العقل" و يقول في هذا الشأن: "احترم ملكة الرأي، فإليها يرجع كل شيء و عليها يتوقف ما إذا كان عقلك الموجه ما زال يضمّر أي حكم غير متفق مع الطبيعة أو مع جبلة الكائن العاقل. و هذه الملكة الآلفة بالآخرين هي التي تكفل لك التفكير المتأني"⁵⁶. بموجب هذا القانون الأخلاقي المفطور في نفوس الكائنات العاقلة، يكون العمل بالنسبة لمارك أورل فاضلا و صالحا لا بسبب ما ينتج عن هذا العمل من نتائج حسنة و طيبة أو بما فيه من حكمة ولكن لأن هذا العمل قد أدى وفقا لشعور داخلي بالواجب، وهذا القانون لم يأتي عن طريق التجارب الشخصية بل هو فطري و طبيعي في الإنسان"⁵⁷. والخير الوحيد في هذا العالم هو إرادة فعل الخير، و هي الإرادة التي تتبع القانون الأخلاقي بغض النظر عما يعود من كسب أو خسارة⁵⁸. فالإنسان يسعى إلى سعادة الآخرين والتضحية من أجل خير الإنسانية⁵⁹. وهذه التضحية ينظر إليها بالخير أو الشر حسب إرادتنا وحكمنا على الأشياء⁶⁰.

في هذا الإطار الأخلاقي، نهى ماركوس أوريليوس نفسه على عدم إصدار أحكاما وفق الأهواء بل ما يقتضيه العقل الأخلاقي و أن ينظر إلى الأشياء نظرة صحيحة وقال: "لا تحكم على الأمور كما يحكم عليها من آذاك أو كما يريد أن تحكم، بل انظر إلى الأشياء كما هي عليه في الحقيقة"⁶¹، وفي فقرة أخرى يذكر: "كن دائما على استعداد للعمل بهذين المبدئين: أولا ألا تفعل إلا ما يملي عليك العقل الحاكم و المشرع أن تفعله لخير الإنسانية، وثانيا أن تغير

⁵⁶ ماركوس أوريليوس، المصدر السابق.

⁵⁷ ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة. فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، 2014، ص.219.

⁵⁸ نفسه.

⁵⁹ نفسه.

⁶⁰ نفسه.

⁶¹ ماركوس أوريليوس، الكتاب الرابع، الفقرة 11.

موقفك إذا كان هناك في الحقيقة من يصحح لك رأياً و ما يرشدك إلى ما هو أقوم ، على أن ينبع هذا التحول عن اقتناع بالعمل أو بالخير العام ، و أن تعدل مسارك وفقاً لذلك و ليس لمجرد اللذة أو الشعبية "

بين ماركوس أوريليوس في هذه الفقرات غاية الإنسان من الوجود أي أن المرء غايته فعل الخير و خدمة الإنسانية و لا يخضع لأي سلطة ماعدا عقله . وبهذا يضع هذا المفكر الكائن العاقل في مهمة واضحة ومحددة و هي ممارسة الفضيلة في ظل الفلسفة العملية⁶² ، وفي هذه الحالة ينبغي على الإنسان التحرر من قيود الغريزة و اللذات حتى يتسنى له فعل الخير و إدراك الواجب بوعي و يقين⁶³ . بعد ذلك قارن مارك أورل نفسه مع عالم الحيوان و النبات بهدف تحديد دوره في هذا العالم حيث كتب ما يلي :

" في الصباح ، عندما تجد نفسك غير راغب في القيام ، قل لنفسك : إنني أصحو من نومي لكي أؤدي عملي كإنسان . أما زلت كارها أن أذهب لكي أؤدي ما خلقت من أجله و ما وجدت في العالم لكي أؤديه ؟ أم تراني خلقت لكي أُلّف نفسي بالأغطية و أبقى دافئاً ؟ و لكن هذا أهناً و ألد . أتراك إذن خلقت لكي تتعم باللذة من دون أي شيء من العمل و الكد ؟ ألا تنظر إلى الأشياء من حولك ، النباتات و الطير و النمل و العناكب و النحل ، كيف تسعى سوياً ، كل في عمله الخاص ، لكي تحفظ نظام العالم ، بينما تعرض أنت عن عملك ككائن إنساني ، و لا تخف إلى أداء ما تقتضيه طبيعتك ذاتها " ⁶⁴ . اعتبر ماركوس أوريليوس الكائنات الحية بصفة عامة و العاقلة بصفة

⁶² BARTHELEMY SAINT HILAIRE , pensées de Marc Auréle , Paris ,1876 , p.16

⁶³ محمد الشيخ ، فلسفة الحدائثة في فكر هيغل ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، بيروت ، 2008 ، ص. 95

⁶⁴ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الخامس ، الفقرة . 1

خاصة فروعا من أسرة واحدة ، تعيش في عالم واحد و تعمل سويا في ظل قوانين الطبيعة . ومن هذا التصور يظهر مفهوم العالمية القائمة على مبدئين : الأول على الإنسان القيام بالواجبات و خدمة الآخرين دون النظر إلى القرابة أو الصداقة أي العلاقة بين إنسان و آخر تتجاوز الروابط الأسرية و حتى الروابط الرسمية التي تقوم عليها الشراكة في المواطنة⁶⁵ ، و المبدأ الثاني أنه يجب أن لا تعطى قيمة للحياة الفردية مادام الفرد جزء ينصهر في الكل⁶⁶ . و هذا ما يدل على أن مارك أورل كان يهتم بالمارسالات التي تعطي لهذه الحياة مغزى ، و أن الفرد له الحق أن يسلك سبيله الخاص في حياته لكنه مع الحرص على الشمولية و الصالح العام ، و قد أكد مرة أخرى على هذا الانتماء العالمي الكلي قائلا :

" مرة ثانية ، كل مخلوق إنما خلق من أجل مخلوق آخر ، و مساره موجه إلى ذلك الذي خلق من أجله ، و غايته تكمن في ذلك الذي يتجه إليه مساره . و حيثما كانت غايته فثم خيره و صلاحه ، ينتج من ذلك أن خير المخلوق العاقل هو الجماعة " ⁶⁷ .

" لا شيء من هذه الأشياء ينبغي أن يسمى إنسانا ، تلك التي لا تنتمي إلى الإنسان بما هو إنسان . إنها لا تلزمه كإنسان ، و لا تهيب بها طبيعة الإنسان . و من ثم فهي لا تشكل غاية لإنسان أيضا ، و لا حتى أية وسيلة لهذه الغاية الإنسانية التي هي الخير " ⁶⁸ .

تحتل الأخلاق في فكر ماركوس أوريليوس مكانة الصدارة حيث جعلها فلسفة حياته ، تهدف إلى إصلاح الفرد و المجتمع ، و تدعو إلى سيطرة المرء على نفسه . لقد كرر كلمة " الخير " عدة مرات ، لكنها تجتمع كلها حول مفهوم واحد و هو أن

⁶⁵ منشورات اليونسكو ، شهود على التاريخ ، الجزء الثاني ، 1981 ، ص.106

⁶⁶ نفسه .

⁶⁷ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، الفقرة . 16

⁶⁸ نفسه ، الفقرة . 15

لا يكون أي شيء خيرا إلا إذا كان الإنسان يستمد منه نفعا⁶⁹ . ولما كانت الفضيلة هي الشيء الذي ينتفع منه الإنسان ، فإنها هي الخير بالمعنى التام ، لأنها تجعل الإنسان يتصرف وفقا لها ، كما أنها هي الشيء الوحيد الذي يكون المرء في أفضل ما يكون⁷⁰ .

في هذا الإطار الرواقي لمعنى الخير ، يتجلى المفهوم العام للفضيلة عند ماركوس أوريليوس، على أنها علم و عمل و أنها الخير الأسمى و الحقيقي في الحياة، وأكد على أن الإنسان لن يكون حكيما إلا إذا عرف ما يجب فعله و ما يجب تجنبه حتى تتغير بنية عقله إلى الشكل الذي تعلمه . و الفضيلة لا تمنح لنفس شيئا ما لم تكن قد تعلمت و تدرت و وصلت إلى الكمال بالممارسة الدائمة⁷¹ ، و لا يكفي أن تحتفظ بالأشياء النبيلة في الذاكرة بل لا بد من ممارستها عمليا لأنه ليس سعيد من يعرف فقط بل السعيد هو من يعمل بما عرف⁷² ، و من هنا فان الفضيلة علم و عمل . و في ضوء هذا التلازم بين المعرفة و الفضيلة ، تكون هذه الأخيرة حكما صائبا لا ينحرف عن ما ينبغي أن يفعله الإنسان و ما يجب تجنبه . و من خلال هذا الحكم تتعامل الأشياء الخارجية التي تحيط بنا بالعقل⁷³ . والفضيلة تستحث داخل النفس الإنسانية بالنصيحة الخيرة التي أشار إليها ماركوس في هذه الفقرات مخاطبا إياه :

" هل أساء إلي شخص آخر ؟ دعه و شأنه . انه سيد نزعاته و سيد أفعاله . أما أنا فأملك ما تقتضيني الطبيعة الكلية أن أملك ، و سوف أفعل ما تقتضيني طبيعتي

⁶⁹ عبد العال عبد الرحمان عبد العال ، دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عند فلاسفة اليونان ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، الإسكندرية ، 2003 ، ص.145

⁷⁰ نفسه .

⁷¹ نفسه

⁷² نفسه ، ص.155

⁷³ نفسه ، ص. 150

أن أفعل " 74 .

" كنت ذات يوم رجلا محظوظا ، لا يتخلى عن الحظ في كل صغيرة و كبيرة ، و اليوم تخلى عني لا أعرف كيف ؟ ولكن كلمة محظوظ تعني ذلك الرجل الذي حدد لنفسه حظا سعيدا ، و الحظ السعيد هو أن تروغ النفس إلى الخير ، و يكمن ذلك في الوجدانات الخيرة و الأفعال الخيرة " 75 .

" بوسعك أن تقتضي حياتك في فيض من السعادة إذا أمكنك أن تمضي في الطريق القويم ، و أن تتبع طريق العقل في أحكامك و أفعالك . ثمة شيئا تشترك فيها جميع الأنفس العاقلة بشرا و آلهة : أن الخير الذي تطلبه يقبع في النزوع إلى العدالة و ممارستها ، و أنها لا ترغب فيما عدا ذلك " 76 .

" ما دام هذا ليس إثما من جانبي و لا هو نتاج لاثمي ، و مادامت الجماعة بخير ، فلماذا أعني نفسي به ؟ " 77 .

في ضوء هذه التأملات ، يتضح مفهوم الحكمة كأساس للفضيلة عند ماركوس أوريليوس، والتي تتجلى في مدى صحة النفس و سلامة العقل . فالإنسان لا يمكن أن يوصل إلى ماهية الفضيلة و أن يحيا حياة سعيدة إلا بعد أن يتغلب على ما يعوق حرية العقل وانسجامه و وفاقه مع الطبيعة . بالنسبة لمارك أورل لا فرق بين الوفاق مع الطبيعة الكونية أو الوفاق مع الطبيعة الذاتية للعقل ، لأن العقل الإنساني على حد تعبيره جزء من العقل الإلهي موضع في جسد بشري ، لذا فالتوافق و الانسجام مع الطبيعيتين ، العامة و الخاصة معنى واحد ، يقول مارك أورل حول هذا التوافق:

⁷⁴ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الخامس ، الفقرة 25

⁷⁵ نفسه ، الفقرة 37 .

⁷⁶ نفسه .

⁷⁷ نفسه ، الفقرة 35.

" تلك القوة الحاكمة بداخلنا ، حيث ما كانت في توافق مع الطبيعة ، تتخذ موقفا مرنا و تكيف نفسها دائما بسهولة و يسر مع ما يعرف لها من أحداث ، فهي لا تتطلب مادة معينة لعملها ، بل تتجه إلى غرضها بأسلوب تكيفي فتحول أي عقبة إلى مادة لاستعمالها . إنها أشبه بنار تسيطر على أي شيء يسقط في جوفها" ⁷⁸ .

" كلنا نعمل معا للغاية نفسها ، البعض عن قصد ودراية و البعض عن غير دراية تماما كما قال هيراقليطس فيما أعتقد ، انه حتى النائمون هم عمال مشاركون في صنع كل ما يحدث في العالم . لكل واحد عمله المقيض له ، و هناك وظيفة حتى للمناوى الذي يريد أن يفسد الإنتاج ، فالعالم بحاجة إليه أيضا . يبقى إذن أن تقرر في أي فئة من العاملين تريد أن تضع نفسك . فمن المؤكد أن حاكم الكل سوف يجد لك استخداما نافعا ، وسوف يسلك في القوة العاملة لأداء دور ما في هذا العمل المشترك" ⁷⁹ .

وفيما يخص الانفعالات وحالة الأمراض النفسية التي تعد مصدرا للشر وعائقا أما الفضيلة فقد قدم ماركوس أوريليوس علاجاً أخلاقياً لنفسه حيث قال :

" اذرع حياتك دون أي ضغط قهري ، و في أتم سكينه عقلية ، حتى لو هتف العالم كله ضدك ، و حتى لو مزقت الوحوش أعضاء هذه الكتلة الجسدية البائسة الملتحمة حولك . فأى شيء في كل هذا يحول بين عقلك و بين أن تبقى نفسك في سكينه" ⁸⁰ .

التحكم في الانفعالات في نظر ماركوس أوريليوس هو الطريق الصائب إلى

الفضيلة، لأن الإنسان الحكيم في نظره هو الذي يتحمل المتاعب و الألم و يشعر مع ذلك بالسعادة و من هذا التصور، قدم هذا المفكر مظهرا للفضيلة في ضوء طبيعة الخير و التي تكمن على حد قوله في النفس العاقلة ، هذه الأخيرة لها قدرة التأمل في

⁷⁸ ماركوس أوريليوس، الكتاب الرابع ، الفقرة 1.

⁷⁹ نفسه ، الكتاب السادس ، الفقرة 42.

⁸⁰ نفسه ، الكتاب السابع ، الفقرة 68.

الحقيقة و ما يجب طلبه و ما ينبغي تجنبه و كذلك تقييم معايير القيمة وفقا للطبيعة لا وفقا للهوى ، فالنفس التي تتخلل العالم كله و توجه نظرتها المتأملة إلى جميع ظواهره ، تكون قوية وعظيمة ، تسمو فوق كل المصاعب والمحن ، سليمة و هادئة لا تفرع ، وإنما نفس لا يمكن لأي عنف أن يحطمها ، و إلى جانب قوتها فهي مزودة أيضا بالرحمة ، و من صور النفس الحكيمة و العاقلة ، نقرأها في هذا النص الذي كتبه ماركوس أوريليوس:

" ها هنا إذن تكمن القيمة الحقيقية ، و إذا أنت قبضت على هذه القيمة فلن تصبو إلى اكتساب أي شيء آخر ، و لن تعود تعلي من شأن كثير من الأشياء الأخرى ، و إلا فلن تكون حرا أو مكثفيا بذاتك أو خاليا من الانفعال ، و ستضطر إلى الحسد و الغيرة و التوجس ممن لديهم القدرة على أن يسلبوا منك هذه الأشياء ، و التآمر على من يملكون ما تراه ثمينا . و باختصار ، فكل من يشعر بالحاجة إلى شيء من هذه الأشياء يكون بالضرورة منغص العيش ، بل سيدفعه ذلك في أحيان كثيرة إلى أن يتذمر على الآلهة . أما توفيرك لعقلك و إكبارك له فسوف يجعلك راضيا منسجما مع رفاقك متوافقا مع الآلهة ، أي حامدا لهم على كل ما يمنحون و كل ما قضوا به " 81 .

ركز ماركوس أوريليوس كثيرا على الفضيلة و قال أنها مصدر السعادة

الحقيقية و ليس اللذة و المتعة ، و تأكيدا لهذه الحقيقة يقول :

" أما اللذة فان القراصنة و قتلة آبائهم و الطغاة ليتمتعون بها غاية المتعة . لو كانت

السعادة هي اللذة لكان هؤلاء هم أسعد الناس " 82 .

81 ماركوس أوريليوس ، الكتاب السادس ، الفقرة . 16

82 نفسه ، الفقرة . 34

إذن قوام السعادة عند ماركوس أوريليوس هو ضبط اللذة و التحكم فيها على نحو ذكي و حكيم . والإنسان السعيد بالنسبة له هو الذي يعرف كيف يستخدم الخيرات في الحياة بطريقة موافقة للعقل ، حتى يتمتع بالهدوء و السكينة و التحرر من سيطرة العالم الخارجي . و السعادة من هذا المنظور تتوقف على فعل الخير و ممارسة الفضيلة ، وهي سلوك إرادي قائم على الاختيار الذي يمليه التمعن و اليقين ⁸³ ، يقول ماركوس أوريليوس في هذا الموضوع :

" تختلف المباهج من شخص إلى آخر . أما أنا فبهجتي في أن أحتفظ بعقلي الموجه نقيا فلا أزدري أي إنسان أو أي شيء يحدث لإنسان ، بل أنظر إلى كل شيء نظرة احتفاء واستخدام كل شيء بحسب قيمته ⁸⁴ .

" بهجة الإنسان أن يؤدي العمل اللائق بالإنسان الذي هو الإحسان إلى جنسه الإنساني ، و ازدياء نزعات الحواس ، و تكوين حكم من الظواهر المقبولة ، و التفكير في طبيعة العالم وكل ما يجري فيه " ⁸⁵ .

" لقد طوفت ما طوفت و مضيت في دروب كثيرة و لم تعثر على السعادة في أي درب منها ، لم تعثر عليها في المنطق ، و لا في الثروة ، ولا في المجد ، ولا في المتعة ، ولا في أي شيء . أين إذن يمكن أن تجدها ؟ في أن تفعل ما تقتضيه طبيعة الإنسان . وكيف تفعل ذلك ؟ بأن تكون لديك مبادئ تحكم رغباتك و أفعالك . ما هي هذه المبادئ ؟ تلك المتصلة بالخير و الشر ، اليقين بأنه لا شيء يعد خيرا لإنسان ما لم يجعله عادلا ، و معتدلا ، و شهما و حرا . و لا شيء يعد شرا ما لم يجعله عكس ذلك " ⁸⁶ .

⁸³ عبد العال عبد الرحمان عبد العال ، المرجع السابق ، ص . 16

⁸⁴ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الثامن ، الفقرة . 43

⁸⁵ نفسه ، الفقرة . 26

⁸⁶ نفسه ، الفقرة . 1

بعد التساؤلات التي طرحها ماركوس أوريليوس على نفسه وتأملاته حول السعادة ، تبين له أن سعادته تكمن في الإحسان إلى غيره وأن الشر هو كل سلوك يخالف الفعل الأخلاقي، وينشأ من الجهل ، ويقول أنه لا أحد يرتكب الخطيئة أو الشر وهو عالم بأنه شر⁸⁷ . واستنتج أن الفضيلة علم و الرذيلة شر . و على هذا الأساس حسب رأيه لا يجب أن نؤاخذ الناس على أخطائهم لأنها صادرة عن الجهل. و أهم أقواله في هذا الصدد :

" كلما قابلت شخصا اسأل نفسك أولا هذا السؤال المباشر : ما هي الأحكام التي يأخذ بها هذا الشخص حول الخير و الشر في الحياة ؟ ذلك أنه إذا كان يعتقد هذا الاعتقاد أو ذاك عن اللذة و الألم و مكوناتهما ، و عن الشهرة و الخمول ، و عن الحياة و الموت ، إذن فلن يكون مستغربا لدي أو عجبيا إذا تصرف بهذه الطريقة أو تلك ، و سوف أتذكر أنه ليس لديه خيار إلا أن يسلك كما سلك⁸⁸ . "

" عليك دائما أن تلاحظ من هؤلاء الذين تريد أن تحظى بإطرائهم ، و ما هي العقول التي توجههم ؟ فإذا نظرت إلى مصادر حكمهم و رغباتهم فلن تلوم من ينالك منهم دون قصد و لن تشعر بحاجة إلى استحسنانهم ."⁸⁹

" يقول أفلاطون : ليست هناك نفس تريد عمدا أن تحرم من الحقيقة ، و الشيء نفسه ينسحب إلى العدالة ، و الاعتدال ، و الإحسان ، وكل الفضائل . من المهم للغاية أن تضع هذا دائما في اعتبارك ، فبذلك سوف تكون أرفق بالجميع"⁹⁰ .

⁸⁷ ماركوس أوريليوس، المصدر السابق الفقرة . 14

⁸⁸ نفسه .

⁸⁹ نفسه الفقرة . 62

⁹⁰ نفسه ، الفقرة . 63

نصح ماركوس أوريليوس نفسه على ضرورة العودة إلى ملكة العقل و الالتزام به، لأنه حسب قوله الوحيد الذي يوجه الإنسان إلى الصواب و لا يتأثر بنشاط الحواس و الرغبات ويقول: " المبدأ الرئيسي إذن ، في "جبلة الإنسان هو المبدأ الاجتماعي ، و المبدأ الثاني هو ألا يستسلم لحاجات الجسد . فمن الخصائص التي ينفرد بها العقل أن يعزل نفسه و لا يتأثر بنشاط الحواس أو نشاط الرغبات . فهذان النشاطان حيوانيان ، بينما غاية النشاط العقلي أن يتسيد عليهما و لا يسلم قياده لهما ، لأن طبيعته ذاتها هي أن يضع كل هذه الأشياء تحت سلطته ، و العنصر الثالث في الجبلة العقلية هو الحكم المتأني الحصيف . فليبق عقلك الموجه إذن أمينا لهذه المبادئ ، و ليتخذ الطريق المستقيم ، حتى يبلغ ما هو أهل له " ⁹¹ . ينظر ماركوس أوريليوس إلى العقل كملكة رئيسية تتحكم في الرغبات والأحاسيس ، و أن عليه أن يتصرف دائما بمبادئ العقل الذي يؤهله إلى اتخاذ أحكام معتدلة ، لأنه حسب وصفه يمثل القلعة الآمنة التي يأوي إليها الإنسان و أهم ما كتبه في ذلك :

" العقل المدبر يعرف ما يريد ، و ما يعمل ، و على أي مادة يعمل " ⁹² .

" العقل الموجه هو ذلك الذي يوقظ نفسه و كيف نفسه ، و يضيف على نفسه الطبيعة التي يريدها ، و يجعل كل ما يحدث له يبدو على النحو الذي يريده " ⁹³ .

" تذكر أن عقلك الموجه لا يقهر إذا ما اعتصم بنفسه مكتفيا بذاته غير فاعل شيئا لا يريد أن يفعله ... لذا فان العقل الخالي من الانفعالات هو قلعة . ليس ثمة ملاذ للناس أقوى منه ، و من يأوي إليه فهو في حصن حصين . فما أجهله من لا يرى هذه القلعة و ما أتعسه من لا يلوذ بهذا الحصن " ⁹⁴ .

⁹¹ ماركوس أوريليوس ، الكتاب السابع ، الفقرة . 55

⁹² نفسه ، الكتاب السادس ، الفقرة . 5

⁹³ نفسه ، الفقرة ، 8

⁹⁴ نفسه ، الكتاب الثامن ، الفقرة . 48

" لا تعد تتنفس فقط من الهواء المحيط ، بل خذ فكرك أيضا من العقل الذي يضم الأشياء جميعا . فالقوة العاقلة منتشرة ، كالهواء في كل مكان و متخللة في كل شيء ، طوع من يشاء أن يتشربها ، تماما كالهواء لمن يستطيع أن يتنفسه "95 .

لم يتوقف ماركوس أوريليوس عن التعبير عن حبه و ميوله للمبادئ الرواقية بل ذهب إلى اتخاذ قرار التخلي عن دروس البلاغة و الخطابة و تكريس حياته للفلسفة و أخلاقها و قال في تأملاته : " تعلمت ألا أنجذب إلى الخطابة .. . و أن أبتعد عن البلاغة "96 . أمام هذه التصريحات ، قد نتساءل عن موقف فرونطو من اتجاه ماركوس أوريليوس؟

ثانيا : موقف فرونطو من اتجاه ماركوس أوريليوس من خلال المراسلات

لاحظ فرونطو أن ماركوس أوريليوس لم يعد يهتم بدروس البلاغة و الخطابة ، وأنه لم يبذل أي جهد لتحسين نصوصه الخطابية ، كما لاحظ أيضا نفورا كبيرا في توظيف الاستعارات الجميلة في البيان و التعبير ، أدرك أن السبب يكمن في التوجه الفلسفي الذي انتهجه تلميذه و جعل الفلسفة الرواقية في نصب عينيه . في هذه الظروف تعامل مع هذا الموقف بحكمة و دهاء حيث وضح له سر نجاح كبار الفلاسفة القدامى ، و قال أنهم بفضل بلاغتهم استطاعوا التأثير على الكثير من الناس و جعلوهم يتبعون مذاهبهم و اتخذوهم قدوة في مبادئهم . في هذا الإطار كتب رسالة إلى ماركوس أوريليوس يقول فيها :

« Molliantur atque ita efficius sine ulla ad animos offensione audientium penetrent .
Haec sunt profecto , quae tu putas obliqua et insincera et anxia et uterae amicitiae
minime adcommodata , at ego sine istis artibus omnem orationem absurdam et agrestem

95 ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، ، الفقرة . 54

96 نفسه ، الكتاب الثامن ، الفقرة . 7

et incognitam , denique inertent atque inutilem puto .Neque magis oratoribus arbitror necessaria eiusmodi artificia quam philosophis . »⁹⁷

" إن الاستعارات اللينة هي أكثر فعالية ، إنها تخترق عقول المستمعين دون صعوبة . بالتأكيد تراها مقنعة و مرهقة و أنها غير مناسبة في الصداقة و الإخلاص . أما أنا من جهتي أعتقد أنه بدون هذه الحيل الفنية ، تصبح كل الخطب سخيفة و جافة و عديمة الفائدة و مجهولة المعنى . لا أظن أن هذا النوع من الفن يهم الخطباء أكثر من الفلاسفة " ⁹⁸ .

إن العبارات اللينة في هذا النص ، يقصد بها المحسنات البديعية و العبارات الجميلة ، وطالما أكد عليها فرونطو في دروسه و توجيهاته على أنها أساسية في أي نص كان ، سواء كان نصا خطابيا أو رسالة أو شعرا . بينما مارك أورل ، تختلف نظرتة عن أستاذه حيث يرى أنها لا تتناسب مع طبيعته ، كونه يفضل الكلام المباشر و الأسلوب البسيط الخالي من الاستعارات وأنواع البديع ، واعتبر هذا الفن معقدا و مرهقا للمتعم أثناء البحث عن الكلمات الموزونة و المناسبة في علم البلاغة و وصفها بالمقنعة ، وقد سبق أن أشار في تأملاته إلى تفضيله للأسلوب البسيط حيث قال : " وإذا كتبت رسائل أن أكتبها بأسلوب بسيط " ⁹⁹ ، في حين يرى فرونطو أنه بدون هذا الفن أي علوم البلاغة من بيان و بديع والمعاني ، لا يمكن أن يكون للخطب وزنا و تأثيرا لدى الجمهور ، لأنها تفنقد لعامل التشويق و بذلك تصبح حسب وصفه بالجافة و السخيفة و عديمة الفائدة ¹⁰⁰ . للاستدلال على الدور الذي تلعبه البلاغة حتى عند الفلاسفة قدم مثلا بسقراط و قال :

⁹⁷ FRONTON , AD MARCUM CEASAREM , lettre .III.16

⁹⁸ Ibid

⁹⁹ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الأول ، الفقرة . V

¹⁰⁰ FRONTON , loc.cit

" Quidnam igitur tibi uidetur princeps ille sapientiae simul atque eloquentiae Socrates ? Huic enim primo ac potissimo testimonium apud te denuntiaui , eone usugenere dicendi , in quo nihil est oblicum , nihil interdum dissimulatum ? Quibus ille modis protagoram et polum et Thrasymachum et Sophistas ceteros uersare atque inretire solitus ? Quando autem apperta arte congressus est ? Quando non ex insidiis adortus ? Quo ex homine nata inuersa oratio uidetur , quam Graece Eipwveia appellant ? " ¹⁰¹

" كيف يبدو لك سقراط أمير الحكمة و البلاغة ؟ في الحين ، أستدعيه للشهادة ، انه الأول و الرئيسي الذي تجري عليه المقارنة أمامك ¹⁰² ، ألم يستخدم أسلوبا ما ؟ ألم يحول معاني الكلمات إلى هدف ما ؟ و بأي وسيلة استطاع دحض عدة فلاسفة و أدخلهم في شباكه أمثال : بروتاغوراس* (Protagoras) و بولوس ** (Polus) و ترازيماك *** (Thrasymaque) و كل الرواقيين الآخرين . و متى كان يحارب بفن مكشوف ؟ و متى كان يهاجم دون نصب الكمين ؟ إلى من كان يشبهه و هو يلقي خطبه بالأسلوب الذي يعرف عند الإغريق بالمزاح (Ironie) ؟ ¹⁰³

اختار فرونطو سقراط كنموذج لكونه من أكبر الفلاسفة الكلاسيكيين حكمة و بلاغة . و حسب ما كتبه أفلاطون في حواراته ، كان سقراط ذكيا و بليغا و بأسلوبه الجدلي عجز الكثير من الرواقيين الإجابة على أسئلته منهم بروتاغوراس و بولوس

¹⁰¹ FRONTON , loc .cit

¹⁰² Ibid.

* بروتاغوراس : مفكر إغريقي عاش ما بين 485 و 410 قبل الميلاد ، وهو من أشهر السفسطائيين ، و لد في إقليم تراقيا باليونان . كان له أثر كبير في الفكر اليوناني في عصره . جاب اليونان كلها و استقر في أثينا أين كلفه الحاكم بركليس (Pericles) بوضع دستور جديد للبلاد . و لكن ما لبث أن اتهم بالإلحاد ، و حكم عليه بالإعدام بسبب ما جاء في كتاباته في حق الآلهة ، وفر من أثينا و قيل أنه مات غرقا و هو في طريقه إلى صقلية . كان معلما بارعا في علم البيان ، المزيد من المعلومات أنظر

PLATON , Protagoras , tome . III

** بولوس : بليغ إغريقي و رواقى من أصول صقلية ، و إحدى الشخصيات التي دخلت في جدال مع سقراط في حوارات أفلاطون ، المزيد من المعلومات أنظر : PLATON , Gorgias , tome .IV

*** ترازيماك : رواقى إغريقي خلال القرن الخامس قبل الميلاد و أول من بدأ يدرس الخطابة ، و اختلف مع سقراط حول مبدأ العدالة و عجز أمام هذا الأخير على الإجابة عن العديد من الأسئلة ، المزيد من المعلومات أنظر : PLATON , République , livre .I

¹⁰³ Ibid.

**** السوفسطائيون : هم معلمي الحكمة العملية التي لها مردود مادي ، ولم يكن البحث عن الحقيقة أو معرفة بنية العالم محل اهتمامهم لأنهم يؤمنون بأن معرفة هذه البنية بعيدة عن متناول الإنسان ، و أن هذا الخير لا بد أن يقدر الأشياء بناء على خبرته الفردية الخاصة . فالإنسان مقياس كل شيء ، المزيد من المعلومات أنظر : محفوظ أبي يعلى ، السوفسطائية ، www.hekmah.org/2016

و ترازيماك . كما أن كثير من الشباب تأثروا به كثيرا ، و تركت فيهم طريقة إعدامه أثرا عميقا في نفوسهم بما فيهم مارك أورل الذي أبدى بهذه الشهادة :
 " ... يكفي أن سقراط مات ميتة أمجد ، و أنه كان يجادل السوفسطائيين **** جدلا أكثر براعة ، و أنه كان جلدا إذا قضى ليلة كاملة في الصقيع ... فلا هو يشجب نقائص الناس جملة و لا هو يتملق جهل أي شخص ، و لا يستتكر أي نصيب مقسوم له من الكل ... و لا يسمح لعقله أن يميل مع الأهواء البائسة للجسد " ¹⁰⁴ .
 يواصل فرونطو كلامه على سقراط و طريقة تأثيره على الشباب و يقول :

" Alcibiaden uero , ceterosque adolescentis genere aut forma aut opibus feroces quo pacto appellare atque adfari solibat ? per iurgium an per...exprobrando acriter quae delinquerent an limiter arguendo ? neque deerat Socrates profecto grauitas aut uis , qua tum cynicus Diogenes uolgo saeuibat , sed uidit profecto ingenia partim hominum ac praecipue adolescentium facilius comi atque adfabuli oratione leniri quam acri uiolentaque superari itaque non uineis neque arietibus errores adolescentium expugnabat , sed cuniculis subruebat , neque umquam ab co auditores discessere lacerati sed nonnumquam lacessiti est enim genus ¹⁰⁵ " .

" فيما يخص ألسيبياذ* (Alcibiade) و جميع الشباب الفخورين بأصولهم و جمالهم و ثرواتهم ، بأي طريقة كان سقراط يتحدث معهم و يتحداهم ؟ هل بالعنف أو بالليونة ؟ هل بالغضب أو باستدلال هادئ ؟ أكيد لا ينقص لدى سقراط لا قوة التأثير و لا التشدد الذي كان منتشرا في عهده و الذي تحلى به ديوجين السنيكي ** (Diogéne le cynique)، لكنه كان يرى أن جزء من عقل الإنسان خاصة الشباب يسهل

¹⁰⁴ ماركوس أوريليوس، الكتاب السابع ، الفقرة . 66

¹⁰⁵ FRONTON , loc.cit

* ألسيبياذ : رجل سياسي و خطيب أثيني عاش ما بين 450 و 404 قبل الميلاد . ينحدر من عائلة نبيلة حيث كانت له علاقة قرابة مع بريكلس (Périclés) حاكم أثينا ، و صديق لسقراط . كان يتميز بالذكاء و الجمال و خشونة الطبع ، المزيد من المعلومات أنظر :

THUCYCIDÉ , Histoire de la guerre de Péloponèse , trad.E.A Bétant , Paris ,librairie Hachette , 1878,p.325 ; PLUTARQUE , la vie d'Alcibiade , IX

** ديوجين السنيكي : فيلسوف إغريقي عاش ما بين 412 و 323 قبل الميلاد . له سمعة سيئة في بلاد الإغريق و كان يعيش بإراندته حياة حيوان في الطبيعة حيث كان ينام في أي مكان على الأرض إيمانا منه أن الأرض كلها منزله ، المزيد من المعلومات أنظر :

JACK MANDON , Diogéne le Cynique ou la mauvaise conscience du monde , octobre 2013 ,

www.ogoravox.fr

التأثير عليه بالخطاب المتملق على الخطاب المتصلب و المتشدد ، لهذا لا يتهم على أخطاء الشباب و لا يلومهم ، بل كان يوقعهم في فخاخ . و أما مستمعيه لا يفارقونه أبدا رغم أنه يتصرف أحيانا بالغضب لكنه يعرف كيفية استمالتهم . في الواقع الجنس البشري و طبيعة الإنسان متوجهة إلى اللطافة . و لهذا نميل إلى الرقة و لياقة الناس ونقاوم خشونة النقاد " ¹⁰⁶ .

حاول فرونطو من خلال هذا النص إقناع ماركوس أوريليوس أن الفيلسوف الكبير سقراط ، تمكن من استمالة الشباب بفضل أسلوبه البليغ و خطبه المؤثرة ، و أنه عرف كيف يتعامل مع هذه الفئة حيث استعمل معها طريقة الليونة ، إدراكا منه أن الخشونة والعنف لا ينفعان مع هذا السن . و بين له أن تأثير سقراط وصل إلى أواسط شباب الطبقة الأرستقراطية واستدل بمثال الشاب الأثيني الأرستقراطي ألسبياد الذي كان كثير التعلق به . وذكر له أيضا أنه لو كان هذا الفيلسوف متشددا لابتعد الناس عنه كما ابتعدوا عن الفيلسوف الإغريقي ديوجين السينيكي ¹⁰⁷ ، لأن هذا الأخير سلك نمطا صعبا حين اتبع مبدأ العيش وفق الطبيعة، فأخذ ينام على الأرض و في أي مكان اعتقادا منه أن الأرض كلها بيته ، فحوله هذا الوضع إلى صعلوك ينتقل من مدينة إلى أخرى وساعات بذلك سمعته .

أراد فرونطو من خلال هذه الرسالة أن يبين لماركوس أوريليوس أن سقراط لم يتوقف تأثيره على شباب عصره بل أثر على مثل هذه الفئة في العصور اللاحقة بعده و أن الاتجاه الفلسفي الذي انتهجه لدليل على تأثيره هو الآخر بسقراط . ومن جهة أخرى نبهه أنه يجب عليه أن يعي أن حب الفلسفة لا يعني التخلي عن

¹⁰⁶ FRONTON ,loc.cit

¹⁰⁷ Ibid .

دروس الخطابة و البلاغة لأنهما لازمتان للفيلسوف و الخطيب معا¹⁰⁸. وحاول أيضا فتح بصره على الواقع الذي يعيشه و أنه في عالم سياسي ، يتطلب منه التحلي بالروح المسؤولة تجاه الأمة الرومانية و التمكن من تحرير النصوص الخطابية و مختلف الرسائل بمستوى يتناسب مع المنصب الذي يشغله ، وأشار مرة أخرى في رسالته إلى أهمية البلاغة و الخطابة حيث قال :

« ... Peruicacibus eloquentia incutiatur . Ne fulmen quidem aeque terreret . Nisi cum tonitru caderet . Ea ipsa tonandi potestas non Diti patri neque Neptuno neque dis Ceteris , sed imperatori summo Ioui tradita est , ut fragoribus nubium et sonoribus procellarum , uelut quibustam caelestibus uocibus. »¹⁰⁹

" لتكون البلاغة غارسة عند العنيد ، و الصاعقة ليست مخيفة إذا لم يتبعها رعد . هذه القوة في التوجيه و التحويل، لا تعهد لا إلى الإله ديباتر* (Dis Pater) و لا لنبتون* (Neptune) و لا للآلهة الأخرى . لكنها تعهد للإله الكبير جوبيتر*** (Jupiter) سيد الآلهة الذي يحمي الأصوات الربانية من عنف الرياح و الغيوم ."¹¹⁰

وصف فرونطو في هذه الفقرة الإنسان الذي لا يريد تعلم البلاغة بالعنيد ، و هو وصف غير مباشر لمارك أورل و أخيه لوكيوس فيروس ، لأن الكلام موجه بصفة عامة للثنتين باعتبارهما تلامذته و يتقاسمان نفس المهام ، فالأول ذو اتجاه عسكري

¹⁰⁸ FRONTON , loc.cit

¹⁰⁹ Ibid, AD Verum Imperatorem .II , 8

* ديباتر : اله الجحيم عند الرومان و هو ابن الإله ساترون و أصبح يعرف فيما بعد باسم بلوتون ، المزيد من المعلومات أنظر :
G.GASSIES , Groupe de Dis Pater - Cernunnos et de la terre mère , R.E.A , tome .9,N.4 , 1907 ,
www.persée.fr

** نبتون : هو اله البحار و الجزر و الأنهار و الزلازل عند الرومان وكذلك حامي الفرسان و يسمى عند الإغريق بوسيدون ، المزيد من المعلومات أنظر :

MARIE BERTHELIER , les Dieux Romains , Latin 5^e langue et culture , 2010, pp.118-119, www.membre.multimedia.fr

*** جوبيتر : عند الرومان هو اله الأرض و السماء و كل الكائنات الحية و سيد الآلهة الأخرى ، وعند الإغريق يسمى زيوس ، المزيد من المعلومات أنظر :

PIERRE BERNET , les Dieux Romains , Latin 5^e en séquence , Avril 2006 , p.22 ,
www.membre.multimedia.fr

¹¹⁰ فرونطو ، المصدر السابق ، ترجمة. حسينة قادري

و الثاني فلسفي ، فكلاهما لم يأخذ في الحسبان البلاغة و لم تكن لهما رغبة في اكتساب مكانة بين البلغاء و خطباء عصرهما ، و ينظران إليهما بأنها عمل شاق ، فلماذا قال فرونطو أنها ليست بالصاعقة إذا لم يتبعها رعد¹¹¹ ، أي ليست بالعمل الشاق إذا لم يتبعها تهاون و لا مبالاة ، بل إنها قوة لها سلطة في توجيه الرأي الخاص و العام و تحويله من اتجاه إلى آخر ، و أنها سلطة عليا تسمو إلى العلى و تعهد إلى كبير الآلهة جوبيتر الذي يحمي الأصوات الموهوبة ذات السمات الإلهية أي يحمي الخطباء البلغاء ويخصص لهم مكانة مقدسة في عالم الآلهة . بينما الخطباء ناقصو الفصاحة وكثيرو الركافة فقد يبعدهم عن هؤلاء العليين ، لأن أصواتهم تشبه صوت الرياح القوية والدمار الذي تسببه الغيوم حين سقوط الأمطار بغزارة مسببة فيضانات مدمرة¹¹² . ثم يواصل فرونطو كلامه و يقول :

"Igitur si uerum imperatorem geniris humani quaeritis , eloquentia uestra imperat , eloquentia mentibus dominatur . Ea mentum incutit , amorem conciliat , industriam excitat inpudentiam extinguit , uirtutem cohartatur , uitia confultat , mulcet , docet , consolatur¹¹³ " .

" إذا بحثت عن السيد في عالم البشر ، ستجد البلاغة هي الحاكمة ، إنها تحكم عقل الإنسان . لها قدرة : إثارة الخوف ، خلق الحب ، الحماس ، إطفاء الفتن ، تشجيع الفضيلة ، هدم الرذائل و تعمل على التثقيف و تنتشر الاطمئنان¹¹⁴ " .

يفهم من هذا القول أن البلاغة دوران : دور ايجابي و الثاني سلبي ، فالدور الايجابي يظهر في إطفاء الفتن و نشر المحبة بين المواطنين و العمل على استقرار

¹¹¹ FRONTON , loc.cit

¹¹² Ibid.

¹¹³ Ibid , lettre II,9

¹¹⁴ Ibid.

الأوضاع ، و بعث الاطمئنان في النفوس وذلك من خلال إلقاء الخطب المؤثرة ببلاغة قوية ، أما الدور السلبي يتمثل في توجيه الرأي العام إلى عيوب الحكام و إثارة غضبهم بهدف زعزعة الاستقرار و تحقيق أهداف سياسية معينة و بالتالي تتدلع الثورات و الحروب .

إن البلاغة من وجهة نظر فرونطو ، سيدة البشر و حاکمة عقولهم و هي كما يقال سلاح ذو حدين ايجابي و سلبي¹¹⁵.

وفي إطار محاولات هذا البليغ إثارة ماركوس أوريليوس وإعادة جذبه إلى دروسه و الاهتمام بها ، كتب له رسالة وضح فيها الواجب الذي عليه القيام به ، و أن الإمبراطورية الرومانية بحاجة إلى أباطرة أكفاء الذين يتقنون اللغة اللاتينية و يحسنون إلقاء الخطب ، و أن علم البلاغة لازم للرجل السياسي و لا يجوز الاستهزاء به عبثاً .

ونقرأ هذه التوجيهات و النصح في الفقرة الآتية¹¹⁶:

" Postquam Res publica a magistratibus annuis ad Caesarem et mox ad Augustum tralata est , Caesari quidem facultatem dicendi uideo imperatoriam fuisse , Augustum uero saeculi residua elegancia et latinae linguae etiamtum integro lepore potius quam dicendi ubertate praeditum puto , post Augustum nonnihl reliquiarum iam et uietarum et tabecentium Tiberio illi superfuisse , imperatores autem deinceps ad Vespasianum usque eiusmodi omnes , ut non minus uerborum puderet quam pigeret morum et miseret facinorum¹¹⁷ " .

¹¹⁵ FRONTON , op.cit

¹¹⁶ Ibid.

¹¹⁷ Ibid, 10

" بعد كل ما قدمته الدولة من قضاة سنويين على يد قيصر* (César) ثم أغسطس** (Auguste) ، لاحظت أن قيصر صحيح له أسلوب بسيط لكنه يستحق أن يكون إمبراطورا ، أما الأباطرة اللاحقون دون استثناء إلى غاية فسباسيان*** (Vespasien) فإنهم صدمونا بركاكة عباراتهم و عادات تناقضاتهم حتى جعلونا نشفق عليهم¹¹⁸ " .

يواصل فرونطو كلامه و يقول :

« Quod quis dicat non enim didicerant , cur ergo imperabant ? aut imperarent gestu , censeo , ut histriones , aut nutu ut muti , aut per interpretem ut barbari . Quis eorum oratione sua populum aut senatum adfari , quis edictum , quis epistulam suismet uerbis componere potuit ? quasi phrenitis morbus quibus implicitus est , aliena eloquentes imperitabant , ut tibiae sine ore alieno mutae erant¹¹⁹ " .

" يقال عليهم أنهم لم يتعلموا شيئا ، و لماذا يحكمون إذن ؟ أظن من أجل أن يحكموا بالحركات كالممثلين أو بإشارات الرأس كالبحم أو عن طريق المترجم كالأجانب . من فيهم يستطيع تأليف خطاب بنفسه و إلقاءه في مجلس الشيوخ ؟ من فيهم يستطيع كتابة و إنشاء مرسوما ؟ من فيهم له كفاءة تحرير رسالة بأتم المعنى ؟ كأنهم أصيبوا بهذيان

* قيصر : رجل سياسي و عسكري عاش ما بين 101 و 44 قبل الميلاد في روما حيث مات فيها ، و هو أحد أعضاء الحكومة الثلاثية المتشكلة من : بومبي (Pompée) و كراسوس (Grassus) و قيصر (César) . كان يوليوس قيصر منذ صغره محبا للعلم حيث درس في اليونان الكثير من العلوم و تربي في عائلة معادية لحكم الأقلية الذي كانت تشكله مجموعة من النبلاء في مجلس الشيوخ . في الوقت الذي كان يقود حملات توسعية على بلاد الغال تم تعيين بومبي قنصلا دونه . بعد موت كراسوس و ذلك في سنة 52 قبل الميلاد و نتج عن ذلك نشوب الحرب الأهلية . بعد عودة قيصر إلى روما واجتاز نهر روبكون وبعده هزم خصومه ، انتهت حياته بقتله على يد أقرب الناس إليه حيث طعنوه في شهر مارس سنة 44 قبل الميلاد . المزيد من المعلومات أنظر :

HONORE DE BALZAC , Histoire de la grandeur et de la décadence de César , www.bibebook . com ; SEUTONE , vies des douze César – vie de Jules César, VI, trad.et commentaire. JEAN MARIE HANNICK et JACQUES POU CET , Lovain, 2006

** أوغسطس : اسمه كايوس أكتافيوس (Caius Octavius) ولد في روما سنة 63 قبل الميلاد وتوفي في 19 أوت 14 قبل الميلاد . أول إمبراطور في التاريخ الروماني ، ينحدر من أسرة غنية من الطبقة العامة و أصبح ابنا ليوليوس قيصر بالتبني ، المزيد من المعلومات أنظر : SEUTONE , vie d'Auguste , trad. J.POU CET , Louvain ,2001,VIII

*** فسباسيان : إمبراطور روماني حكم ما بين 69 و 79 م ، ينحدر من عائلة تنتهي إلى الطبقة العامة . قاد في سنة 43 م حملة على بريطانيا في عهد الإمبراطور كلوديوس (Claudius) ، بعد عودته إلى روما شغل منصب القنصلية سنة 51 م في عهد الإمبراطور نيرو (Neron) ، وبعد أن كلفه هذا الأخير بمهمة إخماد ثورة اليهود التي اندلعت في القدس بفلسطين ، حقق فيها انتصارا كبيرا ، و تولى الحكم بعد مقتل نيرو ، المزيد من المعلومات أنظر : Ibid , vie de Titus , IV ; universalise.ed

¹¹⁸ FRONTON , loc.cit

¹¹⁹ Ibid, 11

عقلي ، مضطربين ، يتكلمون بلسان الآخرين كالمزامير التي بدون فم غيرها تصبح
بقيمة¹²⁰ " .

الأباطرة الرومان و الذين جاؤا بعد أغسطس ، و الذين تحدث عنهم فرونطو
هم : تيبيريوس* (Tiberius) ، كاليقولا ** (Caligula) ، نيرو*** (Neron) ،
قالبا (Galba) ، أوتون (Othon) فتيلوس (Vetellius) ، وصفهم ذلك الخطيب
بالبكم و المرضى و المضطربين عقليا لأنهم حسب قوله غير متمكنين لا في لغتهم
اللاتينية ولا في تحرير رسائلهم الرسمية و لا كفاءة تأليف مرسوم ما¹²¹ ، و هي
من الأمور الأساسية التي يجب على الرجل السياسي تعلمها قبل الصعود إلى منصب
الإمبراطور. يذكر فرونطو أن هؤلاء الأباطرة استلموا الحكم بدون جدارة و استحقاق ،
و أن حكمهم كان شكليا لافتقادهم لكفاءات شخصية¹²² .

و بعد هذا الانتقاد ، أثنى على قيصر حيث قال رغم أن له أسلوب بسيط إلا
أنه يستحق منصب الإمبراطور¹²³ . وقوف فرونطو إلى جانب قيصر ربما لكونه
من المدافعين عن الطبقة العامة وكان من قبل على رأس حزب الشعب¹²⁴ ، حيث

¹²⁰ FRONTON , loc.cit

* تيبيريوس: إمبراطور روماني عاش ما بين 42 قبل الميلاد و 37 ميلادي ، ينتمي إلى عائلة جوليو كلوديوس (Julio Claudienne) وهو ابن أوغسطس بالتبني . ميوله إلى الجندية و فنون القتال جعلته رجلا قاسيا غير محبوب لدى الشعب الروماني ، المزيد من المعلومات أنظر : Sueton , la vie de Tibère , XIII

** كاليقولا : إمبراطور روماني ثالث بعد أغسطس و تيبيريوس ، عاش ما بين 12 م و 41 م . كان يتميز بالقساوة و الجنون و الاستبداد في حكمه حيث قتل الكثير من الشخصيات بما فيهم الأثرياء و قيل أنه حسدا منه ، المزيد من المعلومات أنظر :

DION Cassius , Histoire Romaine , livre XXX –VIII, trad.E.GROS ; Tacite , annales , livre onzieme , trad.J.L. BERNOUF , Paris,1865, II ;Sueton , vie de Caligula , LIVRE XI ,2

*** نيرو : إمبراطور روماني حكم ما بين 41 م و 68 م . كان يتميز بالاضطراب النفسي و العقلي حيث قتل والدته سنة 59 م ، و هو خامس و آخر أباطرة أسرة جوليو كلوديوس ، المزيد من المعلومات أنظر :

Suetone , vie de douze césars , VI ; , livre XIII , 1

¹²¹ FRONTON , loc.cit

¹²² Ibid.

¹²³ Ibid.

¹²⁴ HONORE DE BALZAC , loc.cit

كان عادة يقف في وجه الأرسقراطيين في مجلس الشيوخ¹²⁵ . و أما فرونطو كان يتهم عليهم بطريقة غير مباشرة باستعمال المجاز و المعاني ، ويوجه تلامذته الأمراء إلى زعزعة حكم النبلاء الطغاة و السعي وراء خدمة الصالح العام . لم يتوقف فرونطو على تنبيه ماركوس أوريليوس إلى ضرورة تعلم البلاغة حيث بين له أن السلطة ليس بمعنى الحكم فقط وإنما هي أيضا الكلام الموزون الفصيح المؤثر و كتب له هذا النص :

" Imperium autem non potestatis tantummodo uocabulum ,sed etiam orationis est . quippe uis imperandi iubendo uetandoque exercetur : nisi bene facta laudet , nisi perperam gesta reprehendat , nisi hortetur ad uirtutem , nisi auitis deterreat , nomen deserat et imperator frustra appelletur "¹²⁶.

" إن القيادة مصطلح لا يطلق فقط على الحكم، و إنما أيضا على الكلام الموزون ، لأن قوة القيادة تكمن في العبارات الموزونة عند الدفاع عن قضية ما . إذ كان الإمبراطور لا يثمن الأعمال الصالحة و لا يوبخ الأفعال السيئة و لا يغير الرذائل و لا يحث على الفضيلة ، فقد أهمل اسمه و حمل لقب الإمبراطور عن خطأ¹²⁷ " . احتلت البلاغة في فكر فرونطو مكانة سامية حيث كثيرا ما يشير إليها في جل مراسلاته ، و في هذه الفقرة ذكرها باسم " الكلام الموزون " بمعنى البلاغة . وأكد في هذه الفقرة أنها السلطة الفعلية في الحكم ، ويعلل على ذلك أن الحاكم إذا انعدم عنده الأسلوب البليغ و لم يعرف كيف يدافع عن سياسته وكيف يكشف عن الأخطاء في إمبراطوريته ويوبخ المخطئين و يحث على ممارسة الفضائل بالخطب المؤثرة ، فلا ينبغي تسميته بالإمبراطور¹²⁸ . فهذا الأخير في نظره ، قبل الوصول إلى مثل هذا

¹²⁵ FRONTON , loc.cit

¹²⁶ Ibid,12

¹²⁷ Ibid

¹²⁸ Ibid.

المنصب ، يستوجب عليه تعلم أولا اللغة و أساليبها و التمكن في تقنيات توظيف البلاغة و أنواع علومها من بيان و معاني و بديع ، لأن هذا الفن هو مصدر و أساس كل العلوم ¹²⁹ حيث تبنى عليه كل الدراسات بما فيها العسكرية و الفلسفية و أكد على ذلك قائلا :

" Sed caput atque fons bonarum artium et studiom ab eloquentiae disciplinis oritur , neque Res militaris neque officii obseruantia , quam philosophiam uocant , perfecta sit. Utri earum artium defuerit eloquentia ¹³⁰ " .

" تبرز قمة و أساس الفنون و كل الدراسات المثمرة بتعلم البلاغة . لا التكوين العسكري ولا احترام الواجب المسمى بالفلسفة ينشآن بالكمال إذا لم يقترنا بالبلاغة . في هاذين الفنين (العسكري و الفلسفة) ، أيهما في غنى عن البلاغة ؟ " ¹³¹

وجه فرونطو هذا الكلام لكل من ماركوس أوريليوس و أخيه لوكيوس فيروس عندما لاحظ فيهما إهمالا كبيرا تجاه البلاغة ، و أدرك أن كلاهما له توجه خاص فالأول فلسفي يتحدث عن مبدأ الأخلاق و احترام الواجب ، و الثاني عسكري يهتم بفنون القتال والتدريبات العسكرية المختلفة . نبه هذا المعلم تلامذته الأمراء على أن ركيزة التربية العسكرية هي البلاغة ، و ذكر لهما أن قيادة الجيوش و التحكم فيها يتوقف على قوة بلاغة القائد الخطيب الذي يعرف كيف يثير الحماس لدى جنوده ¹³² ، و أما الفلسفة هي الأخرى متوقفة على مستوى بلاغة الفلاسفة ، الذين هم أيضا ينشرون أفكارهم و مذاهبهم بفضل خطبهم و أسلوبهم المؤثر ¹³³ . بعد الاستدلال و محاولة إقناع ماركوس أوريليوس بأهمية البلاغة و ضرورة تعلمها ،

¹²⁹ FRONTON , loc.cit

¹³⁰ Ibid.

¹³¹ Ibid.

¹³² Ibid.

¹³³ Ibid.

عاتبه على كسله و قلة جديته ونصحه على العودة إلى الاهتمام بدروسه و تصحيح أخطائه عوض التهرب و التوجه إلى فكر آخر و أهم ما كتبه في هذا الصدد نقرؤه في الفقرات التالية :

"Audiui te nonnumquam ita dicentem : utenim cum aliquid pulchrius elocutus sum , placeo mihi ideoque éloquentiam fugio . Quin tu potius illud corrigis ac mederis , ne placeas tibi , non ut id , propter quod places , repudies ? nam ut numc facis , alibi tu medicamenta oblicas , quid tandem ? Si tibi placebis quod iuste iudicaris , iustitiam repudiabis ? Si placebis tibi pio aliquo cultu parentis , pietatem spernabere ? places tibi cum facundus ? Igitur uerbera te ; quid facundiam uerberas ? Tamesti Plato itia diceret itaque te compellaret : O iuuenis , periculosa est tibi praepropera placendi fuga m : nouissim namque homini sapientiam colenti aniculum est gloiae cupido , id nouissime exuitur . Ipsi , ipsi , inquam , Platoni in nouissimum usque uitae finem gloria amiculum erit ¹³⁴ " .

" سمعت من قبل تقول : عندما أتحدث عن شيء و أسلوبى ناقص ، أشعر بالرضا على نفسي ولهذا السبب أتهرب من البلاغة . لماذا لا تعالج نفسك و تصحح أخطاءك بدل من هذا الرضا و رفض البلاغة ؟ لأن مثل هذا التصرف يجعلك تمارس المعالجة في مكان غير مناسب. ماذا أقول إذا كنت راضيا و تحكم على فعلك بالحق؟ في هذه الحالة لا يمكن إذن رفض العدالة ! لكن إذا أنت راضي على نفسك و فيك وزع تجاه والدك ، هل سترفض طاعة الوالدين ؟ و هل سترضى على نفسك إذا أصبحت بليغا ؟ لماذا تسيء إذن إلى البلاغة ؟ في مثل هذه الظروف يخاطبك أفلاطون و يقول لك : أيها الشاب لماذا هذا الهروب بلا تفكير و لا مسؤولية و أنت راضي على ذلك ؟ إن في ذلك خطورة على نفسك ، لأن الرغبة في المجد هي آخر حلي يفكر فيها الرجل المثقف بالحكمة و يتجرد منها كلية . في الواقع أقول ليس فقط آخر حلي للرجل الحكيم بل حتى لأفلاطون نفسه وسيظل آخر حلي طوال حياته" ¹³⁵ .

¹³⁴ FRONTON , De eloquentia, II,9

¹³⁵ Ibid.

لا شك أن لفرونطو بيداغوجية محكمة حيث طبق خلال هذه الفقرة طريقة تربية ناجعة ، استهدفت إثارة مشاعر ماركوس أوريليوس حيث أشار إلى واجبه تجاه والده الذي سخر له كل الإمكانيات لتعليمه و تربيته تربية صالحة و تكوينه تكويناً جيداً ، و أن غايته هي رؤية ابنه بالتبني إمبراطوراً بليغاً قادراً على قيادة الإمبراطورية الرومانية . وأمام هذا التذكير بالواجب ، لا يمكن لماركوس أوريليوس المتقي عصيان أوليائه ، فاستغل فرونطو هذا المبدأ و أدخل موضوع البلاغة على أنها من الأهداف الأساسية لوالده أنطونان النبي ، و بهذا جعل قرينة بين طاعة الوالدين و البلاغة . و من جهة أخرى تعامل مع ميوله الفلسفية بحكمة و حنكة حيث صور له موقف الفلاسفة من سلوكه وأخذ أفلاطون نموذجاً لأنه الفيلسوف الذي يعبر عادة عن رأيه عبر شخصيات معينة على شكل حوارات كوميدية هزلية ، و تبني فرونطو أسلوبه للتعبير عن رأيه و موقفه و إيصال رسالته إلى ماركوس أوريليوس عبر شخصية أفلاطون ، حيث قال له أن هذا الأخير يناديك أيها الشاب و يسألك عن سبب تهريك من البلاغة ¹³⁶ ، و زيادة على ذلك تفتخر و تعتز بهذا التصرف كأنه مجد ¹³⁷ الذي هو آخر شيء يفكر فيه الرجل الحكيم .¹³⁸

والرسالة التي أراد فرونطو إيصالها إلى تلميذه أن الفلاسفة الحكماء لا يتهربون من البلاغة بل يسعون دائماً إلى تعلمها باهتمام و إتقان ، و بعبارة أخرى لا مانع من الجمع بين الميول الفلسفية و البلاغة أي لا مانع على مارك أورل أن يكون فيلسوفاً وخطيباً بليغاً في آن واحد . و بعد كل الجهود التي بذلها المعلم فرونطو ، صرح في إحدى رسائله أنه نجح إلى حد بعيد في تحقيق أهدافه حيث لاحظ تحسناً

¹³⁶ FRONTON, loc.cit

¹³⁷ Ibid

¹³⁸ Ibid.

كبيراً لدى ماركوس أوريليوس، و أن هذا الأخير عاد إلى رشده وتعلم البلاغة و أصبح بعد وفاة والده أنطونينوس التقي إمبراطوراً بليغاً كما كان يتمناه ، و اعتبر ذلك مفخرة واعتزازاً بمدرسته و انعكاساً لنجاحها ، نتابع هذا التصريح في نص الرسالة الآتية :

"Uideo te Antonine , principem tam egregium quam sparauī , tam iustum , tam innocentem quam spondi , tam gratum populo Romano et acceptum quam optauī , tam mei amantem quam ego uolui , tam disertum quam ipse uoluisti . Nam ubi primum coepisti rursum uelle , nihil offuit interdum noluisse. Fieri etiam uos cotidie facundiores uideo et exulto quasi adhuc magister . Nam quom omnis uirtutes uestras diligam et amplectar , fateor tamen praecipuum me et proprium gaudium ex eloquentia uestra caper . Itidem ut parentes , cum in uoltu liberum oris orationibus uestris uestigia nostrae sectae animaduerto...enim uerbis exprimere uim gaudi mei nequeo ¹³⁹ " .

"إنني أراك اليوم يا أنطونينوس أميراً رائعاً كما كنت أتمناه ، على حق بلا عيوب كما كان وعدي . تلقيت قبولا من قبل الشعب كما كنت أرغبه ، و أصبحت متعلقاً بي و هذا ما أريده . لقد تحقق ذلك عندما قررت العودة إلى البلاغة ، وإنني أراك أكثر فصاحة يوماً بعد يوم . أنا فخور بك . في الواقع أعتز و أحب فضائلك ، و أعتز بالسعادة الكبيرة التي أشعر بها تجاه بلاغتك و هو نفس الشعور لدى الآباء حين يرون ملامحهم على وجوه أبنائهم . لاحظت في خطبك أثر مدرستي و بصمة لا أستطيع التعبير عنها لشدة سعادتي ¹⁴⁰ " .

في هذا التصريح ، تعبير عن المشاعر حيث شعر فرونطو بالسعادة الكبيرة حين حقق أهدافه و أن العلاقة بينه و بين ماركوس أوريليوس مازالت قائمة على الحب والصدقة، و لم يستطع هذا الأمير الابتعاد عن شيخه المعلم الذي تقدم في السن ، و بقي يناديه " بمعلمي " وهو في منصب الإمبراطور ¹⁴¹ . و في الفقرة الآتية عبر فرونطو مرة أخرى عن مشاعره و قال :

¹³⁹FRONTON, . , AD Antoninum Imperatorem , I,2

¹⁴⁰ Ibid.

¹⁴¹ Ibid.

" Seni huic et , ut tu appellas ,magistro tuo bona salus , bonus annus , bona , fortuna, Res omnis bona : quae tu scribis ea te mihi ab dis dire tibi sollemnissimo natali meo precatum , omnia mihi ista in te tuoque fratre sita sunt , Antonine meo cordi dulcissime ; quos ego postquam cognoui meque ubois transdidi , nihil umquam prae uobis dulcius habui neque habere possum , tamestsi alios annos totidem de integro , quantum uixi , uiuam . Hoc igitur unum coniunctis precibus ad deis precemur , uti uos incoumes et florentes et rei publicae familiaeque uestrae prospere potentes aetatem longam degatis . Nec quicquam est praeterea , quod ego tantopere uel ab deis uel a forte fortuna uel a uobis ipsis impetratum cupiam ut uestro conspectu et adfatu uestrique tam incundis litteris frui quam mihil diutissime liceat , eique ego rei , sei fieri possit , repuerascere " ¹⁴² .

" إن هذا الرجل الذي هو أنا ، و الذي ما زلت تتاديه بمعلمك ، تتمنى له الصحة الجيدة و الثروة الكبيرة و كل ما هو خير ، و تدعو لأجله كل الآلهة في عيد ميلاده الذي يمثل في عينيك أجمل يوم في حياتك. و من جهتي أقول أن أنطونان هو أطيب إنسان إلى قلبي و كذلك أخوك . فمنذ أن تعرفت عليك و كلفت بتعليمك ، لم يعد أي شيء في حياتي أعلى منك . لنطلب معا من الآلهة أن تمدد عمرك و تعيش في صحة و هناء و تقود بيتك و حكومتك بالسعادة . إنني لا أرغب في الثروة و لا في أي شيء آخر إلا أن تجعلني الآلهة أستمتع بوجودك و حديثك و قراءة رسائلك الرائعة التي تمكنت بعد زمن طويل من كتابتها كتابة جيدة . ليت الطفولة تعود وأحيى معك من جديد إذا كان ذلك ممكنا ¹⁴³ " .

نلتمس في هذه الرسالة قوة العلاقة بين فرونطو و ماركوس أوريليوس حيث تجاوزت علاقة المعلم بتلميذه إلى الإحساس بالحب و الصداقة و تعلق كلاهما بالآخر

¹⁴² FRONTON , loc.cit

¹⁴³ Ibid.

ما يدل على صدق المشاعر التي طالما عبرا عنها في مراسلاتهما وأكد عليها ماركوس أوريليوس .

الخلاصة

أهم ما يمكن استنتاجه في نهاية هذا الفصل أن اتجاه ماركوس أوريليوس بدأ واضحا من خلال تأملاته حيث اتبع الفكر الرواقي وابتعد عن دروس البلاغة وصرح بميوله الفلسفية. تأثره بالفلسفة الرواقية جعلته يتخذها مذهبا له ، و نظر إلى الإنسان و العالم نظرة الفيلسوف الرواقي المتصوف الذي اعتبر العقل هو القانون الأخلاقي الحاكم في كل شيء ، و الشر من الأفعال غير الإرادية في الإنسان لا ينبغي أخذها بالحسبان بل يجب تجاوزها . أمام هذا الوضع ، تعامل المعلم فرونطو مع تلميذه معاملة بيداغوجية تربوية حيث عبر عن موقفه عبر شخصية أفلاطون على أنه عاتبه و لامه على تهريه من تعلم البلاغة واستنكر نفوره منها ، وأن هذا السلوك يتنافى مع مبادئ الفيلسوف الحكيم الذي يتميز حديثه بالفصاحة والحجج البليغة الدامغة القوية التأثير في نفوس المستمعين . كما هز فرونطو أيضا مشاعر ماركوس أوريليوس حين نبهه بواجبه تجاه والده ، و قال أن هذا الأخير ينتظر منه بلوغ مكانة الخطباء البلغاء . الهدف من هذه البيداغوجية إثارة انتباه ماركوس أوريليوس نحو البلاغة ، و كانت النتيجة ايجابية حيث تحقق ما كان يريده فرونطو تحقيقه ونجح في تكوين الإمبراطور البليغ المتمكن في تحرير الرسائل بنفسه و إلقاء الخطب بمستوى يليق بمنصب الحاكم .

الفصل الخامس

أبعاد فكر فرونطو و ماركوس أوريليوس

أولا : البعد السياسي الإصلاحي في فكر فرونطو

ثانيا : البعد العقائدي في فكر ماركوس أوريليوس

أولا : البعد السياسي الإصلاحي في فكر فرونطو

1 - عوامل توجه فرونطو نحو الفكر السياسي الإصلاحي

1 - الأوضاع العامة لسكان المغرب القديم في ظل سياسة الرومنة :

تأثر فرونطو كثيرا بالأوضاع السيئة التي عاش فيها عموم الشعب في بلاد المغرب القديم بعد خضوعها للسيطرة الرومانية . كما أدرك نوايا الرومان في احتلال بلاده الذين جعلوها أرضا للاستغلال¹ ، وكان يصف هؤلاء بالانتهازيين و الطغاة و عديمي الرحمة في القلوب² ، لأنهم دعاة للتوسع و النفوذ إذ رسموا لروما سياسة تهدف إلى مصادرة الأراضي و انتزاعها عنوة من أصحابها الشرعيين³ . لقد جعل اطلاق فرونطو الواسع على كتب المؤرخين و الأدباء القدامى قادرا على فهم أهداف روما و سياستها حيث كانت كلما استولت على أرض تقوم بمسحها و تقسيمها إلى وحدات ثم توزيعها على الايطاليين⁴ . لقد كان مساحو الأرض يسيرون رفقة جنود الاحتلال الذين كلفوا بمهمة انتزاع الأرض من أصحابها بحد السيف⁵ . وتمثلت المهمة الأولية للمساحين في إصباغ الطابع القانوني على الأرض المحتلة بواسطة تجزئتها قطعا متساوية كي يسهل توزيعها على المزارعين أو تأجيرها⁶ . وكان المستفيدون الأوائل من هذه العملية هم الجنود المتقاعدون ، الذين كان الإمبراطور يقطعهم أراضي التخوم ذات الموقع الاستراتيجي طبقا للضرورة العسكرية⁷ .

اعتبر القانون الروماني أرض البلاد المحتلة ملكية عمومية للشعب الروماني، و على هذا الأساس سميت الأرض الإفريقية بعبارة أركيفينالس (Arcifinales)⁸ لأنها أخذوها

¹ محمد العربي عقون ، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر ، 2008 ، ص.80

² MARC AURELE , pensées , XI

³ محمد البشير شنياتي ، نوميديا و روما الإمبراطورية ، الطبعة الأولى ، كنوز الحكمة ، الجزائر ، 2012 ، ص.69

⁴ شافية شارن ، بلقاسم رحماني ، محمد الحبيب بشاري ، المرجع السابق ، ص.62

⁵ محمد البشير شنياتي ، المرجع السابق ، ص.68

⁶ نفسه.

⁷ نفسه.

⁸ محمد العربي عقون ، المرجع السابق ، ص.80

من أهلها الذين هجروا منها بالقوة . وبهذا اغتصب المستعمر الروماني جميع الأراضي الخصبة وكذلك الأراضي الرعوية و الغابات ليقيم فيها أشكالاً من المستثمرات الفلاحية الكبرى .

الجدير بالذكر أن استيلاء روما على بلاد المغرب كان يعتمد على سياسة المراحل، بحيث سيطرت على قرطاجة سنة 146 ق.م ، وفي القرن الأول قبل الميلاد على ليبيا وفي عام 46 ق.م على نوميديا وفي سنة 40 م على موريطانيا⁹ . وبمقتضى حق الاحتلال تحولت أراضي المقاطعات الرومانية إلى أراضي عامة تملكها الدولة و تتصرف فيها كما تشاء¹⁰ ، وتبعاً لذلك كانت الأراضي في القرن الثاني الميلادي مقسمة على النحو الآتي :

- أراضي تملكها الدولة الرومانية .
- أراضي يملكها الأباطرة ، و كانت تشمل في معظمها أراضي الضياع والمراعي الواسعة و المناجم .

- أراضي تملكها العناصر المرموقة في المجتمع الروماني كالنبلاء و الأشراف و أعضاء مجلس الشيوخ و القادة البارزين كالفرسان .
- أراضي يملكها مواطنون رومان أو أتباع .

يهدف تنظيم الأرض بهذا الشكل إلى امتصاص و استغلال ثروات البلاد الفلاحية ، ولهذا كان التهاافت على الأرض الزراعية شديداً من قبل المستثمرين الرومان ، و لقد بلغ جموع الرومان و الايطاليين في الولاية الإفريقية عام 46 ق.م حوالي اثني عشر ألف شخص¹¹ . و كلهم يشرفون على استغلال الأرض و جمع محاصيلها وتنظيم عملية شحنها و تصديرها نحو أسواق روما. وكان التسابق على حيازة المساحات الزراعية في نوميديا في نمو متواصل في بداية عهد الإمبراطورية التي أدى بها الأمر إلى توسيع حدودها نحو الجنوب و ضم القبائل النوميديية في شرقي الأوراس¹² .

⁹ شافية شارن ، بلقاسم رحمانى ، محمد الحبيب بشاري ، المرجع السابق .

¹⁰ نفسه.

¹¹ محمد البشير شنييتي ، المرجع السابق ، ص.67.

¹² نفسه.

وبهذا تشكلت مستثمرات كبرى في الأراضي المملوكة للأرستقراطية الرومانية التي كان أفرادها يقيمون فيها ، و بعضهم ظل مقيما بروما و أسندوا مهمة الإشراف عليها إلى مسيرين لهم حرية التصرف و تشغيل عدد هام من الأجراء والعبيد¹³ . و قد تكون هذه المستثمرات على شكل جهاز إنتاج ترابي في أعلاه المالك ثم المسير ثم الوكلاء و الرتبة الأخيرة للمستأجرين و العمال الذين يقيمون بالمزرعة و يتحصلون على امتياز استغلال مساحة منها بموجب عقد مبرم مع مالك الأرض أو وكيله ثم يقومون هم بدورهم بتأجير ذلك الامتياز لمزارعين آخرين ، وبذلك يكون القانون الروماني قد أقام نظاما عبوديا هرميا في أسفله الطبقة المسحوقة التي لا تملك سوى قوتها العضلية¹⁴ .

كانت الصفة القانونية لأراضي المقاطعات الرومانية تتمثل في كونها ملكا للشعب الروماني ، و يحدد القانون هذه الأراضي بأنها أراضي الأعداء المهزومين ، وبهذا الوصف تدخل أراضي بلاد المغرب ضمن أملاك الدولة مع استثناءات قليلة كأراضي المدن الحرة (civitas libiras) التي حالفت الرومان في حربهم ضد الدولة القرطاجية¹⁵ . كانت ملكية الدولة لأراضي الولايات أساسا قانونيا لإخضاع هذه الأرض للضريبة العقارية وإلزام ملاكها أو المستفيدين منها بخدمات مدنية و عسكرية لصالح الدولة . ويعتبر هذا الإخضاع تجسيدا لممارسة الشعب الروماني حقه في السيادة على البلاد المحتلة¹⁶ . و بهذا المفهوم أصبحت أرض بلاد المغرب ملكا للشعب الروماني المنتصر و هذا ما يفسر تلك المطاردة المتواصلة للنوميديين و الموريين من فلاحين و رعاة على يد جيش الاحتلال الروماني¹⁷ .

إذا كانت هذه حال القبائل المزارعة من النوميديين الأهالي فان حال القبائل الممتهنة للرعي كانت أسوأ من سابقتها ، حيث كانت طبيعة نمط عيشها يحتم عليها التحرك بين الأقاليم السهبية و الزراعية بحثا عن الكأ و الماء ، و كانت حركتها تضايق

¹³ محمد العربي عقون ، المرجع السابق ، ص.82

¹⁴ نفسه.

¹⁵ محمد البشير شنييتي ، المرجع السابق ، ص.88

¹⁶ نفسه.

¹⁷ نفسه ، ص.89

المؤسسات الاستعمارية الرومانية عملت على الحد من حريتها في التنقل و ذلك بإقامة حدود بينها و بين الأراضي الزراعية التابعة للرومان أو بترحيل البدو نحو الجنوب بالقوة¹⁸ . فإذا كانت قد اعتمدت روما على سياسة المراحل كما أشارنا إلى ذلك من قبل ، فان أوضاع سكان الولايات المحتلة تدهورت شيئاً فشيئاً¹⁹ ، وقد عاش فرونطو هذه المرحلة وشاهد بناء مستعمرات في وطنه مثل مستعمرة ثموقادي (Thamugadi) و إقامة حاميات عسكرية بينها و بين خنشلة ، و ذلك في عهد تراجانوس (98- 117 م)²⁰ أي في مرحلة شباب فرونطو أين كان يلاحظ و يتتبع سياسة روما في اغتصاب و استغلال أرض بلاده . وتعود تلك الإجراءات التي اتخذتها روما إلى عدة أسباب منها العسكرية و الاقتصادية و السياسية ، فبالنسبة للأسباب الاقتصادية تظهر في سعي روما في الاستيلاء على أراضي ثموقادي الخصبة و إقامة عدد من المزارع فيها²¹ ، أما الأسباب العسكرية فتتمثل في أن ثموقادي تتمتع بموقع استراتيجي إذ عن طريقها يتم التحكم في الممرات المؤدية إلى شمال جبال الأوراس و جنوباً إلى وادي العبد و وادي الأبيض . ولربط مستعمرة ثموقادي بالمراكز الرومانية الأخرى المنتشرة في المنطقة ، أنشأ تراجانوس طريقاً يربطها بمدينة فريانة (Telepte) التي تقع جنوب شرقي تبسة وتمر عبر لمباز و خنشلة ، ولحماية تلك المنشآت أقام هذا الإمبراطور طريقاً يمتد من مدينة شببكة (Ad Pecuniam) جنوب تبسة إلى بسرياني (Ad MajoreS) مروراً بتادرت (Ad Medias) من الجهة الغربية لبسرياني و نغرين (Nigrenses)²² . و أما على المستوى السياسي فان الرومان أعطوا وضع البلدية (Municipium) لعدة مدن مثل مدينة خميسة و قلعة بوعتقان (Diana Veteranorum) التي تقع غرب لمباز . و كان التمتع بوضع البلدية ينطوي على التمتع بالحقوق اللاتينية مع حضور حكام هذه

¹⁸ محمد البشير شنيئي ، المرجع السابق ، ص.70

¹⁹ CATHERINE SALLES ,Lire à Rome , petite bibliothèque Payot ,1992,Paris ,p.18

²⁰ محمد العربي عقون ، المرجع السابق ، ص.132

²¹ شافية شارن ، بلقاسم رحمانى ، محمد الحبيب بشاري ، المرجع السابق ، ص.82

²² نفسه.

المدن مجالسها تلقائيا²³ . و عندما أراد تراجانوس توسيع رقعة الاحتلال اصطدم بعقبة الملكية القبلية²⁴ ، فقام بترحيل الأهالي من أراضيهم إلى مناطق نائية . و هكذا أصبحت الأرض الإفريقية عنصرا مهما من عناصر الاستثمارات التي نشطت على يد طبقة الاثرياء الكبار²⁵ ، و قد استغلت هذه الطبقة الظروف السياسية و الوضعية الخاصة التي كانت تعيشها الولايات و نقص التشريعات التي تنظم طرق الاستفادة من الأراضي المفتوحة ، لذلك اندفع أفرادها متسابقين لاحتياز أكبر المساحات الخصبة ذات الإنتاج الوفير²⁶ ، و جعلوا من ضيعاتهم الفسيحة التي أنشؤوها على أنقاض مزارع الأهالي مؤسسات إنتاج للغلال ، وبهذا قل شأن الأراضي التي سلمتها الدولة إلى المزارعين الصغار من الرومان المدنيين و الجنود المتقاعدين قصد تجميعهم في مستعمرات لخدمة أهداف الرومنة²⁷ . كما أن الأراضي التي ظلت بحوزة الفلاحين الأهالي لم تتج هي الأخرى من أذى هذه الحركة الاستغلالية الطبع . إذا كانت أراضي هؤلاء الفلاحين الخاضعين تشكل وحدات إنتاجية محلية تتوسط قرى أو مدن ، فقد توسعت عليها الأملاك الكبرى بصفة تدريجية و أضحت تلك القرى و المدن ضمن أراضي الضيعات الشاسعة (Saltus)²⁸ . إذا كان الأساس القانوني لهذه الأملاك الواسعة نابعا من حاجة السلطة المركزية إلى من ينوب عنها في استثمار أراضي البلاد المفتوحة ، فقد ترتب عن مثل هذا النوع من الحيازة توزيعا جغرافيا خاصا بالمساحات أو الأراضي الواسعة ، " لاتيفونديا " (Latifundia) للعائلات الارستقراطية²⁹ .

و هذا التوزيع الجغرافي يتطابق مع تقاسم السلطة الإدارية على المقاطعات

²³ شافية شارن ، بلقاسم رحمانى ، محمد الحبيب بشاري ، المرجع السابق.

²⁴ أندري جوليان ، تعريب محمد مزالي البشير بن سلامة ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، دار التونسية للنشر ، 1985 ، ص.217

²⁵ محمد البشير شنيبي ، المرجع السابق ، ص.91

²⁶ نفسه.

²⁷ نفسه.

²⁸ نفسه.

²⁹ نفسه.

الرومانية في بلاد المغرب بين مجلس الشيوخ و الإمبراطور ، علما أنه قد تم تحديد المقاطعات السيناتوروية و المناطق الإمبراطورية ابتداء من عهد الإمبراطور أغسطس ، حيث كانت الولاية الأفريقية القديمة (Africa Vitis) من نصيب مجلس الشيوخ ، بينما أدخلت بقية بلاد المغرب الخاضعة للرومان تحت سلطة الإمبراطور . و هذا الشكل من التقسيم حتمته ظروف عسكرية لأن أراضي المقاطعات السيناتوروية كانت مهياة أكثر من المقاطعات الإمبراطورية للاستغلال المباشر على يد مؤسسات مدنية مما أفسح المجال أمام أثرياء مجلس الشيوخ ومن ماثلهم من ارستقراطية روما لوضع أيديهم على هذه الأراضي عملا بقانون الحيازة ، في حين كان للإمبراطور مطلق الحرية في التصرف في أراضي المقاطعة العسكرية (الإمبراطورية) ، و من ثم كون لنفسه ضيعات مماثلة للاتيفونديا الأرستقراطيين³⁰ .

بعد عملية مسح و تقسيم أراضي سكان المغرب ، انتقلت روما إلى رسم خريطة المنطقة المعنية التي تحتوي إلى جانب المخطط أسماء أصحاب الملكيات الخاصة و العامة ، التي تحصل عليها أصحابها من روما أو اشتروها لتمديد قيمة الضرائب التي ستفرض عليها وبالتالي ضبط إدارتها و حسن تسييرها³¹ . و فيما يتعلق بالجباية المستحقة على السكان الأهالي قام الرومان بإخضاع الأرض و الأشخاص لضريبة المهزومين ، و كان مقدار هذه الضريبة متساويا على الرجل و المرأة ، و كانت في بلاد المغرب قائمة على مبدأ سياسي يتمثل في الوضعية المترتبة عن انتصار روما عسكريا في هذه البلاد و اعتبار الأرض و البشر في تعداد الغنائم لفائدة لشعب الروماني المنتصر³² ، وهكذا كانت الأرض في نظر القانون ملكا عموميا له و أهلها مهزومين عليهم دفع الضريبة³³ .

³⁰ محمد البشير شنييتي ، المرجع السابق ، ص.92

³¹ شافية شارن ، بلقاسم رحمانى ، محمد الحبيب بشاري ، المرجع السابق ، ص.103

³² محمد البشير شنييتي ، المرجع السابق ، ص.165

³³ نفسه.

و ترتب عن طبيعة هذه الجباية في بلاد المغرب القديم مركزية الانتفاع بعائداتها أي أن الضرائب كان يجب أن ترسل إلى روما دون تمييز بينها و بين حصص إنتاج الأرض و بقية العائدات الاقتصادية المستحقة في هذه البلاد . و بهذا المفهوم لم تكن تمثل مدن الولايات الرومانية سوى مؤسسات استحصال لهذه الإيرادات و إيصالها إلى خزينة الدولة في روما . أسندت الدولة في بداية الأمر مهمة الإشراف على عمليات الجباية إلى حاكم المقاطعة الإفريقية ، و لكن ما لبثت أن بسط عليها الأرستقراطيون نفوذهم و تولوا جمع إيرادات الدولة من مختلف القطاعات الإنتاجية .³⁴ والملفت للانتباه هو أنه إلى جانب ذلك أصبحت روما تعتمد على الإقطاعيين الجدد من الرومان في الولايات لنشر سياسة الرومنة التي تهدف إلى إلغاء و طمس كل مقومات الشعوب المهزومة التي ضمتها إلى حوزتها و إدخال في كيائها الطابع الروماني الذي عوض بنظم رومانية سياسية و اقتصادية و عسكرية و حضارية³⁵ ، و جعل هذه الشعوب تشعر أن مستقبلها مرتبط بروما ارتباطا وثيقا و بالتالي فهي لا ترسخ لها فقط بل تتجاوز ذلك لتصبح تدافع عنها ضد أبناء عشيرتها³⁶ . و لتحقيق روما لأبعادها ، قامت بنقل الحضارة الرومانية إلى المقاطعات المستولى عليها لتنتشر فيها مظاهر الحياة الدينية الجديدة المتمثلة إما في عبادة الآلهة الرومانية أو إدماجها بالآلهة المحلية ، مع الحرص الشديد على تقديس عبادة الإمبراطور³⁷ . لقد تظن فرونطو لهذه السياسة وقال في إحدى مراسلاته لماركوس أوريليوس:

« ... amplior mihi et ornatio uidebar daduchis Eleusine faces gestantibus et regibus scepra tenentibus et quindecimviris Libros adeuntibus , deosque patrios ita comprecatus sum : O Jupiter Hammon , Jupiter de Libye . »³⁸

³⁴ محمد البشير شنييتي ، المرجع السابق ، ص.165

³⁵ شافية شارن ، بلقاسم رحمانى ، محمد الحبيب بشلري ، المرجع السابق ، ص.103

³⁶ نفسه.

³⁷ نفسه.

³⁸ FRONTON ,Lettre .Ad Verum Imperatorem , II,24

" بدا لي بأني أكبر وأشرف من كهنة الفسينا * (Eleusis) الذين يحملون المشاعل ومن الملوك الذين يحملون الصولجان ، ليعود الأبطال الغرياء إلى الكتب . أما أنا أدعو و أصلي للآلهة الوطنية : جوبيتر حمون ، جوبيتر ليبييا ."³⁹

في ظل سياسة الرومنة التي استهدفت الأرض و السكان و طمس مقومات بلاد المغرب القديم ، عبر فرونطو في هذه الفقرة عن موقفه وتعلقه بوطنه حيث قال أنه فخور بانتمائه إلى هذه البلاد ، وذهب به هذا الاعتزاز إلى الشعور بأنه أكبر و أشرف من كهنة الفسينا الذين يتميزون بشدة التمسك بثقافتهم وطقوسهم الدينية في بلاد الإغريق⁴⁰ ، رغم خضوعهم للسيطرة الأثينية إلا أنهم لا يزالون يعبدون آلهتهم سرا⁴¹ .

ويذكر فرونطو أيضا أنه أعظم من الملوك القدامى الذين حافظوا على تقاليد حمل الصولجان⁴² الذي كان يمثل رمز السيادة .

يبدو من خلال هذه التصريحات أن فرونطو من اتجاه المحافظين على الأصالة ومن دعاة احترام ثقافة الشعوب حيث طلب من الرومان في تلك الرسالة إلى قراءة المصادر القديمة لمعرفة من هم الغرياء في بلاد المغرب القديم ؟ الذي أشار إليها باسم " ليبييا"⁴³ تعبيرا عن قدم تاريخها وتميزها بالخصائص الحضارية كبقية شعوب الحضارات القديمة ، و أكد من جهته عن موقفه تجاه سياسة روما أنه سيظل متمسكا بعبادة آلهة وطنه و الإله الكبير "حمون" الذي يدعى عند الرومان "جوبيتر" ، لذلك ميز بين الإلهين : اله الرومان و اله المغرب القديم بتحديد الدقيق لاسم " جوبيتر " حيث دقق بقوله : " جوبيتر حمون ، جوبيتر ليبييا"⁴⁴ . إن الشعور الروحي

* الفسينا : مدينة إغريقية تقع على بعد 20 كلم شمال غرب أثينا . اشتهرت بشدة المحافظة على تقاليدها و عبادة آلهتها ، المزيد من المعلومات أنظر :

GEORGES Méantis , les mystères d'Eleusis , article 260,SOPHIA.Free,dimanche 16 novembre 2008 ;
www.Encyclopaedia universalis.

³⁹ FRONTON,loc.cit

⁴⁰ Ibid.

⁴¹ GEORGES Méantis , op.cit

⁴² FRONTON , loc .cit

⁴³ Ibid.

⁴⁴ Ibid

و الانتماء إلى الوطن الليبي جعل فرونطو يتألم لسوء أوضاع هذه المنطقة من جراء سياسة الاحتلال و استغلال أراضيها و خيراتها على حساب مصلحة الأهالي ، لهذا السبب فكر في سبل تغيير الأوضاع للصالح العام في كل المقاطعات الرومانية وتبني سياسة الإصلاح .

ب - القمع العسكري و فشل رمز المقاومة الوطنية : يوغرطة نموذجاً

إذا كان الانتماء الروحي الليبي سكن قلب فرونطو ، فان القمع العسكري الروماني تجاه المقاومة الوطنية زعزعت جوارحه من خلال ما قرأه حول ردود الأفعال في الوطن الأم وبالخصوص مقاومة يوغرطة التي تعتبر في نظره رمز الوطنية و المقاومة ضد الاحتلال . فقد أشار إلى هذا القائد مرتين : المرة الأولى عندما ذكر المواقع التي انهزم فيها الرومان في إطار رفع معنويات لوكيوس فيروس بعد انهزامه في بداية الحرب ضد البارثيين ، حيث لاحظنا في قائمة تعداد أماكن الانهزام أن الاسم الوحيد المذكور لقائد منتصر هو يوغرطة بهذا القول : " يوغرطة في كيرتا " ⁴⁵ ، أما الهزائم الأخرى أشار إلى مواقعها دون تحديد القائد ، إن دل على شيء فإنما يدل على نية القصد منها تعظيم شأن يوغرطة بلقب المنتصر أمام لقب الرومان المنهزمين . أما المرة الثانية حين كان يدرس ويعلم ماركوس أوريليوس البلاغة ، فقد قرب مفهوم الصورة البيانية بضرب المثال على يوغرطة فقال له :

« ... Jugurthae forma egusmodi est : Qui ubi primum adolevit , pollens viribus , decora facie , sed multo maxime ingenio validus, non se luxu. »⁴⁶

" هذه هي صورة يوغرطة : منذ نشأته ، نمت فيه قواه و مواهبه ، و أصبح قويا

و جميل الوجه ، الجدير بالذكر أن قوته نابغة من روحه الطاهرة ."⁴⁷

إذا كان الهدف القريب من هذا المثال هو تعلم كيفية بناء الصور البيانية الجميلة

⁴⁵ FRONTON,lettre à ANTONINUS Empereur , I

⁴⁶ Ibid , ,VI,78

⁴⁷ Ibid.

وتشبيه هذا الجمال بوجه يوغرطة الجميل ، فان المعنى البعيد هو الكشف عن بعض الحقائق التاريخية التي تتعلق بالمقومات الوطنية التي طمستها سياسة الرومنة ، وأن بلاده اغتصبها الرومان بالقوة و الحيل و قمع كل من حاول مواجهتهم حيث استدل بيوغرطة الذي قاوم التدخل الروماني ورفض المساس بسيادة نوميديا ، ولهذا وصفه بالجميل والروح الطاهرة و القوية ⁴⁸ . و هذا الوصف نجده تقريبا نفسه عند سالوست الذي كتب الآتي : " ... يوغرطة ، عندما كبر ، كان يتمتع بجسد قوي و ملامح جميلة و له فوق كل ذلك عقل ثاقب ، و لم يترك نفسه للبذخ و الكسل بل اتبع عادات أجداده ، فكان يمارس الفروسية و يرمي الرمح و يسابق أقرانه في العدو ... كان محبوبا عند الجميع ، و قليلا ما يتحدث عن نفسه " ⁴⁹ .

وصف سالوست ⁵⁰ وبعده فرونتو ⁵¹ ، الملك يوغرطة على أنه كان لامعا بقوته و جماله و شخصيته المتميزة ، و أنه لم يسمح أبدا لنفسه أن يفسدها البذخ ، و كان يمارس كل أنواع الرياضة المعروفة آنذاك في بلاده ، و يسابق أمثاله من الشباب ويفوز عليهم و هو أكثر منهم نشاطا و أقلهم كلاما ، لكنهم يحبونه جميعا ⁵² . أبدى فرونتو إعجابه بالقائد النوميدي "يوغرطة" إذ قال أن قوته نبعت من روحه الطاهرة ⁵³ أي أن حب الوطن و عزة النفس هي من أهم العناصر التي تشكلت منها روحه التي زودته بطاقة كبيرة وحولته إلى شخصية قوية أثارت مخاوف الرومان الذين نعتهم بالأبطال الغرباء ⁵⁴ كناية عن صفة الأجانب في بلاده ، و أما وصف يوغرطة بتلك الصفات فانه يحمل مفهوما سياسيا يهدف إلى إظهار و الكشف عن كل ما حققه هذا القائد من انتصارات عسكرية على أعدائه . ولتحقيق هذا الهدف فقد طلب من تلميذه ماركوس أوريليوس قراءة و تحليل ما ألفه

⁴⁸ FRONTON,loc .cit

⁴⁹ سالوست ، حرب يوغرطة ، ترجمة. محمد المبروك الدويب ، منشورات جامعة بنغازي ، ليبيا ، 6،VII ،
⁵⁰ نفسه.

⁵¹ FRONTON, loc.cit

⁵² سالوست ، المصدر السابق .

⁵³ FRONTON , loc.cit

⁵⁴ Ibid ,lettre AD.Verum Imperatorem II,24

سالوست لاستخراج منه العبارات الجميلة وكل أنواع البيان و في نفس الوقت حدد له بطريقة غير مباشرة عنوان الكتاب حيث أشار إلى يوغرطة كنموذج للجمال وبناء الصورة البيانية الجميلة⁵⁵. و في الواقع كان يهدف إلى توجيه ماركوس أوريليوس لتتبع الأحداث التاريخية التي وقعت في حرب يوغرطة وليتعرّف بنفسه على حقيقة النبلاء الذين لا يعرفون معنى الفضيلة و لا الأخلاق . فالتلميذ مثل مارك أورل الذي يقرأ مثل هذا الكتاب ، ماذا ينتظر منه المعلم ؟ أكيد يتأثر و يبحث عن المزيد من الحقائق . أما فرونطو فهو الأكثر تأثراً بالوقائع وقد اطلع على تفاصيل الأحداث وعرف أن قصة يوغرطة تعود إلى قبيل وفاة عم هذا الأخير مكيبسا* (MICIPSA) الذي حمّله مسؤولية قيادة مملكة نوميديا من خلال هذه الوصية : " و الآن بعد أن قادنتي الطبيعة إلى نهاية حياتي فإنني أرجوك واستحلفك وأنا أقبض على يدك اليمنى، و استحلفك بالإخلاص الذي تملكه نحو هذه المملكة أن تحب هؤلاء (أولاده أذريعل و هيمسال) الذين هم أقاربك . و بفضل كرمي صاروا إخوانك وأن لا تفضل الارتباط بغرباء الناس ... لأنه لا الجيش و لا الأموال يمكنها أن تحمي المملكة ، لكن ما يحميها هم الأصدقاء الذين لا يمكن أن تجمعهم بالأسلحة و لا أن تشتريهم بالأموال ، لكن تكسبهم بالثقة و الإخلاص⁵⁶ ... أما بالنسبة لكما يا أذريعل وهيمسال فيجب أن تحترما هذا الرجل (يوغرطة) و تقدراه و تقنّديا بشجاعته ...⁵⁷ .

أما فيما يخص الأشياء الأخرى ، فانه يجب عليك أنت يا يوغرطة الذي تفوقهم في العمر و العقل أن تهتم بالمملكة بشكل أكبر حتى لا يحدث أي شيء على نحو لم أتوقعه⁵⁸ . كان رد يوغرطة على كلام عمه في بداية الأمر بكل تعقل وتفهم⁵⁹ ، لكن تغيرت وساءت الأحوال بعد وفاة مكيبسا حيث بدأ هيمسال يضايقه فتبين له

⁵⁵ FRONTON, loc.cit

* مكيبسا : ابن الملك ماسينييسا ، حكم من سنة 148 ق.م إلى 118 ق.م ، كان محبا للفنون و الأدب ، المزيد من المعلومات أنظر:

MAHFOUD FERROUKHI ,les rois africains de l'Antiquité,edition. Dalimen,2009,p.41

⁵⁶ سالوست ، المصدر السابق ، الفقرة . X ، 3

⁵⁷ نفسه ، الفقرة . 8

⁵⁸ نفسه ، الفقرة ، 7

⁵⁹ نفسه ، XI ، 11

أن ابن عمه غير راض بمشاركته للحكم ، علما أنه كان من قبل يحتقره بسبب نسب أمه التي كانت محظية⁶⁰ . انتهت المضايقة إلى مقتل هيمسال و إعلان أذريعل الحرب على يوغرطة و الولاء للرومان حيث طلب منهم الحماية و المساعدة⁶¹ مما زاد الأمر تعقيدا ، لأن يوغرطة من طبيعته رفض التدخل الأجنبي في مملكة أجداده ، و كان ذلك سببا في قيام الحرب بين يوغرطة و الرومان ما بين 111 ق.م و 105 ق.م ، لأن هؤلاء ساندوا أذريعل بعد توصله إليهم قائلا : " أيها الآباء أعضاء مجلس الشيوخ إنني استخلفكم بأنفسكم و بأولادكم و بأبائكم و بالشعب الروماني العظيم أن تساعدوني أنا البائس ، و أن تقاوموا الظلم و أن لا تقبلوا أن تضيع مملكة نوميديا التي ستكون مملكتكم " ⁶² .

إن وقوف مجلس شيوخ روما إلى جانب أذريعل ليس حباله بل رغبة في التوسع و امتلاك أراضي جديدة في بلاد المغرب . و هذا الأمر تظن إليه يوغرطة حيث شعر بخطر الرومان و أطماعهم في المنطقة في الوقت الذي فتح لهم أبناء مكيبسا الطريق لتحقيق طموحاتهم و يتضح ذلك في النص الذي قرأه أذريعل أمام مجلس الشيوخ حيث قال فيه : " أيها الآباء أعضاء مجلس الشيوخ ، لقد أوصاني والدي مكيبسا و هو على فراش الموت و أمرني أن أمارس السلطة محليا فقط في نوميديا ، بينما يكون إصدار القوانين و السلطة الفعلية بأيديكم أنتم ، كما أمرني أن أكون مفيدا للشعب الروماني بكل ما أستطيع من قوة سواء في السلم أو الحرب ، و أن أجعلكم أنتم عائلتي و أقاربي ، و أكد لي أنني إذا ما حافظت على ذلك فان صداقتي معكم ستوفر لي جيشا و ثروة و وسائل أخرى لحماية مملكتي⁶³ ... و بينما كنت أنفذ أوامر والدي ، كان يوغرطة الذي هو أسوأ إنسان يعيش على وجه الأرض قد تجاهل سلطنتكم و أطاح بعرشني و نهب كل ثروتي ... " ⁶⁴ .

إذا قارنا هذا النص الذي قرأه أذريعل أمام مجلس الشيوخ الروماني بوصية مكيبسا لابن

⁶⁰ سالوست ، 7 ، 7

⁶¹ نفسه .

⁶² نفسه ، XIV ، 13

⁶³ نفسه ، الفقرة 1.

⁶⁴ نفسه ، الفقرة 2

أخيه يوغرطة ، قد نلاحظ تناقضا كبيرا ، فالوصية السابقة الموجهة ليوغرطة ذكرت أن هذا الأخير استلم مملكة قوية من قبل عمه الذي أوصاه بتجنب الارتباط بالغرباء من الناس⁶⁵ . يفهم من ذلك أن مكيبسا كانت له مملكة قوية تتمتع بالاستقرار و السيادة ولهذا شدد في الوصية على ضرورة المحافظة على هذه المملكة القوية ، وترك المسؤولية ليوغرطة باعتباره الأكبر سنا و شجاعة و قوة ، وأوصى أولاده على وجوب احترامه والافتداء به⁶⁶ ، كما نبههم بعوامل قوة الدول و ضعف الأمم وأن الدولة الصغيرة تصبح كبيرة بالوئام و تفكك أكبر الدول بالخصام⁶⁷ . بينما أذرعيل صرح في روما بكلام يخالف وصية مكيبسا إذ عبر عن نية ولائه للرومان و أن والده أوصاه بالاكتماء بالحكم الذاتي و أما السلطة الفعلية وأصدار القوانين تكون لمجلس الشيوخ الروماني و أن مملكة نوميديا هي مملكتهم⁶⁸ .

من خلال هذه التصريحات يمكن لنا القول أن المواقف التي اتخذها يوغرطة تجاه أبناء عمه كانت بسبب نوايا هؤلاء ، لأن شخصيته المتميزة بالشجاعة وروح الوفاء للوطن لا تسمح له المساومة بالعهد أو أخذ بعين الاعتبار قرابة الدم عندما يتعلق الأمر بالمصلحة الوطنية ، فاعلان الحرب و تصفية هؤلاء حتمية تفرضها الأوضاع . بعد انتصار يوغرطة على أخيه أذرعيل ، تدخلت روما و أعلنت الحرب عليه و هذا ما يؤكد نيتها و أطماعها في المنطقة . لقد انتصر عليها يوغرطة في عدة مواقع وأشار فرونطو إلى هذا الانتصار وانهزام الرومان أمامه في كيرتا⁶⁹ . ركز فرونطو على كيرتا ليرفع من شأنها اعترازا بوطن الأم وقائدها الشجاع الذي دافع عنها ببسالة . فقد فشلت عدة حملات عسكرية ضد يوغرطة نذكر على سبيل

⁶⁵ سالوست ، المصدر السابق ، VI ، 6

⁶⁶ نفسه ، X ، 8

⁶⁷ نفسه ، القرية . 6

⁶⁸ نفسه ، XIV ، 1

⁶⁹ FRONTON , Lettre à M.ANTONINIUS Empereur,lettre I

المثال : حملة بستيا (BESTIA) ، سبوروريوس ألبينوس (SPURIUS ALBINUS) و أولوس ألبينوس (AULUS ALBINUS) . و بعد هذا الفشل عينت روما قائداً آخر أكثر صرامة و انضباطاً من القادة السابقين وهو متيلوس (METILLUS) الذي كلفته بقيادة الجيش في إفريقيا و قام بتنظيمه وإعادة الانضباط إلى صفوفه حين لاحظ فيه ملامح الكسل و الضعف و عدم الانضباط أثناء مواجهة المصاعب و لاحظ أيضاً عدم استعداده للحرب⁷⁰ . كان متيلوس حكيماً يجمع الصرامة و الليونة⁷¹ و قد كان فرونطو يقدمه كقدوة في الانضباط و التنظيم العسكري وفي هذا الصدد قال :

« METELLI exempla Historiis »⁷² .

" متيلوس قدوة في المصادر التاريخية " ⁷³ .

رغم الخبرة و الكفاءة العسكرية التي يتميز بها متيلوس في شؤون الحرب و تنظيم الجيوش ، إلا أن أسلوب يوغرطة القائم على الكر و الفر أرهقه ، و قرر أمام هذا الفشل تدبير مؤامرة ضده التي انتهت بالفشل ، و كانت النتيجة تنصيب مساعده ماريوس (MARIUS) في مكانه⁷⁴ الذي نجح في نصب كمين ليوغرطة عن طريق صهره بخوس ملك موريطانيا الذي كسب ثقته في التفاوض و قبول الهدنة مع سولا الذي مثل ماريوس في المفاوضات . وكانت النهاية مخزية حيث طلب من يوغرطة القدوم منزوع السلاح ، و في ذلك الحين ألقى القبض عليه و وضعت له الأغلال و سلم إلى ماريوس سنة 105 ق.م⁷⁵ . و بعد الاحتفال بالنصر ، سيق يوغرطة إلى سجن التوليانوم (Tullianum) قرب معبد الكابتول و مكث فيه ستة أيام ولم يذق خلالها الطعام و الشراب ، و مات في اليوم السابع من شهر جانفي سنة 104 ق.م⁷⁶ .

⁷⁰ سالوست ، المصدر السابق ، XLIV ، 44

⁷¹ نفسه ، XLV ، 45

⁷² FRONTON , Ad VERUM Imperatorem II , 20

⁷³ Ibid .

⁷⁴ سالوست ، المصدر السابق ، LXXIII ، 6

⁷⁵ نفسه ، الفقرة . 144

⁷⁶ نفسه ، الفقرة . 144 ; أحمد سليمان ، ماسينيسا و يوغرطا ، مديرية الدراسات التاريخية و إحياء التراث ، الجزائر ، 1984 ،

إن اطلاع فرونطو الواسع على الأحداث و تتبع تاريخ نوميديا في مصادر القدامى ، توصل إلى اعتبار يوغرطة رمزا للمقاومة الوطنية و جعله نموذجا حيا يقرب به الصورة و الفكرة إلى ذهن المتعلم ، وقد تأثر بخاتمة هذا القائد الذي ظل يصف روحه بالظاهرة و النقية⁷⁷ ، وتبين له أن المقاومة المسلحة في وطنه انتهت كلها بالفشل الدافع الذي جعله يفكر في إصلاح الواقع الذي يعيش فيه بوسائل سلمية هادئة تسعى إلى انتزاع الحقوق لصالح الجميع بغرس مفهوم جديد للمواطنة .

2 - الاستراتيجية السياسية الإصلاحية في فكر فرونطو

1 - توجيه الفكر الروماني نحو نموذج الاسكندر المقدوني

أثناء التدريس ، كان فرونطو يعلم أمراء الرومان أسس بناء إمبراطوريتهم ، حيث وجههم إلى الاقتداء بالاسكندر المقدوني الذي يكمن سر نجاحه في الجمع بين ثقافات الشرق و الغرب . و في هذا الإطار ألف كتاب " مبادئ التاريخ " وقدمه لماركوس أوريليوس لتزويده بالثقافة الواسعة لا سيما الجانب السياسي . وقد ذكر في هذا الكتاب أن قوة المقدونيين تشكلت بفضل إستراتيجية الاسكندر⁷⁸ و أنه بمجرد وفاته انهارت و تفككت إمبراطوريته بسبب تبني قاداته سياسة أخرى مخالفة للتي رسمها هو خلال حكمه⁷⁹ .

كانت غاية فرونطو من هذا التوجيه هو دفع الرومان إلى احترام ثقافات الشعوب المنطوية تحت لوائهم ووضع حد لسياسة الرومنة و الاستغلال و استعباد الأهالي ، ولهذا وجه مارك أورل إلى الأخذ بنموذج الاسكندر المقدوني الذي حقق التعايش بين شعوب الشرق و الغرب ، و أن هذا النموذج يبنى على أساس احترام عقائد الشعوب و عاداتهم و تقاليدهم . و في الواقع اتبع الاسكندر هذه السياسة بعد تشبعه

⁷⁷ FRONTON , Lettre AM . ANTONINIUS, loc.cit

⁷⁸ Ibid, principes de l'histoire .

⁷⁹ Ibid.

بدروس أستاذه ارسطو الذي حثه على الفضيلة وحب المعرفة⁸⁰ و تكوين دولة تقوم على أسس العدالة يقودها الفلاسفة الحكماء⁸¹.

لكن طموح الاسكندر تجاوزت حدود جمهورية ارسطو إلى إمبراطورية واسعة الأرجاء ، كأنه شعر بأنه مكلف برسالة تحرير الشعوب من العبودية آنذاك و من استبداد الفرس الذين اعتمدوا في حكم المدن الإغريقية واسيا على الطغاة و الحكومات الأوليجاركية⁸² . بينما الاسكندر نهج سياسة مغايرة تماما ، حيث أيد الحكومات الديمقراطية الحرة التي رحبت به و رأت فيه أمل الخلاص من استبداد الحكام الطغاة بعد إعلانه أنه جاء للقضاء على الحكومات الأوليجاركية و إعادة الديمقراطية إلى العالم ، و السماح لكل مدينة باسترداد حقها في الحرية و التمتع بقوانينها الخاصة⁸³، والتحرر من التعصب الديني عند الفرس و من الضرائب الباهضة المفروضة على السكان⁸⁴ . أما الاسكندر المقدوني فقد حرص على الصالح العام بإعفائهم عن دفع الضرائب التي اعتادوا دفعها للمالك الفارسي⁸⁵ . نالت هذه السياسة إعجابا كبيرا عند الكثير من الشعوب المحتلة التي ساعدت الاسكندر على دخول بلدانها دون مقاومة مثل ما حدث في مصر إذ استسلم الوالي الفارسي ، علما أن الشعب المصري كان يكره الفرس كرها شديدا⁸⁶ ، ولهذا آلت مصر إلى الاسكندر سنة 332 ق.م دون مقاومة تذكر⁸⁷ . ونظرا لحقد المصريين على الفرس بسبب انتهاك حرمة ديانتهم ، كان أول عمل قام به الاسكندر عندما وصل إلى العاصمة المصرية ممفيس إظهار احترامه للديانة المصرية وتقديم لها القرابين⁸⁸ . كما رحب به أيضا سكان بابل الذين أيده و فتحوا أمامه أبواب مدينتهم و دخلها دون قتال

⁸⁰ مفيد رائف العابد ، تاريخ الإغريق ، المطبعة الجديدة ، دمشق ، 1979 ، ص. 152

⁸¹ ارسطو ، السياسة ، ترجمة ، أحمد لطفي السيد ، الكتاب الأول ، الفقرة 1 - 13

⁸² مفيد رائف العابد ، المرجع السابق ، ص. 154

⁸³ نفسه .

⁸⁴ فيس حاتم الجنابي ، الاسكندر المقدوني و مشروعه العالمي في بابل ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، المجلد 5، العدد 1 ، بابل

ص. 215

⁸⁵ مفيد رائف العابد ، المرجع السابق ، ص. 156

⁸⁶ نفسه ، ص. 158

⁸⁷ نفسه .

⁸⁸ نفسه .

وسلم له الحاكم الفارسي مفاتيحها.⁸⁹ وقد قابل الاسكندر هذا الترحاب بسياسة لينة و متسامحة مع البابليين على غرار ما حصل عند دخوله مصر ، و أقدم على إلغاء جميع القرارات السابقة المجحفة التي فرضها ملوك الفرس على المجتمع البابلي منذ خضوع لهم سنة 539 ق.م .

إضافة إلى سياسة التسامح التي انتهجها الاسكندر المقدوني ترك الحاكم الفارسي في منصبه ببابل مع استمرار سك العملة النقدية المتداولة آنذاك في المدينة رغم أن سك العملات النقدية كانت تعد من سمات السيادة إلا أن هذا الإجراء الذي اتخذه هذا الإمبراطور كان لتسهيل سير التجارة لما لها من أهمية في اقتصاد تلك الحقبة.

ولكسب المزيد من ود المجتمع البابلي ، أبدى احتراماً و قدسية للديانة البابلية و تقاليدھا إذ أعاد بناء العديد من المعابد البابلية التي دمرت خلال الحكم الفارسي⁹⁰. ومن أجل تحقيق مشروعه العالمي أظهر أيضاً احترامه لتقاليد الفرس بعد انهزام ملكهم دار الثالث حيث شاركهم في احتفالاتهم و طقوسهم الرسمية بارتداء الثياب الفارسية⁹¹ ، و عزز العلاقات بالزواج من ابنة ذلك الملك و كذلك أقام حفل زواج جماعي لقادته و ضباطه من الفارسيات⁹² بهدف التصالح و تحقيق الوئام بين الإغريق و الفرس⁹³ ووضع حد للحروب القومية بصورة عامة⁹⁴. الجدير بالذكر أن الاسكندر المقدوني خلال مسيرته كان يؤسس مدناً حاملة اسم الإسكندرية نسبة لاسمه . كما كان يصطحب معه الكثير من العلماء و الخطباء لنشر الحضارة الإغريقية و ما وصلت إليه من تقدم و ازدهار ليضيفه إلى الرصيد الحضاري الشرقي ، و يشكل بذلك حضارة جديدة وهي الحضارة الهلنستية التي جمعت بين حضارة الإغريق و الشرق .

⁸⁹ مفيد رائف العابد ، المرجع السابق .

⁹⁰ نفسه .

⁹¹ نفسه ، ص.161.

⁹² قيس حاتم هاني الجنابي ، المرجع السابق ، ص.218.

⁹³ مفيد رائف العابد ، المرجع السابق ، ص.156.

⁹⁴ نفسه ، ص. 162

وبهذا شكل الاسكندر المقدوني نموذجا بالنسبة لفرونطو، الذي سعى إلى نقله وتطبيقه في العالم الروماني من خلال إقناع ماركوس أوريليوس بفعالية ونجاح تلك السياسة وضمان بقاء الإمبراطورية الرومانية قوية و مزدهرة ليعمها السلام و التعايش الثقافي. و في نفس الوقت نبه هذا الخطيب السياسي تلميذه بأسباب فشل وانهيار الفرس أمام الاسكندر المقدوني ، لأن هذا الأخير نال ترحابا كبيرا من قبل الشعوب المستعبدة التي تكن حقدا كبيرا للحكام الطغاة⁹⁵ ، و ذكر فرونطو أن البارثيين هم الأعداء التقليديين للرومان⁹⁶ .

و في الواقع كان هدف فرونطو جعل الفكر الروماني يخالف سياسة الفرس و صرفهم عن ممارسة الاستبداد في جميع المقاطعات . وبرهن لمارك أورل أن السلام و الوئام في الإمبراطورية يتوقف على وضع حد لسياسة النهب و الاستغلال الذي مارسه الارستقراطيون الرومان في إطار سياسة الرومنة و بالتالي يكن الأهالي كرها كبيرا لهؤلاء . و لهذا يجب احترام ثقافة الشعوب بما فيها المغرب والعمل على تحقيق التعايش مع الحضارة الرومانية ، وذلك ما أراده فرونطو تحقيقه . لكن ليس من السهل الوصول إلى هذا البعد مادامت القرارات السياسية تصدر من طرف النبلاء في مجلس الشيوخ لخدمة مصالحهم ولهذا تطلب الأمر تحضير الفكر الروماني لتقبل المساواة في الحقوق مع جميع سكان الإمبراطورية الرومانية أي إعداد الرومان للاعتراف بحق المواطنة وتعميمه في العالم الروماني .

ب - تحضير الفكر الروماني لتعميم حق المواطنة

كان فرونطو على يقين أن الطبقة الارستقراطية الرومانية سترفض أي مشروع يرمي إلى العدالة الاجتماعية والمساواة ، لأن من دوافع و أسباب الحروب الأهلية في روما

⁹⁵ FRONTON , loc.cit

⁹⁶ Ibid.

التسابق على اكتساب الأراضي الجديدة و خيرات الشعوب مما أدى إلى التصادم ونشوب الحروب بين القادة⁹⁷ .

أمام هذا الواقع ، رأى فرونطو أن تغيير الأوضاع لصالح سكان المقاطعات يتطلب تحضير الفكر الروماني بتربيته على الفضيلة التي نادي بها جل الفلاسفة القدامى ، أمثال : سقراط ، أفلاطون وارسطو و غيرهم من الذين يدعون إلى إقامة الجمهورية المثالية . في هذا الإطار استغل فرونطو وظيفته التعليمية لتحقيق غايته، وهو يدرك أن بيداغوجية التعلم تسير وفق الأهداف و الغايات بإثارة دوافع المتعلم وتوجيه ميوله نحو المرمى . وتحقيق الغايات يتوقف على نوع المادة العلمية التي يقدمها المعلم للمتعلم . في هذا الصدد وجه فرونطو تلميذه ماركوس أوريليوس إلى قراءة وتحليل نصوص الفلاسفة البلغاء على أساس تعلم أساليب بلاغتهم ، لكن في الواقع الغاية من ذلك هي تربيته على الفضيلة ، لأن فرونطو كان يدرك أن تلك النصوص لها تأثير كبير على الشباب المراهقين ، بعبارة أخرى كان هذا المعلم يوجه تلميذه إلى الفلسفة و بالتدقيق إلى الفكر الرواقي لأنه ركز كثيرا على الرواقيين البلغاء مثل شيشرون الذي كتب على الجمهورية المثالية متأثرا بأفلاطون . كما كانت له مؤلفات أخرى حول اللاهوت و القانون⁹⁸ .

إذن من الطبيعي جدا أن يتجه فكر ماركوس أوريليوس إلى الفلسفة الرواقية و يهتم بها كثيرا ، والدليل على ذلك أنه استقدم إلى روما الكثير من الفلاسفة الرواقيين والاستمتاع بدروسهم ، العامل الذي أدى إلى انتشار الفلسفة الرواقية انتشارا واسعا بين صفوف شباب الطبقة الأرستقراطية خلال القرن الثاني الميلادي . وهذا ما كان فرونطو يريد تحقيقه ، لأن تربية الشباب الرومان على الفضيلة يساعده على إصلاح الأوضاع السائدة آنذاك و بالتالي ضرب قوة النبلاء الطغاة في عقب ديارهم . و هذه الفلسفة

⁹⁷ APPIEN , Histoire des guerres civiles de la république Romaine , livre . I,1 , trad. COMBES – DOUNOUS ,1808

⁹⁸ CICERON , des lois ,tome IV, tard. M.NISARD,Paris ,œuvre numérisée et publiée dans le site ,
///C:/Users/cilent/Desktop /CICERON, des lois, 02/02 2018.

هي الفكر الذي يدعو إلى التحلي بالأخلاق و العدالة بين جميع البشر . و كان معظم الشباب المتشبعين بمبادئ الرواقية يحملون بالدولة المثالية التي يعمها الاستقرار والإخاء⁹⁹ . و هو تصور أخلاقي في المقام الأول ، و قد جاء أفلاطون بهذا التصور لكي يتعرف الرجل السياسي على مفهوم الخير و العدل و شروط تأسيس الدولة الصالحة التي تكون مثالية لباقي الدول ،¹⁰⁰ و أرسى في جمهوريته مبدأ قيادة الدولة على أساس العلم رافضا بذلك أنظمة الحكم التي أثبتت فشلها سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا¹⁰¹ .

و في القرن الأول الميلادي جاء شيشرون و أحيا حلم أفلاطون بتصور الدولة المثالية ، لأنه عاصر الاضطراب السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي ، ودعا إلى قيام الجمهورية المثالية التي تسعى إلى تحقيق المثل العليا يتساوى فيها الناس في الحقوق و الواجبات . و بهذا التصور يكون قد تأثر أيضا بفكر زينون الرواقي الذي يؤمن بالمواطنة العالمية التي تجعل جميع سكان المدينة الواحدة مواطنين لهم نفس الحقوق¹⁰² . كان شيشرون ينظر إلى الدولة على أنها مجموعة من الناس تجمعت بطريقة ما و تجاوزت مع بعضها البعض لتعيش في انسجام مع احترامها للعدالة ، و المشاركة في الأمور العامة فالدولة في تصوره ملك الشعب¹⁰³ ، وبهذا يرى أن ممارسة الفضيلة يتم من خلال مشاركتنا في حكومة الدولة ، و أن الحاكم المثالي يجب أن يضع نصب عينيه تلك التغيرات التي حدثت في الملكية القديمة و أدت إلى فسادها . و عندما يكون الملك ظالما يصبح مستبدا ، فتكون الملكية هي أسوأ أنواع الحكومات¹⁰⁴ .

⁹⁹ محمد جمال الكيلاني ، تصور الدولة المثالية بين أفلاطون و شيشرون ، أوراق كلاسيكية ، العدد الحادي عشر ، مصر ، 2012 ، ص. 97

¹⁰⁰ نفسه ، ص. 98

¹⁰¹ نفسه .

¹⁰² نفسه ، ص. 103 .

¹⁰³ CICERO, de RE Publica , with an English translation by CLITON WALKER KEYES , the Loeb classical library , London , 1948, LXXV , 39

¹⁰⁴ Ibid.

وهكذا ظلت الدولة المثالية حلما على عقول الفلاسفة و الخطباء نتيجة لرفض واقعهم السياسي و الاجتماعي . و قد يكون تصورهم لعالم أفضل لا يمتلك إمكانية التحقيق في الواقع ، فيظل حلما و رؤية عقلية مغايرة و رافضة لواقعهم المعاش ¹⁰⁵ .

إن القانون الذي تأسس عليه الفكر الرواقي هو القانون الطبيعي الذي ينبثق من حكم العناية الإلهية للعالم كله ، كما ينبثق أيضا من الطبيعة العقلية و الاجتماعية للبشر . تلك الطبيعة التي تجعل الناس سواسية في الحقوق و الواجبات . و من هذا المنظور تظهر فكرة دستور دولة العالم أي دستور واحد في كل مكان يلتزم جميع الناس و جميع الأمم بأحكامه . وأي تشريع يضعه الإنسان مخالفا لأحكام هذا الدستور لا يستحق أن يسمى قانونا ، لأنه كم من حاكم أو رعية جعل من الصواب خطأ . و القانون الطبيعي لايجوز خلقيا تعطيل أحكامه بتشريعات من صنع البشر ¹⁰⁶ ، لأن الإنسان المشرع قادر على فرض قوانين خاصة على الشعب باسم مجتمع عادل إلا أن غرضه الحقيقي هو تحقيق المنفعة الخاصة . و لهذا يرى الفكر الرواقي أن العدالة لن تتجسد ما لم يتم تأسيسها على الطبيعة باعتبارها الأساس الوحيد الذي يضمن البقاء و الثبات ، و هنا تبرز ركيزة الفضيلة في هذا المذهب التي هي أسمى الغايات في فكر فرونطو إذ بذل قصارى جهده في تربية النشء الروماني على الأخلاق وحب الخير و محاربة صفات و رذائل الطغاة ، والوقوف ضدهم لأنهم استعبدوا البشر و نهبوا أراضيهم باسم القانون و عملوا على طمس ثقافتهم .

إن الوسيلة التي يملكها هذا المعلم هي التربية و التعليم ، لهذا كان يوجه دائما تلاميذه إلى قراءة مؤلفات الفلاسفة الحكماء البلغاء و الاقتداء بالشخصيات المثالية مثل الاسكندر المقدوني الذي تشبع بمبادئ الأخلاق و الفضيلة التي تلقاها على يد معلمه ارسطو ، ليسير على دربه الأمراء الرومان و يجعلون إمبراطوريتهم شبيهة

¹⁰⁵ جورج سباين ، تطور الفكر السياسي ، ط.1 ، ترجمة حسن جلال العروسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2010 ، ص.53

¹⁰⁶ نفسه ..

بإمبراطوريته ، حيث طبق الفلسفة الرواقية عمليا بسعيه إلى جعل العالم وطنا واحدا يحكمه الحكام العقلاء الذين يؤمنون بالمدينة العالمية التي تجمع الناس على أساس الأخوة¹⁰⁷ ، و كل من يعيش و يسكن فيها فهو مواطنها . و من هذا المفهوم ظهر مصطلح المواطنة العالمية في ذلك العهد¹⁰⁸ ، التي تهدف إلى إلغاء كل الفوارق و الحدود بين البشر وسياسة استغلال و استعلاء إنسان على أخيه الإنسان¹⁰⁹ ، مثل ما فعل الرومان حيث جعلوا من المواطن الروماني إنسانا متميزا ينفرد بحق المواطنة . هذا التمييز رفضه فرونطو وسعى إلى إزالته ومحو الفوارق بين الرومان و سكان المقاطعات بما تقتضيه مبادئ العقيدة الرواقية القائلة أن كل الناس سواسية في المدينة العالمية¹¹⁰ . وهذه الدعوة للعالمية دعوة أخلاقية مبنية على مبدأ الحرية و المساواة بين جميع البشر داخل المدينة أو الدولة، و هي تعد من أهم دعائم فكرة المجتمع العالمي¹¹¹ .

و لتحقيق مفهوم المواطنة العالمية لا بد من حرية الأفراد ، لأن الحرية هي التي تولد المساواة و التسامح و المحبة بين أفرادها¹¹² . و من أجل هذا الغرض وضع فرونطو إستراتيجية هادفة خلال مساره التربوي حيث جعلها تسير في خطوات محكمة ظاهرها تعليم الرومان علوم البلاغة ، وباطنها يحمل رسالة إصلاحية استهدفت الفكر الروماني وكسر نفوذ النبلاء. لو كان هؤلاء على علم بما يصنع هذا الخطيب المحنك ربما لقضوا عليه ، لأنه أعلن عليهم حربا دون أن يشعروا به ، و يناضل من أجل كسب الحقوق للمصالح العام والاعتراف لجميع الناس بحق المواطنة. هذا ما يدل على حنكته السياسية و كفاءته في البيداغوجية والتربية . قد بدا لفرونطو أنه ليس من السهل بلوغ هذه الأهداف في وقت قصير مادام نفوذ الطغاة قائما على استغلال

¹⁰⁷ أنابي لموني ، بيتسي ايفانز ، العولمة و المفاهيم الأساسية ، ترجمة. اسيا سوقي ، الشبكة العربية ، ط.1 ، بيروت ، 2009 ، ص.158
¹⁰⁸ نفسه.

¹⁰⁹ عبود عبود ، الرواقية فلسفة عالمية ، مجلات تحولات ، العدد الرابع و العشرون ، جويلية 2007 ص.2
¹¹⁰ نفسه.

¹¹¹ عبد العال عبد الرحمان عبد العال ، المرجع السابق ، ص.121.

¹¹² نفسه .

و احتكار ثروات الشعوب بلا رحمة وشفقة¹¹³ . لذلك كان أمله في الأجيال القادمة بتربية الفكر الروماني على الأخلاق و الفضائل و غرس فيه عقيدة المساواة و التسامح ، وكان ماركوس أوريليوس من بين الذين حفظوا دروس و توجيهات فرونطو بل كان من المقربين إليه وهذا في الواقع يدخل من ضمن فنون البيداغوجية التي تجعل المعلم محبوبا لدى تلامذته . لقد نجح هذا المعلم المربي على تكوين جيلا يؤمن بعقيدة الفلاسفة القدامى و أعد لهم إمبراطورا فيلسوفا متخلقا بالفضيلة و التسامح يدعو إلى العدالة الاجتماعية و المساواة في الحقوق .

ثانيا : البعد العقائدي في فكر ماركوس أوريليوس

1 - أركان الإيمان في عقيدة ماركوس أوريليوس

1 - الروح الإلهية في الوجود

امن ماركوس أوريليوس أن العالم تسيره روح مقدسة متمثلة في الإله الواحد المهيمن على جميع الموجودات الخاضعة لنظام واحد و قانون واحد ، و يقول في هذا الركن العقائدي : " جميع الأشياء متشابكة ، يربطها رباط مقدس . لا شيء غريب عن الأشياء الأخرى فجميعها قد رتب معا لكي تتعاون على تحقيق النظام الواحد للعالم . ذلك أن العالم المؤلف من جميع الأشياء واحد ، و الإله المنبث في كل الأشياء واحد ، و المادة واحدة ، و القانون واحد ، و العقل الشائع في جميع الموجودات العاقلة واحد ، و الحقيقة واحدة ، لأن الحقيقة هي كمال الموجودات العاقلة المشاركة في عقل واحد¹¹⁴ " . و في فقرة أخرى يؤكد على إيمانه بوحدة الوجود و الإله الواحد و يذكر : " تأمل ترابط الأشياء و قرابتها ، جميعا في العالم ، و هي متشابكة و لديها

¹¹³ MARC AURELE , pensées à moi-même ,XI

¹¹⁴ ماركوس أوريليوس ، التأملات ، الكتاب السابع ، الفقرة . 9
200

مشاعر ود تجاه بعضها البعض . فالشيء يتلو الآخر في نظام منضبط ، من خلال توتر الحركة و الروح الشاملة التي تلهمها وحدة الوجود كله ¹¹⁵ .

أشار ماركوس أوريليوس في هذه الفقرة إلى ركن أساسي في عقيدته و هو الإيمان بالله الواحد المهيمن على العالم ، حيث تسير كل الأشياء بإلهامه و في نظام منضبط يربطها جميعا رباط مقدس واحد منبث في جميع الموجودات ، لهذا تشعر كل العناصر المكونة لهذا الكون بصلة القرابة لأنها خلقت للتعاون معا و لتحقيق وحدة الكل ، و لا ينبغي عليها أن تخالف هذا النظام أو تتحرف عن القانون الكل . و في هذا الإطار خاطب ماركوس أوريليوس نفسه ليثبتها على نظام التعاون قائلا : " تلاءم مع الأشياء التي قسمت لك ، و أحبب هؤلاء الناس الذين ألقى بك القدر بينهم على أن يكون حبك صادقا مخلصا ¹¹⁶ ... كل هذا جيد مادام يؤدي الوظيفة التي من أجلها صنع الشيء . و الصانع في مثل هذه الحالة خارج عن الشيء المصنوع . أما في حالة الأشياء التي تمسكها معا طبيعتها العضوية فان القوة التي صنعتها باطنية فيها ، و لذا فان عليك أن توقرها أكثر . و إذا امتثلت لإرادتها سيكون كل شيء فيك موافقا للعقل . كذلك الأمر أيضا في الكل " ¹¹⁷ .

يصف لنا ماركوس أوريليوس في هذا النص الروح الإلهية على أنها قوة باطنية و ظاهرية أي أن الله هو الباطن و الظاهر في هذا الوجود ، و هو الخالق و الصانع لكل شيء ¹¹⁸ . و يذكر أن هذا الصانع يختلف عن الشيء المصنوع ¹¹⁹ ، لكن الطبيعة العضوية لهذا الأخير تنبث فيه القوة التي صنعتها ¹²⁰ المتمثلة في الروح الإلهية و بعبارة أخرى أن الله موجود في كل مكان و في داخل كل الكائنات و الموجودات الأخرى و ما حولها ¹²¹ ، و أن العالم ليس إلا كائنا واحدا حيا متنفسا بالروح الإلهية ، وكل

¹¹⁵ ماركوس أوريليوس ، الكتاب السادس ، الفقرة 38.

¹¹⁶ نفسه ، الفقرة 39 .

¹¹⁷ نفسه ، الفقرة 40.

¹¹⁸ نفسه . . .

¹¹⁹ نفسه .

¹²⁰ نفسه .

¹²¹ نفسه

الأشياء على اختلافها و تمايزها يتداخل بعضها بعضا و يستجيب بعضها لبعض¹²². وما يحدث و يحصل في جزء من الكون يؤثر في جميع أجزائه . و ما يحدث في الكل يؤثر في كل جزء . فالكون بأسره في تصور ماركوس أوريليوس عبارة عن بدن واحد وحي ، يسير خالقه في جميع أجزائه وهو الذي يمسك وحدته¹²³ ، ولهذا يستوجب على المخلوقات توقير خالقها¹²⁴ و أداء الوظيفة التي من أجلها خلقت¹²⁵ ، و نقرأ قوله في هذه الفقرة : " أينما كنت و في أي وقت ، فانك بوسعك أن تمجد الله راضيا بحالك و أن تعامل من معك من الناس بالعدل ، و أن تتعم النظر في كل انطباع راهن في عقلك بحيث لا تدع شيئا يفلت من نال فهمك " ¹²⁶ ثم يضيف و يقول : " لا تتلفت حولك لكي تتقب في عقول الآخرين ، بل أنظر أمامك إلى هذا : ما تقودك إليه الطبيعة ، إلى طبيعة العالم في ما يحدث لك ، و إلى طبيعتك فيما يجب أن تفعله . كل مخلوق ينبغي أن يفعل ما تمليه عليه فطرته الخاصة . و لقد جبلت بقية المخلوقات على خدمة الكائنات العاقلة ... فقد جبلت على أن يخدم بعضها بعضا"¹²⁷ توصل ماركوس أوريليوس إلى القناعة و اليقين على أن عليه عبادة الله الأحد و تمجيده . و أن كل مخلوق ينبغي أن يحيى على الفطرة التي خلقه عليها الله أول مرة¹²⁸ ، و أن يخدم الآخرين و لا يتجسس على عقولهم أو ينشغل بما كانوا يعملون . بل عليه أن ينظر إلى نفسه و ما ينبغي أن يقوم به و يطيع الله و يتقرب إليه و يظهر نفسه من كل أنواع الرذيلة لكي ترضى عليه الروح الإلهية الموجودة في داخله¹²⁹ . و يذكر في هذا الصدد :

"ما كان للطريقة التي مزجتك بها الطبيعة بالكل المركب أن تحول بينك و بين أن ترسم حدا يحدك و يحفظ ما هو لك تحت سيطرتك ، تذكر هذا دائما و تذكر أيضا أن الحياة

¹²² ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق.

¹²³ عادل مصطفى ، المرجع السابق ، ص. 125.

¹²⁴ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق.

¹²⁵ نفسه .

¹²⁶ نفسه ، الكتاب السابع ، الفقرة 54.

¹²⁷ نفسه ، الفقرة ، 55 ،

¹²⁸ نفسه .

¹²⁹ نفسه

السعيدة تعتمد على أقل القليل . و لا تظن أنك لمجرد يأسك من أن تصبح فيلسوفا أو عالما ينبغي أن تتيأس من أن تكون ذا روح حرة ، و تواضع ، و ضمير حر ، و طاعة الله . إن بإمكانك تماما أن تكون إنسانا إلهيا دون أن يلاحظ ذلك أحد ¹³⁰ . و في فقرة أخرى بين ماركوس أوريليوس خضوع جميع المخلوقات لله الواحد قائلا : " حيثما أمكننا أن ننفذ مهمة ما وفقا للعقل الذي يشارك فيه الآلهة و البشر ، فليس ثمة شيء نخشاه . فما دام بإمكانك أن تجني فائدة من عمل يمضي في الطريق القويم و المسائر لفطرتنا البشرية فليس علينا أن نتوجس من أي أذى يترصدنا ¹³¹ ...الآلهة لا يموتون و لا يضيعون بواجبهم طوال الزمان في أن يتحملوا البشر كما هم و على ما هم عليه من الخير و الشر ¹³² ... هل أنا فاعل شيئا ؟ و إذا فعلته أفعله و عيني على خير البشرية . هل ألم بي شيء ؟ أتلقاه فأنسبه إلى الآلهة و إلى المصدر الكلي الذي تصدر منه الأشياء جميعا مرتبطة متماسكة " ¹³³ .

من خلال هذه التأملات ، ميز مارك أورل بين " الله الخالق " المهيمن وبين "الآلهة" الأخرى ، حيث يذكر اسم "الله" عندما يتحدث عن خالق الكون و أنه روح منبثة في جميع الأجسام ، بينما يذكر اسم "الآلهة" عندما يتحدث عن المخلوقات السماوية المكلفة برعاية البشر على الأرض، أي أن القاسم المشترك بين كائنات الأرض و السماء أنها من صنع صانع واحد الذي خلقها لأداء وظيفة التعاون في إطار وحدة الكل ¹³⁴ . إذن الروح الإلهية المقدسة التي طالما كرر ذكرها مارك أورل هي القوة المسيرة للكون التي هي بالنسبة له روح الإله الواحد ، و هذا الركن من الإيمان يعكس التوحيد كأساس في عقيدته . أما الآلهة الأخرى حسب تصوره فهي مخلوقات حية معصومة من الخطأ وقد خلقها الخالق للقيام بواجب عناية البشر

¹³⁰ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، الفقرة 55.

¹³¹ نفسه ، الفقرة 53 .

¹³² نفسه ، الفقرة 70.

¹³³ نفسه ، نفسه ، الكتاب الثامن ، الفقرة 23 .

¹³⁴ نفس ، الفقرة 70 .

كما هم عليه من الخير و الشر¹³⁵ . أي في نظره يمثلون الجنود في السماء لهم وظيفة الرقابة و العناية على أهل الأرض .

انتقل ماركوس أوريليوس إلى جانب آخر حيث حدد ثلاث علاقات تخص كيانه ، يقول: " لديك ثلاث علاقات وهي : الأولى بالجسد الذي يحيط بك ، و الثانية بالسبب الإلهي الذي يصدر عنه كل ما يجري للبشر، و الثالثة برفاقتك و معاصريك من الناس"¹³⁶ . هذا التحديد لمثل هذه العلاقات بهدف وضع النفس البشرية في الإطار الصحيح و بالتالي يدرك الإنسان أن جسمه المادي مرتبط بالروح الإلهية المنبثة الذي يحيى في محيط اجتماعي . و من أجل ذلك لا ينبغي عليه الانحراف عن مبدأ طبيعة الكل التي هي مصدر جميع الكائنات و الموجودات ، و في هذا الصدد يقول : " مثلما أن طبيعة الكل هي مصدر جميع الملكات الأخرى ، في كل مخلوق عاقل فقد وهبتنا هذه القدرة أيضا بنفس الطريقة التي تحول بها الطبيعة ، أي شيء معيق أو مضاد إلى غرضها الخاص واطعة إياه في المخطط المقدر للأشياء و جاعلة إياه جزءا منها ، كذلك بوسع الكائن العاقل أن يحول كل عائق إلى مادة لاستعماله الخاص و أن يستخدمه لمصلحة غرضه الأصلي أي كان هذا الغرض"¹³⁷ . أشار ماركوس أوريليوس في هذه الفقرة إلى التعامل الحكيم مع العقبات التي قد يصادفها الإنسان في حياته ، و أنه وهبته طبيعة الكل قدرة تحويل تلك المعوقات إلى غرض نبيل يخدم مصلحته وفق الفطرة الخاصة التي صنعه الخالق أول مرة ، لكي يحيى على الفضيلة و الخير ، و لهذا عليه تقبل كل ما قضى الإله و قدر له للتكيف مع وحدة الكل التي انبثق منها أول مرة و يعود إليها مرة أخرى ليسترد مكانه كجزء من الكل . و قال في هذا الشأن : " إذا كنت قد رأيت يوما ما يدا مقطوعة أو قدما ، أو رأسا مفصولا واقعا في مكان ما بعيدا عن بقية الجسم ، فهذا مثل يطبقه على نفسه من لا يرضى

¹³⁵ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق .

¹³⁶ نفسه ، الكتاب الثامن ، الفقرة 27 .

¹³⁷ نفسه .

بقسمته و يعزل نفسه عن الآخرين أو يقوم بأي فعل غير اجتماعي ... قد فصلت نفسك عن وحدة الطبيعة ، فلقد ولدت جزءا منها و لكنك الآن فصلت نفسك عنها ، فثمة رغم ذلك مفارقة ، و هي أن الخيار ما زال مفتوحا لك بأن تعود إلى تلك الوحدة مرة أخرى . لم يمنح الله هذه الميزة لأي جزء آخر ، و هو أن يلتحم بالكل مرة ثانية بعد أن انفصل عنه . انظر إلى مدى النعمة التي اختص بها الإنسان ، لقد جعله غير منفصل عن الكل ، و إذا انفصل سيعود و يتحد كجزء من الكل ¹³⁸ .

أراد ماركوس أوريليوس من خلال تأملاته إقناع نفسه أنه جزء من الكل و أنه مهما طال الزمن سيعود لهذا الكل ، استدل بأمثلة على بعض أعضاء الجسد المنفصلة كاليد و القدم و الرأس ، على أنها إذا قطعتها و جزأتها و وضعتها في أماكن متفرقة فإنها ستعود إلى الالتحام و تتركب من جديد عندما تعود إلى مادة الكل التي منها صنعت أول مرة و أن الله جعل لكل جزء ميزته الخاصة حيث تتركب الأجزاء كما كانت عليه في البداية دون خطأ أو خلط . و بعد ضرب هذه الأمثلة زاد إيمان ماركوس أوريليوس بعظمة الخالق و النعمة التي وهبها للإنسان ثم خاطب نفسه خاشعا للإله : " انظر إلى مدى النعمة التي اختص بها الإنسان ، لقد جعله غير منفصل عن الكل ¹³⁹ . و لهذا تبين لماركوس أوريليوس أنه سيكون سعيدا إذا سار على نظام الطبيعة و يؤدي الوظيفة التي حددته روح الإله في الكل، و يرضى بالقدر و يحيى على خدمة العام و يتعامل مع جميع الناس بالعدل و المساواة و يتذكر دائما الجانب الإلهي و العودة إليه وقال مخاطبا إياه :

" إذا انصرفت إلى المهمة التي بين يديك ، متبعا للعقل الصحيح بكل عزم و جد وبحسن النية ، دون أن تسمح لأي شيء يشغلك ، بل حافظ على الجانب الإلهي فيك نقيًا ثابتًا كما لو كان مقدرًا عليك أن تقبض حالًا . إذا تمسكت بذلك غير طامع في شيء و لا متوجس من شيء ، بل راضيا بما تفعله الآن وفقا للطبيعة و بصدق بطولي في كل ما تقوله و تقصده فلسوف تعيش سعيدا ، و لن

¹³⁸ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، الفقرة . 35

¹³⁹ نفسه ، الكتاب الثالث ، الفقرة . 12

يستطيع أي إنسان أن يصدق عن ذلك¹⁴⁰ ... إذن علينا في كل حالة أن نقول : هذا جاء من الله ، هذا من تصريف القدر ... وهذا من أحد إخوتي من بني الإنسان ، قريبي و زميلي ، و إن كان لا يعرف ما يليق بطبيعته ذاتها ، غير أنني أعرف و من ثم أعامله برفق و عدل متبعا في ذلك القانون الطبيعي للأخوة ، على أن أحاول برغم ذلك أن أعطيه ما يستحقه بالضبط في الأمور المحايدة أخلاقيا¹⁴¹ .

قدم ماركوس أوريليوس في هذه الفقرات علاجاً نفسياً للذات وتوصل إلى قناعة التسامح مع الآخرين حتى مع من أسأؤوا إليه ، و أن يطيع القانون الإلهي الذي نص على التعاون و الأخوة بين جميع البشر ، و أن يؤمن بالقدر مادام من قضاء الإله .

ب - القضاء و القدر

أشرنا من قبل أن عقيدة ماركوس أوريليوس تأسست على مبدأ "وحدة الوجود" مفادها أن الله و الكون شيء واحد ، و أن العقل هو مصدر كل الأشياء و هو في حد ذاته قانون طبيعي المبني على أساس القضاء و القدر¹⁴² ، أي أن العلة أو الأسباب متسلسلة تسلسلا يجعل كل حادث معلولا لعدة ، و كل علة معلولا لأخرى ، و هكذا إلى ما لا نهاية وفقا لقدر مقسوم¹⁴³ . و لا شيء يحدث إلا و كان متضمنا من قبل في أصل الأشياء¹⁴⁴ . و كل شيء في العالم خاضع للضرورة أو القضاء و القدر الذي يمثل إحدى أركان عقيدة ماركوس أوريليوس . و هذا الأخير يرى أن العناية الإلهية قد تسيير العالم أحسن تسيير . و كل ما في الكون يسير على حكمة عالية بعيدا عن المصادفة أو العشوائية و في هذا الموضوع يذكر:

" فإذا كان كل شيء آخر مشتركا مع كل ما ذكرته ، يبقى هناك ذلك الذي يميز الإنسان الصالح ، هو أن يرضى و يقنع بما يجري عليه القضاء و تنتسجه خيوط قدره ، و أن لا يدنس ألوهته التي تقبع داخل صدره أو يعكر صفوها بخليط من الانطباعات المشوشة ، بل يجب

¹⁴⁰ماركوس أوريليوس ، المرجع السابق، الفقرة 11.

¹⁴¹ نفسه .

¹⁴² عادل مصطفى ، المرجع السابق ، ص.282.

¹⁴³ نفسه .

¹⁴⁴ نفسه .

أن يحفظها في سكينه و اتصال وثيق بالإله ، لا يقول غير الحق و لا يفعل غير العدل " 145 .

بين ماركوس أوريليوس في هذه الفقرة أن القضاء و القدر من قواعد الإيمان و أنه معيار يميز بين الإنسان المؤمن و الكافر . فالإنسان المؤمن الصالح يرضى و يقنع بما كتبه الإله في حياته ، و يكون في اتصال وثيق مع خالقه و بهذا يتقرب إليه بفعل الخير و الصدق و العدل ، أما الكافر البعيد عن التقوى فإنه لا يؤمن لا بالإله الخالق و لا بالآلهة المكلفة برعاية البشر و بالتالي يرتكب المعاصي و الظلم ، 146 و قد أمثلة على ذلك في الفقرة الآتية : " ... و من على شاكلة فالأريس* أو نيرو أولئك الذين لا يؤمنون بالآلهة ، و الذين يخونون أوطانهم ، و الذين يقتربون الإثم من وراء الأبواب المغلقة " 147.

يقول ماركوس أوريليوس في هذه التأملات أن رغم مشاركة الجميع في بنية الوجود إلا أن فينا المؤمنون و الكافرون ، فحرب مثالا على الحكام الطغاة مثل الطاغية فالأريس و نيرو أنهم ليسوا بالمؤمنين و إنهم يقتربون الإثم بلا شفقة و لا رحمة . و في نفس الوقت أشار ماركوس أوريليوس أن فعل الشر لا ينسب إلى القضاء و القدر لأن للإنسان حرية الإرادة وله عقل يستطيع أن يرفض الانطباعات الخارجية عندما يتذكر الروح الإلهية المنبثة فيها و بالتالي يبتعد عن كل أشكال الدنس . فالإنسان في هذه الحالة غير معصوم من الخطأ 148 ، و هو المبدأ الذي اختلف فيه ماركوس أوريليوس مع الرواقيين الآخرين حيث ذكر الآتي : " و حتى الرواقيون أنفسهم بدت لهم الحقائق عصية على الفهم ، و بدا لهم كل تصديق عقلي لأدراكاتنا شيئاً عرضة للخطأ . فليس هناك من هو معصوم " 149 .

145 ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، الكتاب الثالث ، الفقرة . 16

146 نفسه ، الكتاب السابع ، الفقرة . 70

* فالأريس : طاغية في صقلية في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد ، أنظر : عادل مصطفى ، المرجع السابق ، ص. 67

147 ماركوس أوريليوس ، الكتاب الثالث ، الفقرة . 16

148 نفسه ، الكتاب الخامس ، الفقرة . 10

149 نفسه .

يفهم من هذه الفقرة أن ليس ثمة من أذى حقيقي يمكن أن يصيب الإنسان إلا ما يقدم على فعله حين يخطئ في أحكامه¹⁵⁰. و للتوضيح أكثر الفكرة السابقة ، أضاف ماركوس أوريليوس ما يلي : " لا أذى لك يقبع في عقل غيرك ، و لا حتى في أي تبدل أو تغير لخطائك الجسدي . أين إذن يقبع الأذى ؟ في ذلك الجزء منك الذي يضطلع بتكوين الأحكام عن الأذى . كف عن الحكم بأن بك أذى تكن قد سلمت منه ... فان الملكة التي تحكم هذه الأحكام ينبغي أن تظل هادئة¹⁵¹ ... إنما تؤذي النفس نفسها عندما تصبح كيانا منفصلا ... فالسخط على أي شيء تجري به الأقدار هو تمرد انفصالي عن الطبيعة ... و حين تتأذى بجانبها عن كائن إنسان آخر أو حين يلج بها الخصام ، فالتعمد إلى إيذائه هو حال الأنفس التي استبد بها الغضب . وحين تستسلم للذة أو للألم وترائي وتفعل أو تقول غير الصدق وغير الحق ، فانك تفقد الهدف و تتخبط خطبا عشوائيا . فالفعل مهما صغر ينبغي أن يؤدي لغاية و يرمي إلى هدف . و غاية الكائنات العاقلة هي تتبع العقل و الالتزام بقانون أقدام دولة و حكومة العالم " ¹⁵² .

وضح ماركوس أوريليوس سبب تعاسة الإنسان حين ينحرف عن الغاية التي خلق من أجلها و يستسلم لشهوات الجسد ناسيا القانون الأخلاقي الذي كان عليه الالتزام به.¹⁵³ وحين يقدر عليه فقدان اللذة يشعر كأنه شر و أذى رغم أنه في حقيقة الأمر هو خير له ، لأن الشهوات تدفع به إلى حب الذات على حساب الصالح العام و ينغمس في اللهو و الاستبداد ، و يصبح حينئذ من الضالين و يتمرد على طبيعة الكل التي هو جزء صغير منها . و هذا التمرد في الواقع هو عدم تقبل القضاء و القدر¹⁵⁴ ، ولهذا على المرء أن يرضى بنصيبه و يتقبل قدره الذي لا مفر منه¹⁵⁵ ، وفي هذا النصيب يقول ماركوس أوريليوس : " ... عليك أن تجتنب في مسار فكرك كل ما ليس له هدف

¹⁵⁰ عادل مصطفى ، المرجع السابق ، ص.320

¹⁵¹ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الرابع ، الفقرة 39.

¹⁵² نفسه ، الكتاب الثاني ، الفقرة 16 .

¹⁵³ نفسه .

¹⁵⁴ نفسه .

¹⁵⁵ عادل مصطفى ، المرجع السابق ، ص.322

أو فائدة و بالخصوص كل ما هو فضولي خبيث ... فالإنسان مثل هذا إذ لم يعد يتنازل عن مكانه بين الصفوة الأخيار هو أشبه بكاهن و خادم للآلهة . انه يلبي نداء الألوهة القابعة داخله التي تجعل المرء غير ملطخ بالملذات ، لا تتاله الاهانة و لا يعرف الخبث ... يتقبل بملء قلبه كل ما يصيبه وكل ما هو مقسوم له ... فأما عمله فيتقنه أحسن إتقان ، و أما نصيبه المقدر فهو قانع به . فنصيب كل امرئ هو رفيق رحلته¹⁵⁶ .

حث ماركوس أوريليوس نفسه على التمسك بفعل الخير و إتقانه . و شبه الإنسان القائم على الفضيلة بصفوة الأخيار و بخادم الآلهة ، لأنه على طاعة الروح الإلهية القابعة في داخله التي تحفظه من النذل و الاهانة و الخبث مادام راضيا بنصيبه المقدر له طول حياته¹⁵⁷ ، و ذكر أيضا في هذا الصدد : "... ويحى على العدالة إلى آخر لحظة من عمره¹⁵⁸ ... جرب أيضا كيف توافقك حياة الإنسان الصالح ، حياة ذلك القانع بنصيبه المقسوم من الكل و بأفعاله العادلة و ميوله الخيرة¹⁵⁹ ... أرأيت إلى ذلك ؟ فانظر إلى هذا أيضا: لا ترهق نفسك ، كن بسيطا دائما . هل أساء إليك أحد ؟ إنما أساء إلى نفسه . هل ألم بك شيء ؟ حسن ، كل ما ألم بك كان مقدرًا عليك من الكل منذ البداية و منسوجا لك . وباختصار الحياة قصيرة ، اغتم اللحظة الحاضرة بالعقل و العدل . كن صاحبيا في استرخائك " ¹⁶⁰ .

يبدو من هذا النص الإيمان بفناء حياة الدنيا حيث أشار ماركوس أوريليوس إلى وجوب الاستعداد للرحيل بفعل الخير و الإكثار منه . و ذكر أن الحياة قصيرة مهما طال عمر الإنسان ، و أن لحظة الفراق آتية لا مفر منها و في ذلك إشارة إلى ركن آخر وهو الإيمان بالموت و العالم الآخر .

¹⁵⁶ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الثالث ، الفقرة . 4

¹⁵⁷ نفسه .

¹⁵⁸ نفسه ، الكتاب الرابع ، الفقرة . 24

¹⁵⁹ نفسه .

¹⁶⁰ نفسه ، الفقرة . 26

ج - الموت و العالم الآخر

امن ماركوس أوريليوس بأن الموت حق و العودة إلى العالم الآخر الذي خرج منه أول مرة حق أيضا ، فردد على نفسه كلمة " الموت " وعبارة " اللحظة الأخيرة " عدة مرات . و كان ينظر إلى الحياة كعابر سبيل أو كمرور العصفور أمامه ثم سرعان ما يخفى عن البصر . نقرأ مفهوم هذا الاعتقاد في الفقرات الآتية :

" ... لا ثبات لقدم ، ماذا يمكن للمرء أن يجلب من كل ما يتدافع أمامه ؟ كأنه ما يكاد يولع بعصفور يطير أمامه حتى يكون قد اختفى عن البصر . شبيهة بذلك حياتنا نفسها عابرة كزفير من الدم أو كشهيق من الهواء . لا فرق بين شهقة تأخذها و تعيدها إلى الهواء مثلما تفعل كل لحظة ، وبين أن ترد كل قدرتك التنفسية التي اكتسبتها عند ولادتك أمس أو أول أمس إلى العالم الذي سحبتها منه أول مرة " 161 .

" أنظر ورائك إلى الماضي ، إلى كل تلك التحولات الشديدة للأسر الحاكمة . وبوسعك عندئذ أن تتنبأ أيضا بما سوف يكون ، فمن المؤكد أنه سيكون مشابها لذلك تماما وأنه لا يمكن أن يحدد عن ايقاع الحاضر . و من ثم فانه إذا تأملت الحياة البشرية أربعين سنة أو عشرة آلاف من السنين ، فأني جديد عساك تراه ؟ " 162 .

" ما يأتي إلى الأرض فإلى الأرض يعود . أما ما يشطأ من بذرة سماوية فيعود حيث جاء إلى السماء " 163 .

نظر ماركوس أوريليوس إلى الحياة الدنيا بعين الاحتقار للتقليل من قيمتها حتى لا يغيره متاعها وشهواتها . و ظل يذكر نفسه بأنه سيفنى مهما طال عمره أو قصر وأنه سيأتي يوم يغادر فيه هذه الحياة ويعود إلى العالم الذي خرج منه أول مرة 164 .

واقترح أن من خرج من الأرض سيعود حتما إليها ، ومن جاء من بذرة السماء سيعود

161 ماركوس أوريليوس ، الكتاب السادس ، الفقرة . 15

162 نفسه ، الكتاب السابع ، الفقرة . 49

163 نفسه ، الفقرة . 51

164 ، نفسه ، الفقرة . 49

أيضا من حيث آتى ¹⁶⁵ . ولذلك وضع الموت في نصب عينيه وقرر أن يعيش ما تبقى من حياته في وفاق مع الطبيعة وكتب لنفسه هذا التأمل :

" تخيل أنك الآن ميت و أن حياتك انتهت في هذه اللحظة . عش ما تبقى لك من العمر في وفاق مع الطبيعة ¹⁶⁶ ... في كل حادث يطرأ عليك ضع نصب عينيك أولئك الذين مروا من قبلك بنفس الخبرة واستجابوا لها بالحدق أو بعدم التصديق أو بالشكوى . فأين هم الآن ؟ في لا مكان . هل تريد إذن أن تفعل مثلهم ؟ لماذا لا تدع هذه الأمزجة الغريبة عن الطبيعة لمن أثارها أو أثير بها ، وتتصرف بكل همتك إلى كيف تستخدم هذه الأحداث التي ألمت بك ؟ فعندئذ ستستخدمها استخداما حسنا ، وستكون خادما في يديك . فقط انتبه و كن حذرا ، وحاول جهد ما تستطيع أن تكون إنسانا صالحا في كل ما تفعله " ¹⁶⁷ .

أراد ماركوس أوريليوس تثبيت نفسه بالمقارنة مع الذين غرهم متاع الدنيا و نسوا لحظة الفراق التي ينتهي عندها العمر ، وهو يتساءل عن مصير هؤلاء " أين هم الآن ؟" ¹⁶⁸ ثم حذر نفسه من التقليد أو التشابه بهؤلاء ، وأن عليه أن يكون إنسانا صالحا في كل ما يفعله ¹⁶⁹ ، ويحسن استخدام ما تبقى من عمره لأنه على يقين بأن الساعة آتية لا ريب فيها ، و العودة إلى العالم الآخر حق حيث ذكر أن المسافة بين الميلاد و الموت قصيرة جدا: " ما أقصر المسافة بين الميلاد و الموت ، انظر أي عناء نحتمله في هذه المسافة ، و أية صحبة تكتنفها فيها ، ومع أي صنف من الناس و أي جسد واهن نقطعها بجهد جهيد . ليست الحياة إذن بالشيء الثمين . انظر إلى هول فجوة الماضي من ورائك و إلى اللانهاية الأخرى من أمامك ، ما الفرق من هذا المنظور بين رضيع عاش ثلاثة أيام و نستور* عاش ثلاثة أجيال " ¹⁷⁰ .

¹⁶⁵ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، الفقرة 51.

¹⁶⁶ نفسه ، الفقرة 56 .

¹⁶⁷ نفسه ، الفقرة 58 .

¹⁶⁸ نفسه .

¹⁶⁹ نفسه .

¹⁷⁰ نفسه ، الكتاب الرابع ، الفقرة 49 .

* نستور : ملك بيلوس و حكيم إغريقي ، ورد اسمه في حرب طروادة كما جاء في الإلياذة .

أهم ما يمكن ملاحظته في هذه الفقرة إشارة ماركوس أوريليوس إلى فكرة الخلود بعد الموت بقوله : " ... و إلى اللانهاية الأخرى من أمامك " ¹⁷¹ . وقد اختلف الكثير من الرواقيين حول هذا التصور حيث فيهم من نفى أي حياة أخرى أو عالم آخر بعد الموت ¹⁷² ، و منهم من صرح بأن الروح فانية و تموت في نفس الوقت الذي يموت فيه الجسد ، و البعض الآخر يعتقد بوجود حياة ثانية لكنها محددة من حيث الزمن. ¹⁷³ نستطيع القول أن الموقف الرواقي من الحياة و العالم الآخر تميز بالتذبذب و التناقض و الاضطراب وعدم الوضوح . وقد سار مارك أورل في البداية على نهج التشكيك لكن سرعان ما عاد إلى اليقين و عدل من تصوراته . و بذلك وضع فكرا خاصا به يتناسب و عقيدته بعد أن كان يردد بعض أفكار الرواقيين ، و توصل إلى الفعاعة بان هؤلاء على خطأ مخاطبا نفسه : " ... ألقى على الأشياء حجاب كثيف حتى بدت لعدد غير قليل من كبار الفلاسفة غير قابلة للفهم على الإطلاق ، و حتى الرواقيون أنفسهم بدت لهم الحقائق عصية على الفهم " ¹⁷⁴ .

و في موضوع الشك الذي طرحه بعض الفلاسفة ، يقدم ماركوس أوريليوس تصويره الآتي : " الكون لا يخرج عن حالين اثنين : فإما أنه فوضى و اضطراب و تشتت إلى ذرات ، وإما أنه وحدة و نظام و عناية . فإذا صح الافتراض الأول فلماذا أرغب في المكوث في عالم مركب عشوائيا و يعاني من مثل هذا الاختلاف ؟ و لماذا أتعب نفسي بشيء آخر غير تحول التراب إلى تراب ؟ ... فالتأثر سوف يصيبني إذن مهما فعلت . و إذا صح الافتراض الثاني أقدم إجلالي واقفا ثابتا لا أتزعزع ، متوكلا على من بيده تصريف كل الأمور " ¹⁷⁵ .

¹⁷¹ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ..

¹⁷² رينية هوفن ، الرواقية و الرواقيين إزاء مسألة الحياة في العالم الآخر ، ترجمة . أوفيليا فايز رياض ، دار الكتب ، القاهرة ، 1999 ،

ص.28

¹⁷³ نفسه .

¹⁷⁴ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الخامس ، الفقرة . 10

¹⁷⁵ نفسه ، الكتاب السادس ، الفقرة . 11

بعد طرح هذا الشك حول نظريات الفلاسفة ، أخذ ماركوس أوريليوس موقفا نهائيا بأنه سيقف ثابتا متوكلا على الخالق الذي بيده تصريف كل الأمور ¹⁷⁶ ، وأنه لا أحد يستطيع أن يزعزع إيمانه ، وسينسى كل التصورات السابقة التي كانت في ذهنه و سيعتبرها مجرد أحلاما : " أفق من نومك ، وعد إلى رشك ، لتدرك أن كل الذي عكر صفوك كان أضغاث أحلام " ¹⁷⁷ .

أمام نفي الفلاسفة للحياة الأخرى بعد الموت ، لم يعد ماركوس أوريليوس يتقبل أي تصور خارج عن أركان فلسفته و أصبح يؤمن باليقين الآتي : " إذن تذكر هذا : أن هذا المركب الهزيل ، الذي هو أنت ، لا بد أنه سوف يتبدد ، أو أن روحك الضئيلة سوف تبيد ، أو ستهاجر وتتخذ مقاما آخر ¹⁷⁸ ... كيف يمكن أن تموت مبادئك ما لم تمت التصورات العقلية المناظرة لها ؟ ولكن بيدك أن تتذكر هذه التصورات باستمرار و تحي ضرامها . بوسعي أن أتخذ هذا الرأي الذي ينبغي اتخاذه في هذا الشيء . و مادام ذلك بوسعي فلماذا أبتئس كل ما يقع خارج عقلي لا شأن لي به على الإطلاق . تعلم هذا : تقف ثابتا ، بوسعك أن تعيش مرة أخرى وانظر إلى الأشياء مرة ثانية كما اعتدت أن تنظر إليها . فهكذا تسترد حياتك و تستأنفها " ¹⁷⁹ .

بهذا التصور ، ينفرد ماركوس أوريليوس بعقيدة متميزة تختلف عن تصورات الفلسفة الرواقية المعروفة آنذاك ، لكنه وجد نفسه في صراع داخلي بين تقاليد التمجيد عند الرومان و مبادئ عقيدته ، ففي هذا الموقف أي قرار اتخذه مارك أورل ؟

¹⁷⁶ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق .

¹⁷⁷ نفسه ، ، الفقرة . 41

¹⁷⁸ نفسه ، الكتاب الثامن ، الفقرة . 25

¹⁷⁹ نفسه ، الكتاب السابع ، الفقرة . 2

2 - ماركوس أوريليوس بين المجد و العقيدة

ليس من السهل للفيلسوف الرواقي المتميز مثل ماركوس أوريليوس تقبل تقاليد الرومان أو مخالفتها . فهو في منصب يستوجب عليه رفع راية أمجاد روما . لكنه إيمانه بفناء حياة الدنيا والعودة إلى العالم الآخر جعله لا يبالي بالمجد و لا بالمنصب إذ قال : " ما أكثر الذين حلقوا إلى أعالي المجد يوما ما ، و هم الآن في غمرة الخمول . و ما أكثر الذين تغنوا بمجد هؤلاء واندثروا منذ زمن طويل ¹⁸⁰ ... الألفاظ التي كانت شائعة قديما هي الآن مهجورة . كذلك أيضا أسماء الذين كانوا مشاهير ذات يوم وهي أيضا مهجورة أمثال ¹⁸¹ : كاميلوس* ، كايوس ، قوليسوس** ، دينتاتوس*** ، وبعدهم بقليل سكيبيو**** و كاتو ثم أوغسطس و أيضا هادريانوس و أنطونينوس . كل الأشياء تتلاشى و سرعان ما تتحول إلى أسطورة و يلفها النسيان . هذا بالنسبة للذين تألقوا على نحو مذهش ، أما البقية فما يكادون يلفظون أنفاسهم الأخيرة حتى يختفون عن العين و الفكر . فما تكون الذكرى الخالدة إذن ؟ لا شيء . و إلى أين إذن ينبغي على المرء أن يسعى ؟ إلى هنا فقط : فكر صائب ، و فعل الخير للعام ، و قول لا يعرف الكذب ، و تقبل لكل ما يجري كشيء ضروري و عادي و نابع من مبدأ ¹⁸² .

¹⁸⁰ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، الفقرة . 6

¹⁸¹ نفسه ، الكتاب الرابع ، الفقرة . 33

* كاميلوس : من أبرز قادة الرومان عاش ما بين 446 ق.م و 365 ق.م و ينحدر من عائلة نبيلة ، وهناك من وصفه بالبطل و البعض الآخر نعتة بالدكتاتور ، المزيد من المعلومات أنظر :

TITE LIVE , Histoire romaine , livre V , 19 , trad. GASTON BAILLET , France , 1846

** كايوس : قائد روماني له خبرة و حنكة عسكرية ، عاش ما بين عام 157 ق.م و 86 ق.م ، المزيد من المعلومات أنظر :

JEAN VAN OTEGHEM , Caius Marius , Academie royale classe des lettres , mémoires 2^e série , Belgique , p .503

*** قوليسوس : رجل سياسي روماني ، اشتغل منصب القاضي عام 99 ق.م و القنصل سنة 94 ق.م ، المزيد من المعلومات أنظر :

J.AMPERE , l'empire Romain , tome premier , Paris .1867 , p.6

**** دينتاتوس : رجل سياسي روماني ، كان ممثلا للعامه عام 298 ق.م ثم ارتقى إلى منصب القنصل سنة 290 ق.م ، حقق انتصارات كبيرة على السامنتين ، المزيد من المعلومات أنظر :

PLUTARQUE , op cit , tome troisieme , XXXV

***** سكيبيو : قائد روماني عاش ما بين 236 ق.م و 183 ق.م ، قاد حربا ضد قرطاجة خلال الحرب البونوية الثانية ، المزيد من

المعلومات أنظر : Ibid , IX

¹⁸² ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق .

بعد تأمل ماركوس أوريليوس في أمجاد الرومان أمثال كاميليوس، كايوس ، قوليسوس ، دينتاتوس ، سكيبيو و كاتو وبعده أوغسطس ، هادريانوس و أنطونينوس ، تساءل عن مصير هؤلاء وأجاب أنهم تلاشوا واختفوا و أصبحوا مجرد أسطورة غمدها النسيان ، واستنتج أنه لا ينفع المجد و لهذا على الإنسان أن يكثر في فعل الخير و قول الصدق قبل فوات الأوان و الرجوع إلى العالم الآخر فقال : " لا تتخبط و لا تخدع نفسك أكثر من ذلك ، فما أحسبك سوف تقرأ مدوناتك . لا ينفع لا تواريخك عن قدماء الإغريق و الرومان و لا مختاراتك من الأدب التي أعدتها لزمان شيخوختك . أسرع إذن إلى النهاية ، و أقلع عن الآمال الزائفة . أنقذ نفسك إن كان لنفسك عندك أدنى اعتبار قبل أن يفوت الأوان " 183 .

كان جواب ماركوس أوريليوس من خلال هذه الفقرة واضحا ، فقد أبعد عن نفسه الغرور و حب الدنيا وظل يتذكر أن كل ما يبني للشهرة و المجد يتركه الإنسان وراءه لأن لحظة فراق الحياة آتية لا ريب فيها . ونصح نفسه أن ينظر إلى الأشياء باليقين فقد كرر هذا المعنى عدة مرات ليثبت نفسه ونقرأ ذلك في الفقرات الآتية :

" أم لعلك إذن تتحرق إلى شيء من المجد . فاذكر كم هو سريع النسيان هذا العالم ، و اذكر الفجوة الزمنية السابقة للحاضر و اللاحقة عليه ، و كم هو فارغ ذلك الإطراء الذي تجده عند الآخرين ، و كم هم متقلبون و عديمو الرأي أولئك الذين يتظاهرون بتأييدك ، و كم هي ضيقة تلك المساحة التي يجول فيها مجدك ... الأرض مجرد نقطة في الفضاء ، فما أهون ذلك الركن الذي تقطنه و ما أقلهم و أهونهم أولئك الذين ترتقب منهم التمجيد و المدح " 184 .

" لا يدرك المثلهف على المجد و بقاء الذكر أن كل واحد من مخلدي ذكره سوف يموت هو نفسه عاجلا جدا ، و كذلك سيكون حال الإخلاف جميعا إلى أن تتطفئ ذكراه تماما في انتقالها عبر أناس يعجبون ببلاهة و يفنون . و حتى لو افترضنا خلود من يذكرونك و خلود ذكراك فماذا يجديك من ذلك ؟ ... ما جدوى المديح ؟ كأنني بك

183 ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق، الفقرة . 14

184 نفسه ، الكتاب الأول ، الفقرة . 3

ترفض هبة الطبيعة التي أودعتك إياها و التي لا تعتمد على أقوال الآخرين ،
و تتشبت بشيء آخر ¹⁸⁵ ... قصيرة هي حياة المادحين و الممدوحين معا ،
الذاكرين و المذكورين ¹⁸⁶ ."

" اغتم اللحظة الحاضرة ، فان الذين ينصرفون عنها ابتغاء المجد بعد الموت لا
يقدرّون أن الأجيال التالية سيكون بها أناس يشبهون تماما أولئك الذين يبغضون الآن .
و هؤلاء أيضا سوف يموتون " ¹⁸⁷ .

يتبين من هذه الفقرات ثبات ماركوس أوريليوس رعلى أركان عقيدته و عدم
تقبل أي إغراء يززع إيمانه . وبهذا أصبح المجد بعيدا عن طموحاته لأنه لا يتمشى
مع الذي يوجه نفسه إلى خالق الكون و ينتظر اللحظة الأخيرة للرجوع إليه . فقد
نقد الفلاسفة الذين لا يدعون إلى هذا السبيل و يكتفون بالنسبة له بالخير القليل ،
منهم الفيلسوف ديمقريطس الذي كان يوما قدوة له حيث قال عنه : " يقول
ديمقريطس : إذا شئت أن تعيش سعيدا فلا تعمل إلا أقل القليل . و لكن أليس من
الأفضل أن تقول : لا تعمل إلا ما هو ضروري ، إلا ما يتطلبه عقل كائن اجتماعي
بالطبيعة " ¹⁸⁸ .

يبدو من هذا النقد تميز فكر ماركوس أوريليوس عن الرواقيين الآخرين ، إذ
أدخل تعديلات كثيرة على فلسفتهم مما جعل عقيدته متميزة تستجيب لفكر عقائدي
يحمل أركان إيمان ثابت الذي يحدد و وظيفة الإنسان في هذه الحياة بطرح هذا
التساءل : " و إلى أين إذن ينبغي على المرء أن يسعى ؟ ¹⁸⁹ ... عليك إذن أن
تقضي هذه المدة الضئيلة من الزمان في انسجام مع الطبيعة ، و غادرها راضيا

¹⁸⁵ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الرابع ، الفقرة . 19

¹⁸⁶ نفسه ، الكتاب الثامن ، الفقرة . 21

¹⁸⁷ نفسه ، الفقرة . 44

¹⁸⁸ نفسه ، الكتاب الرابع ، الفقرة . 24

¹⁸⁹ نفسه ، الفقرة . 33

مثلا تسقط زيتونة حين تبلغ النضج ، مباركة للأرض التي حملتها و شاكرة للشجرة التي منحتها النماء ¹⁹⁰ .

تحرر ماركوس أوريليوس في هذه الفقرة من كل أنواع الشكوك و التردد الذي لازمه في بداية تأملاته ، و توصل بقناعة إلى الإيمان بفناء الحياة و أشكال الشهرة و المجد ، و أن الموت حق ، و العودة إلى العالم الأول الذي خرج منه أول مرة حق أيضا ، و شبه نفسه بالزيتونة التي تسقط على الأرض بعد نضجها ، على أنها عادت إلى مكانها الأول . ولهذا وجب عليه أن يحمد الذي خلقه و جعله سبل الرزق و النماء ¹⁹¹ ، و شاكر لوالده الذي رباه على الفضيلة قائلا : " كن تلميذا لأنطونينوس في كل شيء ... كان مخلصا و عادلا في صداقاته ، متسامحا مع المعارضة لأرائه ، مرحبا بالمشورة التي ترشده إلى ما هو أقوم ، خاشعا لله من غير شعوذة أو خرافة ¹⁹² . يفهم من هذا القول أن أنطونينوس والد ماركوس أوريليوس بالتبني كان رواقيا في أفكاره ، وله معارضون لأرائه ، ما يدل على أن طبيعة هذه المعارضة كانت ضد مبدأ المساواة و العدالة الاجتماعية ، و بلا شك أن هؤلاء المعارضون هم النبلاء ذوي النفوذ في مجلس الشيوخ و الذين أشار إليهم فرونطو في مراسلاته حيث نعتهم بالطغاة ¹⁹³ .

الخلاصة

نستنتج مما سبق أن الظروف العامة لبلاد المغرب القديم تحت ظل سياسة الاحتلال الروماني ، من أهم العوامل التي وجهت فكر فرونطو إلى التفكير في إيجاد سبل تحرير السكان من العبودية بعد إدراج المنطقة في أملاك الشعب الروماني المنتصر ،

¹⁹⁰ ماركوس أوريليوس ، الفقرة . 48

¹⁹¹ نفسه .

¹⁹² نفسه ، الكتاب السادس ، الفقرة . 30

¹⁹³ MARC AURELE , loc .cit

في الوقت الذي فشلت المقاومة المسلحة في الوطن الأم "نوميديا" التي قادها الملك يوغرطة (111 ق.م - 105 ق.م). و في هذه الظروف أدرك فرونطو أن المواجهة العسكرية ضد الرومان لم تعد وسيلة فعالة لتغيير الأوضاع ، ولم يجد حينئذ أمامه بديلا آخر سوى القلم و السياسة ، فرسم إستراتيجية سياسية إصلاحية ترمي إلى انتزاع بعض الحقوق لصالح سكان المقاطعات . و في إطار المهمة التي كلفه أنطونان التقي لتعليم ماركوس أوريليوس البلاغة ، استغل هذه الفرصة في تحقيق غايته ، فكانت تقريبا كل الدروس التي كان يقدمها تحمل طابعا سياسيا هادفا .

فقد وجه فرونطو تلميذه إلى قراءة مؤلفات البلغاء القدامى أمثال سقراط و شيشرون . هؤلاء لهم توجه رواقى ، إذن المعلم فرونطو له خبرة بيداغوجية في كيفية توجيه ميول المتعلم نحو هدف و غاية معينة ، لأن في هذه المرحلة تتشكل و تتكون شخصية المتعلم . فتربية ماركوس أوريليوس على الفكر الرواقى من ضمن أهداف فرونطو باعتباره مذهب أسس على الفضيلة ونبذ الاستبداد ، و تجسيد القانون الإلهي القائم على العدالة و المساواة بين الناس . فكانت النتيجة تشبع تلميذه بتلك المبادئ . ثم انتقل فرونطو إلى المرحلة الثانية حيث حث ماركوس أوريليوس على الاقتداء بنموذج الاسكندر المقدوني الذي احترم ثقافات الشعوب . و الواقع أن الهدف الاستراتيجى من هذا الاقتداء هو تطبيق أسس الفضيلة في الميدان و إعداد الفكر الرومانى للاعتراف بحقوق العامة بشكل قانونى أى إصدار قانون يحمى حق المواطنة الذي تحقق في سنة 212 م بعد وفاته عام 170 م ، أى بعد 42 سنة .

الفصل السادس

دور فرونطو و ماركوس أوريليوس في إثراء الفكر

الروماني

أولا : دور فرونطو في إثراء الفكر الروماني

ثانيا : دور ماركوس أوريليوس في إثراء الفكر الروماني

أولاً : دور فرونطو في إثراء الفكر الروماني

1 - في مجال التعليم

1 - البيداغوجيا :

إن كلمة " البيداغوجيا " كلمة إغريقية تدل على الذي يرافق الطفل من البيت إلى المدرسة¹. و في دلالاتها اللغوية هي تهذيب الطفل و تأديبه و تطهيره و تكوينه و تربيته² ، و تقوم على ثلاثة عناصر رئيسية وهي : المعلم ، المتعلم و المعرفة، وعبارة أخرى المعلم هو الذي يقوم بمهمة تكوين المتعلم ضمن علاقة بيداغوجية تربوية . و ما يعلمه المعلم من معارف و أفكار و محتويات و تجارب يدخل ضمن العملية التعليمية و التعلمية أو ما يسمى أيضا بالديداكتيك أي فن التعليم³ ، الذي يبنى على منهج علمي لتنظيم وضعيات التعلم التي يعيشها المتعلم لبلوغ هدف عقلي أو وجداني أو مهاري . و تنصب الدراسات الديداكتيكية على الوضعيات العملية التي يلعب فيها المتعلم الدور الأساسي . بمعنى أن دور المدرس هو تسهيل وضعية التعلم بتصنيف المادة التعليمية تصنيفا يلائم حاجات التلميذ و تحديد الطريقة الملائمة لتعلمه . و هذا المفهوم جسده فرونطو خلال إشرافه على تربية و تعليم مارك أورل ، و قد سبق أن تطرقنا في الفصل الثالث إلى إستراتيجيته ، و التمسنا خلالها الكفاءة البيداغوجية و العلمية التي تميز بها هذا المعلم ، و كان دوره في العملية التعليمية التعلمية هو التوجيه ، حيث كان هو المحرك و المنشط و المرشد لهذه العملية بطريقة محكمة و هادفة و شاملة . و سعى إلى تحفيز الميل و الدافعية للتعلم لدى تلميذه ، ما يدل على درايته بشروط التعليم و التعلم .

¹ أحمد أوزي ، المعجم الموسوعي لعلوم التربية ، الطبعة الأولى ، دار النجاح الجديدة ، 2006 ، ص.150

² جميل حمداوي ، مكونات العملية التعليمية - التعلمية ، الطبعة الأولى ، المغرب ، 2015 ، ص.5

³ نفسه .

إضافة إلى ذلك فقد دعا إلى التجديد و الإبداع⁴ ، لأنهما أساسيان في عملية إثراء الفكر الحضاري الموروث عبر الأجيال . كما أن الحداثة أو الأصالة هي الركيزة المهمة في البيداغوجيا و الديدانكتيك⁵ ، لأنها تعمل على إنماء مهارات التفكير و الذاكرة . و هذه الأخيرة لها علاقة و دور مهم في عملية التفكير ، لأنه لا يصلح التفكير دون ذاكرة سليمة . كما أن الإنسان بدون ذاكرة كأنه يولد من جديد في كل لحظة⁶ . و قد أثبتت الدراسات أنه بدون ذاكرة لا توجد معلومات لإجراء عملية التفكير ، و بدون التفكير تصبح المعلومات مخزنة فقط ، إذن هناك علاقة وثيقة بين التفكير و الذاكرة و الإبداع . و هذا الأخير أساس العملية الفكرية المميزة⁷ لأنه يحتل النشاط العقلي الذي يبذله الفرد ، و يأخذ هذا النشاط صوراً مختلفة كالمقارنة و الاستنباط و التحليل و التركيب و التقويم و اتخاذ القرار⁸ . و لهذا يتميز التفكير بمجموعة من الخصائص : أنه نشاط عقلي ملموس و غير مرئي ، يشتمل على مجموعة من العمليات المعرفية كالتذكر و الفهم و التخيل ، ينشأ من عوامل خارجية و يتم وفق عوامل داخلية تؤدي إلى السلوك الذي يحل المشكلة ، يستدل بالسلوك الظاهر ، وله مستويات متعددة تدل على قدرة الفرد على تنظيم معلومات و تكامل خبراته ، إضافة إلى هذه الخصائص يمكن ملاحظة عملية التفكير و قياسها و التعرف على مدى نموها ، و كذلك يمكن تنمية التفكير عن طريق التدريب على المهارات⁹ . و لهذا أصبحت تنمية مهارات التفكير هدفاً من أهداف التربية و التعليم¹⁰ . في هذا الصدد كانت الإستراتيجية التعليمية التعليمية التي سار عليها فرونطو تعكس مدى تحكمه في التنظيم الديدانكتيكي ، فقد ربط

⁴ FRONTON , lettre AM.César.28

⁵ YASSINE ZOURI , pédagogie et didactique à l'épreuve de la modernité ,

vol.4,N.13,2013,p.11,<http://journal.openedition.org/questionsvives/237>

⁶ لما الحبابي ، تنمية مهارات التفكير ، التعليم الموازي – جامعة سلمان بن عبد العزيز ، المملكة العربية السعودية ، 2015 ، ص.2.

⁷ نفسه.

⁸ نفسه.

⁹ نفسه.

¹⁰ نفسه.

التخطيط البيداغوجي بعمليات التنفيذ و التطبيق و التقويم ، و حول المفاهيم المجردة (النظرية) إلى آلية ضرورية لتحقيق الجودة الكمية و الكيفية ، و أداة ناجعة للتخلص من الاضطرابات و العشوائية و العفوية ، و كذلك آلية مهمة لتحسين القيادة التربوية وفق مقاييس منهجية علمية مقننة و موضوعية ، و من ثم فتنظيم العملية التعليمية التعليمية هو إدارة شاملة لجميع العمليات التي تعرفها الديداكتيكية من بدايتها إلى نهايتها¹¹ . و من المعلوم أن للتخطيط الديداكتيكي عدة وظائف منها : وظيفة التخطيط المرحلي على المستوى البعيد ، وعلى المستوى المتوسط و على المستوى القريب¹² ، و قد لاحظنا ذلك في الأهداف القريبة و البعيدة التي حددها فرونطو في إستراتيجيته خلال الدروس التي كان يقدمها على شكل وضعيات تعليمية مبنية على بيداغوجية الكفاءات و هي مقارنة جديدة من إبداع فرونطو . و الكفاءة (compétence) هي عبارة عن قدرات و ملكات ذاتية أساسية و نوعية ، يتسلح بها المتعلم أثناء مواجهته لوضعية أو مشكلة ما في واقعه الشخصي أو العام ، و بتعبير آخر هي تلك القدرة التي يوظف فيها المتعلم مكتسباته و معارفه القبلية حين وجوده أمام وضعيات جديدة معقدة و مركبة . و من ثم ، فالذكاء الفعلي يتمثل في توظيف الكفاءات و القدرات في حل المشاكل المستعصية بيداغوجيا و ديداكتيكا ، ويعني هذا كله أن الكفاءات تشمل المعارف و الموارد و المهارات و المواقف التي يستحضرها المتعلم لمواجهة الوضعيات التي يواجهها في محيطه . أي أن المتعلم يستثمر موارده عند مواجهة المشاكل المعقدة و الوضعيات الجديدة ، باختيار الحلول المناسبة أو التوافق بين مجموعة من الاختيارات لحل المشاكل التي يواجهها في حياته الشخصية و العملية¹³ . إنها بمثابة هدف و مرمى في آن واحد ، متمركزة حول البلورة الذاتية لقدرة المتعلم على الحل الجيد للمشاكل المرتبطة بمجموعة من الوضعيات ، بالاعتماد على معارف مفاهيمية و منهجية

¹¹ لما الحبابي ، المرجع السابق .

¹² جميل حمداوي ، المرجع السابق ، ص.14.

¹³ نفسه .

مندمجة و ملائمة¹⁴ . ولربط المتعلم بواقعه ، يستلزم على المرابي تزويده بالمعارف و الثقافة الواسعة ، وهذا ما فعله فرونطو حيث قدم دروسا حول علوم البلاغة و الخطابة لاكتساب اللغة السليمة والأسلوب البليغ ، ثم زود تلميذه ماركوس أوريليوس بثقافة تاريخية واسعة شملت جوانب عديدة : سياسية ، عسكرية ، تاريخية و أدبية من أجل التكوين وإعداده لمواجهة واقع لا يخلو من العقبات و التحديات ، و ذلك عن طريق اكتساب الكفاءات الضرورية والاستقلالية الشخصية ليكون قادرا على تحمل المسؤولية و الاعتماد على الذات في حل جميع المشاكل التي تطرحها الوضعيات . و في هذا السياق ، كانت الدروس التي قدمها فرونطو عبارة عن وضعيات تعليمية ملموسة تصف الإطار الأكثر واقعية . و المراد هنا بالوضعيات (la situation) التموذج المكاني في إطار معين¹⁵ ، و في معاجم اللغة العربية هي كلمة تدل على الإثبات في المكان أي أن الوضعية بمثابة الإطار المكاني للذات و الشيء¹⁶ . و تعرف الوضعية في مجال التربية و الديدكتيك بأنها وضعية ملموسة تصف في الوقت نفسه الإطار الأكثر واقعية ، و المهمة التي يواجهها التلميذ من أجل تشغيل المعارف المفاهيمية و المنهجية الضرورية لبلورة الكفاءة و البرهنة عليها¹⁷ ، و بعبارة أخرى الوضعية هي واقعية ملموسة يواجهها التلميذ بقدراته و مهاراته وكفاءاته عن طريق حلها . و الوضعيات ليست سوى التقاء عدد من العوائق و المشاكل في إطار شروط و ظروف معينة . فهي تطرح إشكالا عندما تجعل الفرد أمام مهمة عليه انجازها بشكل تجعل المتعلم في تحدي معرفي يتطلب منه معرفة و حسن استثمار قدراته¹⁸ . و في هذا الموضوع جعل فرونطو تلميذه مارك أورل محور العملية التعليمية التعليمية ، و أعدده للحياة العملية و لواقع ذلك العصر لمواجهة تحدياته

¹⁴ بيير ديشي ، تخطيط الدرس لتنمية الكفاءات ، ترجمة . عبد الكريم غريب ، الطبعة الأولى ، منشورات علم التربية ، مطبعة دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2003 ، ص.121

¹⁵ PAUL ROBERT, le petit Robert , Paris ,1992,p.378

¹⁶ ابن منظور ، لسان اللسان ، الجزء الثاني ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1993 ، ص.743

¹⁷ بيير ديشي ، المرجع السابق ، ص.181

¹⁸ محمد الدريج ، الكفايات في التعليم ، المعرفة للجميع ، العدد .16 ، المغرب ، أكتوبر 2000 ، ص.60

و صعوباته ، و سلحه بمجموعة من القدرات للتفاعل مع محيطه . فقد أعد له وضعيات بمقاييس علمية لها خصائصها على شكل ألغاز ينبغي حلها باستثمار الدروس و القدرات المكتسبة و صياغتها بلغة واضحة و سليمة . و على العموم تهدف بيداغوجية فرونطو إلى تأهيل تلامذته لتحمل مسؤولياتهم بطريقة تقوم على الإبداع و المسؤولية الشخصية و التعلم الذاتي ، و من جهة أخرى تسعى إلى تشجيعهم على البحث و الاستكشاف و الابتكار ، كما تساعدهم على التحلي بروح العمل و تحقيق الجودة و المبادرة الحرة ، أي تكوين مواطن مسؤول و كفاء . و من ثم فإن فلسفة المقاربة بالكفاءات هي آلية من آليات الإبداع و الابتكار والإنتاج والعمل و التطور الديناميكي¹⁹ . في إطار التعليم و التعلم ، كان لفرونطو مقاربة تربوية جديدة تهدف إلى تقوية و تنمية ملكات العقل لدى المتعلم و تنمية المواقف و الكفاءات المعرفية و المنهجية ، حيث تتحول فيها المحتويات إلى قدرات و وضعيات مترابطة . و بهذا يكون فرونطو قد خرج عن إطار التعلم التقليدي القائم على اعتبار المدرس صاحب سلطة معرفية مطلقة الذي يقدم المحتوى المعرفي جاهزا للمتعلمين . و من ثم يصبح المتعلم لا يمكن الاستغناء عن مدرسه ، و لا يستطيع أيضا مواجهة ما يتعرض له من المواقف المستجدة ، لأنه لا يملك الكفاءات و المهارات المهنية و المنهجية و التواصلية و الذهنية و اللغوية ، و يقف مكتوف اليدين عاجزا عن التأقلم و التكيف مع مستجدات الواقع ، لأن معارفه نظرية مجردة غير وظيفية ، تنقصها الممارسة و الخبرات التجريبية²⁰ . بينما انتهج فرونطو طريقة التعليم بالممارسة و الكفاءات عبر أداءات و انجازات طوال سيرورة التعلم و وضعه في وضعيات مشكلة تعكس مشاكل الواقع المحيط بتلامذته . و كان تركيزه على الكيف و تكوين المتعلم ، و بالتالي اقتصر دوره على التوجيه ، و أصبحت دروسه عبارة عن خبرات و ممارسة و كيفية تنمية المهارات و القدرات المعرفية

¹⁹ جميل حمداوي ، المرجع السابق ، ص.41

²⁰ نفسه ، ص.43

و الوجدانية و المهارية . و علم تلميذه ماركوس أوريليوس كيف يعتمد على نفسه و يكون نفسه بنفسه ، و كيف يبحث و يفكر و ينظم ما بحث عنه بطريقة منهجية و وظيفية و هكذا تتأسس بيداغوجية الكفاءات على المتعلم لا على المدرس ، بمعنى أن الدرس يتحول إلى مجموعة من الوضعيات المركبة التي ينبغي على المتعلم مواجهتها من خلال الموارد التي يمتلكها، حيث يوظفها بشكل ملائم و مناسب من أجل تحقيق الكفاءة الأساسية و الهدف الأنجع ، و من ثم ، فالمدرس في هذا التصور ، مرشد و موجه ، يهيئ الوضعيات الجديدة و يطرح المشاكل المعقدة التي ينبغي أن يحلها المتعلم . و يعني ذلك أن الدرس يتحول إلى مجموعة من الوضعيات المتدرجة من البساطة إلى التعقيد، حيث تكون واضحة و دالة و هادفة و بناءة و محفزة على العمل و الاجتهاد و النجاح . و أكثر من هذا ، فالمدرس ليس مالكا للمعرفة ، بل هو مجرد محضر للأسئلة و التوجيهات و الوضعيات ²¹ .

و في الواقع إستراتيجية فرونطو عملية تدفع المتعلم إلى إعادة تنظيم المعلومات المخزنة عنده و تكيفها بشكل يمكنه من رؤية علاقات جديدة لم تكن معروفة لديه من قبل . و يطلق على مثل هذه المقاربة بإستراتيجية التعليم بالاكشاف ²² ، و تكمن أهمية هذا الأخير أنه يساعد المتعلم في تعلم كيفية تتبع الدلائل و تسجيل النتائج و بذلك يتمكن من التعامل مع المشكلات الجديدة . و من مزايا هذه المقاربة : أنها يتوصل بها التلميذ إلى استدلالات باستخدام التفكير المنطقي ، تشجع التفكير الناقد ، تنمي المستويات العقلية العليا كالتحليل و التركيب و التقويم و التحرر من التبعية للآخرين ، و تجعل المتعلم يلعب دورا فاعلا في اكتشاف المعلومات و تنمية الإبداع مما يزيد من دافعيته نحو التعلم ²³ . و التحكم في هذه المقاربة التعليمية يتوقف على مدى مهارة المعلم في تكييف دروسه في إطار وضعيات تتفاعل مع المتعلمين ، و يندرج ذلك في فنون الديداكتيكية التي

²¹ جميل حمداوي ، المرجع السابق ، ص.44

²² فاطمة محمد العبودي ، استراتيجيات التعلم و التعليم و التقويم ، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن ، رياض ، 2014 ، ص.34

تقنن فيها فرونطو إذ عرف كيف يجذب تلميذه ثم وضعه في مواقف تعليمية واقعية تستوجب اليقظة و إيجاد حلول مناسبة لها .

و الجدير بالذكر أن فرونطو كان يتميز بميزة الأصالة حيث ينفر من التقليد و تكرر ما يفعله الآخرين²⁴ أي الابتعاد عن الشائع و المؤلف ، و كان يحب كثيرا الجديد و الأصيل . لقد غرس في تلامذته هذه الميزة و شجعهم على التفكير الإبداعي²⁵ ، الذي يهدف و يؤدي إلى التطوير و التجديد . و المبدع هو شخص ذو تفكير أصيل يتجنب تكرر و نقل أعمال الآخرين²⁶ . و في هذا الصدد يمكن الحكم على فكرة الأصالة في ضوء عدم خضوعها للأفكار الشائعة مع الحرص على الإثراء و إظهار البصمة الشخصية المميزة و الأصيلة . و في سياق الحديث عن عمليتي التعليم و التعلم ، كانت أنشطة فرونطو مبنية على الإدماج و الربط بين المكتسبات القديمة القبلية و المكتسبات الجديدة . فكان يبني نشاطه الإدماجي على فعالية التلميذ الذي يستلزم عليه تعبئة كل معارفه السابقة لحل الوضعية المطروحة أمامه²⁷ . و المعلوم أن النشاط الإدماجي في المقاربات الجديدة يتركز على تحديد الكفاءة المستهدفة تحقيقها في نهاية كل وضعية تعليمية و تدعم بأنشطة تقويمية ، بمعنى أن التقويم في هذا المجال يقيس كفاءات المتعلم و كيفية حله للوضعية المشكلة المطروحة أمامه . و يقوم التقويم في هذا المستوى على أنشطة التقدير و القياس و التصحيح و المعالجة ، و يعني هذا أن أنشطة التقويم هي بمثابة وضعيات إدماجية تتطلب حلا من قبل المتعلم و ذلك بالاعتماد على مجموعة من معارفه و مكتسباته السابقة²⁸ .

يفهم من ذلك أن التقويم هو الحكم على قيمة الشيء و تقديره لتقويمه . كما يعرف

²⁴ FRONTON ,loc.cit

²⁵ Ibid

²⁶ Ibid.

²⁷ جميل حمداوي ، المرجع السابق ، ص.51

²⁸ نفسه .

بأنه عملية إصدار حكم على قيمة الأشياء أو المواقف أو الأشخاص²⁹ ، اعتماداً على معايير محددة ، و استخدام الطرق و المقاييس للحكم على المتعلم أو وضع الدرجات أو التقارير . و هو بمثابة جزء لا يتجزأ من عملية التعلم و مقوماً أساسياً من مقوماتها³⁰ . و تقويم التعلم هو العملية التي ترمي إلى معرفة مدى النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف العامة للتعلم³¹ . لقد أعطى فرونطو للتقويم أهمية كبيرة ، فقد ظل يقوم أعمال ماركوس أوريليوس و يحدد له مواضع النقص و يثمن في آن واحد جهوده لغرس فيه الثقة في النفس ، و كان ذلك من بين أهداف فرونطو إذ سعى إلى إعداد تلميذه و تربيته تربية اجتماعية تقوم على فهم كل ما يحيط به في محيطه و بيئته .

ب - التربية الاجتماعية

إن التربية الاجتماعية هي العمل الإنساني الدائم الذي يحقق للمجتمع تجديد نفسه للارتقاء إلى مستويات أفضل باستمرار³² . و هي أيضاً العملية التي عن طريقها يتعلم النشء ثقافة مجتمعه بما فيها القيم و المثل و الأعراف و العقائد و النظم و القوانين و العادات و التقاليد . و التربية بمفهومها العام هي وسيلة الاستمرار الاجتماعي للحياة ، وكذلك هي السبيل لتجديد الحياة بمستوياتها الاجتماعية و الخفية و عن طريقها يكتسب الفرد المهارات و الاتجاهات التي تساعد على مواكبة متطلبات الحياة³³ . و على ذلك فالتربية هي عملية تكيف ما بين الفرد و بيئته الاجتماعية و الطبيعية باعتبار أن الإنسان مثل غيره من الكائنات الحية ، يسعى دوماً إلى المحافظة على بقائه ، و البحث على الوسيلة التي تساعد على تعديل سلوكه و تنمية قدراته ، و تكوين عادات و مهارات تفيده في حياته . فالوظيفة الأساسية للتربية هي أن

²⁹ فاطمة محمد العبودي ، المرجع السابق ، ص.42.

³⁰ نفسه .

³¹ نفسه .

³² محمد بريكو ، بن عمر قريني ، نورية صبار ، عبد الرحمان ياسين ، مدخل إلى علوم التربية ، دائرة التكوين المتواصل ، الإرسال

الأول ، وهران ، 2005 ، ص.11.

³³ نفسه .

الإنسان يصبح قادرا بواسطتها على تكيف حاجاته مع الظروف المحيطة به ، و كذا إمكانية تسخيرها بما يستجيب لدوافعه و متطلباته ، ليحقق له النمو المتوازن ³⁴ . و التربية الاجتماعية لها دور أساسي في اكتساب المتعلم المبادئ و المهارات و الاتجاهات الخاصة المعبرة عن فلسفة مجتمعه و طريقة التمسك بها من أجل الصالح العام . من هذا المنظور ، أخذ فرونطو التنشئة الاجتماعية بعين الاعتبار لأنه مكلف بإعداد ماركوس أوريليوس لقيادة العالم الروماني من جميع النواحي السياسية و العسكرية و الاجتماعية و الثقافية . و من أجل ذلك كان يعلم تلميذه ثقافة القيم و أدب احترام أخلاق و أعراف المجتمعات ³⁵ ، و ضرب له نموذج الاسكندر المقدوني للاقتداء به من باب توقيير و احترام عادات و تقاليد الشعوب و العمل على تكريس مبدأ التعايش الثقافي بين مختلف المجتمعات المنطوية تحت ظل الإمبراطورية ³⁶ .

و لقد لفته مفهوم المجتمع الذي يعمل على توحيد أفراده بالتعاون المتبادل و الشعور الودي . كما جعل تلميذه يحس بالمسؤولية الكبيرة التي أقدم على حملها . و أنه يستوجب عليه تجسيد الدروس التي تلقاها تجسيدا عمليا و فتح باب للتعاون العام لبناء حضارة متميزة تستمد قواعدها من الثقافة الاجتماعية . لأن الثقافة في حد ذاتها تعتبر صورة كاملة للحياة الاجتماعية ، و هي تعني لغة المجتمع و دينه و تراثه و تاريخه و كذلك قيمه و عاداته ، و كل مظاهر الحياة الاجتماعية من فن و هندسة عمرانية و تنظيم القوانين ³⁷ .

³⁴ محمد بريكو ، بن عمر قريني ، نورية صبار ، عبد الرحمان ياسين ، المرجع السابق .

³⁵ FRONTON , lettre .Ad .Verum imperatorem ,II,24

³⁶ Ibid .

³⁷ محمد بريكو ، بن عمر قريني ، نورية صبار ، عبد الرحمان ياسين ، المرجع السابق ، ص.51

إذن هي حوصلة للنشاط الاجتماعي للأفراد في مجتمع معين ، و تعتبر التربية بصفة عامة المحرك الأساسي لتطوير ثقافة المجتمع ، و بالتالي فهي في علاقة ديناميكية مستمرة مع الثقافة³⁸ .

لقد لعب فرونطو دورا مهما في تنشئة أفراد المجتمع الروماني تنشئة اجتماعية تضطلع إلى الحياة التعاونية التي يساهم فيها جميع سكان المقاطعات على البناء و الرقي وإثراء الحضارة الإنسانية . و أدرك أن للمدرسة دور كبير في بناء المجتمع القوي لأن مهمتها الأساسية هي إعداد و تربية النشء على حياة التعاون ذات المساعدة المتبادلة و تغذية فيهم الوعي حيث يساعدهم ذلك على خلق التوافق فيما بينهم بكل روح إنسانية³⁹ . و بالتالي تهيئة التلميذ للمشاركة في نقل الحضارة البشرية ، و يتحقق ذلك عندما تقدم المدرسة أفرادا صالحين للمجتمع مدربين على التعاون الاجتماعي ، فتجعلهم يتشبعون بروح و مبدأ خدمة العام ، و تجهزهم بأدوات التوجيه الذاتي الفعال⁴⁰ . و هذه الأسس قد جسدها فرونطو عمليا في مدرسته التي كونت الأفراد تكوينا اجتماعيا متفتحا على حضارات الشعوب الأخرى .

2 - في المجال الأدبي

1 - إثراء اللغة اللاتينية :

لا شك أن فرونطو نال شهرة كبيرة في مجال الخطابة ، واحتل مكانة متميزة خلال القرن الثاني الميلادي ، و اكتسب لقب الخطيب البليغ بجدارة واستحقاق . و قد أشارنا من قبل أنه بديع و أصيل حث على الإبداع و الإنتاج الجديد ، لام كل من يكتفي بالنقل الحرفي دون إضافة ثرية تكسب صاحبها التميز⁴¹ . و قد لعب دورا مهما في المجال الأدبي حيث عمل على إثراء اللغة اللاتينية حين لاحظ أن

³⁸ محمد بريكو ، بن عمر قريني ، نورية صبار ، عبد الرحمان ياسين ، المرجع السابق .

³⁹ جون ديوي ، المدرسة والمجتمع ، ترجمة أحمد حسن الرحيم ، منشورات دار مكتبة الحياة ، الطبعة الثانية ، لبنان ، 1978 ، ص.117

⁴⁰ نفسه ، ص.50

⁴¹ FRONTON , lettre , AM.César,loc.cit

الرصيد اللغوي اللاتيني السائد آنذاك بحاجة إلى التطور و الإثراء ، مقارنة باللغة الإغريقية التي هيمنت على الأدب الروماني . ولهذا حاول فرونطو إعطاء بصمة خاصة للغة اللاتينية فاستعان بالمصطلحات الشعبية المتداولة في روما و المقاطعات الرومانية بما فيها أفريقية⁴² . فكان على يقين أن الأدب الشعبي مرجع ضروري و أساس لإثراء اللسانيات و هو شكل من أشكال الإبداع لمسايرة التطور الحضاري عبر الأجيال . و يعرف الباحثون الأدب الشعبي أنه الأدب الشائع في الطبقات العامة ، و له ميزات خاصة به كاستعمال اللهجة المحلية أو لغة شبه فصيحة ، فهذا النوع من الأدب هو كل ما يكسبه الأفراد من بيئتهم التي نشؤوا فيها و من الجماعات التي يتعايشون فيها ، و هو الإشعاع الحساس الذي يصور حياة المجتمع و ينفذ إلى أعماقه⁴³ ، لأنه غني بالرموز التي تكشف عن تجارب الإنسان مع نفسه و مع محيطه . و الأدب الشعبي عامة يمثل تاريخا من التغير الدائم لأنه يقوم على اللسانيات العامة . و فرونطو كبقية علماء اللسانيات كان يبحث على إيجاد نظام ثابت لعلم اللسان ، علما أن هذا الأخير ينطوي على عملية التطور ، فهو في كل لحظة نظام قائم بذاته و نتاج للزمن الماضي⁴⁴ .

و في هذا الإطار ضبط فرونطو الإثراء اللغوي الجديد بالقواعد و النحو لاستعماله و توظيفه في اللغة الأدبية الفصيحة و الرسمية . و قد أشرك هذا الخطيب لسانيات المقاطعات في بناء اللغة الجديدة بهدف تأسيس وحدة اجتماعية في العالم الروماني تعكس مساهمة الطبقات العامة في إثراء الأدب اللاتيني الجديد إيماناً منه أن سكان المقاطعات هم مواطنون لهم أدوار في إثراء الحضارة الإنسانية ، أي أن فرونطو قد خلق علاقة بين الوحدة الاجتماعية و اللغة ، يمكن اعتباره من المؤسسين الأوائل لعلم اللسانيات الاجتماعية . لأن الباحث في هذا العلم يهتم

⁴² PAUL MONCEAUX, op.cit, p.90

⁴³ حسين عبد الحميد أحمد رشلان ، الفلكلور و الفنون الشعبية ، مكتب مديولي 756/421 ، مجلة التراث الشعبي العراقية ، العدد 6 ، العراق ، 1980 ، ص.18

⁴⁴ فردينا ندي سوسور ، علم اللغة العام ، ترجمة . بوئيل يوسف عزيز ، دار آفاق عربية ، بغداد ، 1985 م ، ص.27

بدراسة العلاقة بين اللغة و المجتمع بما يوافق اللسانيات الاجتماعية و معرفة المستويات اللغوية في التواصل الاجتماعي في إطار الروابط الاجتماعية⁴⁵ . و اللغة استعمالات متنوعة ، فهي وسيلة تعبير اجتماعي ، علمي ، سياسي و اقتصادي ، مما يحتم دراسة خصائص هذه الاستعمالات المختلفة و معرفة أبعاد التكيف اللغوي مع مختلف الأغراض و المواقف ، أي أن اللسانيات الاجتماعية تهدف إلى إعادة إدماج دراسة اللغة في سياقها الاجتماعي ، باعتبارها ظاهرة اجتماعية نشأت في ظل كيان اجتماعي و تنمو بنموه و تتسع باتساعه و تتأثر به⁴⁶ . فموضوع علم اللسان يتكون أولاً من جميع مظاهر لغات الإنسان و تعبيراتها⁴⁷ ، سواء منها لغة الشعوب البدائية أو الشعوب المتحضرة . و لقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الخطاب المنطوق أو اللهجات أو ما يسمى باللسانيات العامة لها أهمية كبيرة في إثراء علم اللغة⁴⁸ . و هذا العلم قد اهتم به فرونطو ، وكان على دراية و بصيرة بأهميته في إثراء أية لغة بشرية ، و أقام له وزناً في دراساته بوضعه قواعد له . لأن دراسة وسائل ارتقاء مستوى الأداء يكون خلال البحث عن مستويات الخطاب اليومي كالمستوى الصوتي و النحوي و الدلالي⁴⁹ . و مثل هذه الدراسة من المؤكد أنها لا تغيب عن انتباه و اهتمام في فكر أي باحث بليغ مثل فرونطو دارس البلاغة . و توصلت أيضاً الأبحاث العلمية أن موضوع علم اللغة هو دراسة كافة المستويات اللغوية ، و كافة قضايا اللغة بما فيه علاقة اللغة باللغات الأخرى . و لهذا اهتمت الدراسات الحديثة باللهجات المحلية و مختلف مستوياتها ، أي دراسة اللغة التي ينتجها الإنسان أثناء عملية الاتصال⁵⁰ .

⁴⁵ عبد الله سويد ، علم اللغة ، دار المدينة القديمة ، طرابلس ، ليبيا ، 1993 ، ص.44

⁴⁶ محمود عكاشة ، علم اللغة ، ط.1 ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، 2006 ، ص.22

⁴⁷ نفسه .

⁴⁸ نفسه .

⁴⁹ نفسه .

⁵⁰ نفسه .

ومن هذا المنظور ، يتضح مفهوم علم اللغة الذي يستقي مادته من دراسة جميع اللسانيات المختلفة ، وهو يحاول أن يصل إلى فهم الحقائق و الخصائص التي تجعل اللغات جميعها في عقد واحد ⁵¹ . فاللغات على اختلافها ، لكل منها نظام اجتماعي معين تتكلمه جماعة معينة و تتوارثه لتحقيق به وظائف اتصالية . و على هذا الأساس يقوم علماء اللغة بدراسة كل لغة دراسة و صافية و تاريخية ⁵² ، و كذلك دراسة العلاقات التي تنشأ بينها و ظروف استعمالها . فكل ذلك ينصب في معرفة و فهم اللغة الإنسانية ⁵³ . فموضوع علم اللغة لا يتركز على لغة معينة من اللغات ، بل من حيث وظيفة إنسانية عامة و التي تبدو في أشكال نظم إنسانية اجتماعية تشكل ما يسمى اللغات . وهذا المفهوم العلمي للغة هو المفهوم الذي أراد فرونطو الوصول إليه حيث جمع كل الألفاظ و المصطلحات المتداولة بين مختلف الطبقات الاجتماعية قبل و أثناء زمانه و من مختلف الأطر الجغرافية شرق و غرب العالم الروماني ⁵⁴ ، بهدف إرساء حقيقة مساهمة الإنسان في أي زمان و مكان في البناء الحضاري بصفة عامة و سكان المقاطعات الرومانية بصفة خاصة ، و كسر كل أنواع الاستتار و الأنانية البشرية ، ثم الوصول إلى الاعتراف بأن الحضارة الرومانية من نتاج فكر جميع الشعوب المغلوبة التي ساهمت في إنشاء لغة التواصل في ظل الاحتلال الروماني. وبهذا يكون فرونطو قد لعب دورين في هذا المجال : الدور الأول يتمثل في إثراء اللغة اللاتينية و الثاني هو الكشف عن دور و مساهمة سكان المقاطعات في بناء رقي الحضارة الإنسانية بصفة عامة و الرومانية بصفة خاصة . لقد استغل كفاءته العلمية و سمعته الكبيرة في تحقيق أهدافه و غاياته حيث أدخل مفاهيم و مصطلحات متداولة بين عامة الناس في كل من آسيا و إفريقيا بما في ذلك وطنه الأم الذي شغل مكانا محبوبا في قلبه ⁵⁵ .

⁵¹ محمود السمران ، علم اللغة ، ط.2 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1997 ، ص.50

⁵² نفسه .

⁵³ نفسه .

⁵⁴ PAUL MONCEAUX , loc.cit

⁵⁵ Ibid .

ب - فن المراسلات :

إذا كانت المراسلات وسيلة اتصال و تبادل الأخبار بين الأشخاص و المصالح الإدارية ، فان كتابتها هي فن و أدب له قواعد و أحكام . و في هذا الصدد لعب فرونطو دورا كبيرا في فن المراسلات حيث ميز بين الرسائل ذات الطابع الإداري و بين الرسائل ذات الطابع الشخصي ، و يظهر ذلك من خلال الصيغ المستخدمة في تحرير كل نوع . استخدم في الرسائل الإدارية الرسمية أسلوبا أكاديميا رفيع المستوى مع توظيف عبارات التقدير و الاحترام في بداية و نهاية الرسالة⁵⁶ . بينما في الرسائل الشخصية الموجهة للأصدقاء و الأحباب ، استخدم أسلوبا بسيطا⁵⁷ . أي أن طبيعة مراسلات فرونطو تختلف باختلاف طبيعة العلاقات التي تربطه و الجهات الموجهة إليها الرسائل . فإذا كان في إطار عمل ، فالعلاقات إدارية تربطه بالهيئات الرسمية ، و إذا كان خارج عن هذا الإطار فان العلاقات شخصية تربطه بالأفراد في إطار علاقات الصداقة . و بهذا احتلت مراسلاته موقعا مهما في النشاط الإداري ، فقد مكنت مصالح الدولة من الاتصال ببعضها البعض ، و نال التحرير الإداري عناية كبيرة حيث وفر الأباطرة الرومان كل الإمكانيات لتعلمه ، و أصبح يشكل إحدى الأولويات لدى كل موظف بغض النظر عن مكانته في السلم الوظيفي . لأن صورة الموظف و كفاءته تبرز من خلال محرراته و كتاباته . لذلك تقرض على كل موظف بذل قصارى جهده لتعلم و اكتساب تقنيات التحرير الإداري .

لا شك أن فرونطو بلغ أسمى المستويات في أدب و فن تحرير المراسلات لهذا وقع الاختيار عليه ليكون معلما للأمرء و الأباطرة الرومان ليعلّمهم و يدرّبهم على فنون المراسلات لما لها من أهمية بالغة في ذلك العصر .

⁵⁶ FRONTON , lettre , IX

⁵⁷ Ibid .

إن الإلمام بقواعد التحرير الإداري أمر ضروري في عمل التحرير السليم ، لذلك كان على الموظف التحكم في قواعد ذلك الفن حتى يتسنى له إيصال ونقل المعلومات إلى المخاطب . فأهمية هذه العملية تشمل و تخص كل العاملين في الإدارة و المتعاملين معها . لقد أدرك فرونطو هذه الأهمية وبذل قصارى جهده ليجعل منه يتفوق على كل خطباء عصره . فقد نجح في إظهار عبقريته و موهبته في اللغة و الكتابة حيث عجزت ألسنة زمانه منافسته ⁵⁸ ، و قد شهد له مارك أورل بذلك ⁵⁹ .

أهم ما تميزت به مراسلات فرونطو هو توظيف علوم البلاغة و الخطابة مما جعل لرسائله تأثير . و صبغ نصوصه بالحكم البليغة و المعاني البديعية ومختلف ألوان البيان ، فكان حقا مبدعا أصيلا ⁶⁰ . و من أنواع المراسلات التي تركها فرونطو في مجال الترسل الشخصي تلك الرسائل التي كتبها لأصدقائه و التي عبر فيها عن عواطفه النبيلة ، و قد صاغها بصيغ الصداقة و المحبة والمودة و الإخاء .

إلى جانب هذا النوع من المراسلات الشخصية ، هناك رسائل أخرى خصصها فرونطو للحديث عن موضوعات متنوعة : أدبية كدروس البلاغة و الخطابة ، وتاريخية كمبادئ التاريخ و حرب البارثيين التي كتبها لمارك أورل و أخيه لوكيوس فيروس . و الجدير بالذكر أن فرونطو كان دقيقا في تحديد عناوين مواضيعه ، لأنه في كثير من الأحيان ، كان يبدأ مقدماته بجمل قصيرة ذات معاني يستنتجها القارئ في نهاية الرسالة ، و أما العرض الذي هو صلب الموضوع ، فانه يحوي في الغالب على عدة فقرات ، وهذا ما يدل على كفاءته لأن مثل هذا الطرح يتطلب من الكاتب مستوى عال من الوعي والمعرفة الواسعة حتى يتمكن من التعبير عن أفكاره بقوة و جدارة ⁶¹ ، و هنا تظهر الحاجة إلى اللغة و الأسلوب المناسب لمناقشة

⁵⁸ PAUL MONCEAUX , op.cit , p.91

⁵⁹ MARC AURELE , lettre .XVII

⁶⁰ PAUL MONCEAUX ,loc.cit

⁶¹ سعود عبد الجابر ، فن الكتابة و التعبير ، دار المأمون للنشر و التوزيع ، عمان ، 2013 ، ص.19

و إثراء الموضوع المطروح ومعالجته من كل جوانبه . و فيما يخص الخاتمة ، فقد لاحظنا فيها استظهار المغزى و إبداء الرأي .

و أهم ما ميز فن فرونطو عن غيره من الأدباء هو طرح موضوع معين باختيار حدث تاريخي بارز ثم يبدأ في المقارنة و المقاربة بين الماضي و الحاضر قصد تحقيق أهدافا و غايات معينة التي تطرقنا إليها في الفصول السابقة . ذكرنا من قبل أن فرونطو يرفض و ينتقد التقليد و سرقة أعمال الغير مما جعله يكتسب صفة الناقد المبدع الذي يدعو إلى الإنتاج الجديد ، و هي صفة الناقدين الكبار الذين يساهمون في إثراء الأدب الإنساني⁶² . لقد جمع فرونطو بين النقد الأدبي و التاريخ حيث لم ينظر إلى هذا الأخير نظرة بحث في الامتداد الزمني في الماضي بوصفه إطارا زمنيا لما وقع فيه من الأحداث ، بل كان يعتبره كعلم يكشف عن القيم الإنسانية و قوانينها المحددة بعوامل معينة كعوامل التقدم الحضاري أو الانحطاط ، و قد بين في الكثير من مراسلاته أن التاريخ هو الكشف عن تلك القيم . فكشف بذلك عن مقومات و خصائص الوجود الإنساني و وظيفته في هذه الحياة . وبهذا التصور يكون فرونطو قد قدم نظريته الخاصة في الدراسات النقدية ، لأن الباحث الممتاز هو ذلك الشخص الذي يستفيد من الخبرات و المناهج المختلفة التي اتبعها القدماء من قبله ، بوصفها مجهودات متواصلة تعالج المسائل الخالدة في ميدان الفنون و الآداب على أساس مبادئ و حجج⁶³ ، التي قد تختلف من ناقد إلى آخر و من عصر إلى آخر⁶⁴ .

لم يتوقف فن التراسل عند فرونطو على هذه الجوانب بل بين أيضا وجود علاقة بين الأدب و أذواق المجتمع أو بعبارة أخرى بين الأدب و جمهور القراء، لذلك تنوعت مواضيع مراسلاته بين السياسة و الأدب و الجوانب الاجتماعية التي

⁶² محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 1997 ، ص.12

⁶³ نفسه .

⁶⁴ نفسه ، ص. 17

تعالج واقع ذلك العصر ، مما أعطى له ميزة الأصالة و الإبداع الفني في مراسلاته . لقد تفنن هذا الخطيب في فن المراسلات و اقتنع أنها وسيلة فعالة في التواصل الاجتماعي ، ولها أهمية كبيرة في تعزيز الروابط الاجتماعية و توسيع عملية التبادل الفكري في ذلك الزمن بين مختلف البيئات البشرية و الجغرافية. فقد كان لفرونطو علاقات وطيدة مع الكثير من أبناء المقاطعات الرومانية⁶⁵ ، و دافع عنهم أمام المحاكم بلغة بليغة تمكن من خلالها استرجاع حقوقهم⁶⁶ . كما توسط لصالح أصدقائه أمام أباطرة الرومان ، ونجح في تحقيق رغباتهم و ترقيةهم إلى المناصب السامية⁶⁷ . وذلك بفضل أسلوبه الفصيح المؤثر الذي نال إعجابا و تقديرا لدى السياسيين و الأدباء .

وبهذا يكون فرونطو قد خطى خطوة كبيرة في تعزيز التعاون الإنساني و إرساء منهج خاص لتربية الأجيال ، و إقامة أسس جديدة لمجتمع مدني جديد يستطيع أن يحيى ويعيش في ظل احترام الإبداع و التنوع الثقافي ، باعتباره خيارا استراتيجيا يؤدي بالإنسانية إلى الاستقرار و التواصل الحضاري . لأن الحضارة في التعريف الأدبي هي الحاضنة للتقدم و المحيط المناسب لنشر الثقافة و العلم ، حيث ينطلق الإنسان في التغيير و التجديد الذي هو القاعدة الأساسية في كل حركة تاريخية ، و بالتالي يطور أعماله و يجددها و يصنع الإبداع و التقدم في مختلف جوانب الحياة الفكرية و المادية⁶⁸ . و هذا ما فعله فرونطو من خلال مراسلاته حيث ترك بصمة فنية متميزة لمفهوم التواصل و التراسل الاجتماعي و الحضاري ، فقد

⁶⁵ FRONTON , lettre VIII

⁶⁶ PAUL MONCEAUX ,op.cit,p.23

⁶⁷ FRONTON , lettre . IV

⁶⁸ مالك بن نبي ، شروط النهضة ، دار الفكر للنشر و التوزيع ، 2004 ، ص.23

قرب المسافات بين الاتجاهات و الأفكار الأدبية متسلحا بكل ما تحمله الكلمة من دلالات ، بهدف الوصول إلى الاحترام المشترك و المتبادل للخصوصيات الذاتية مع تبادل الخبرات و المعرفة ، التي تؤدي إلى توحيد المعارف الإنسانية في حضارة واحدة اسمها الحضارة الإنسانية .

3 - في المجال السياسي

1 - الأخلاق السياسية :

لقد بينت دراستنا لحياة فرونطو من خلال المراسلات مدى التزامه و تحليه بالمبادئ و الخصال النبيلة ، و ظهر ذلك في المواقف التي اتخذها طيلة مساره المهني وحين تقلد المناصب السياسية المختلفة إذ برهن عمليا على مدى إخلاصه لعمله . فكان من المعارضين الكبار لحكم الطغاة⁶⁹ ، و نادى إلى تطبيق العدالة ونبذ التمييز الاجتماعي الطبقي . فكانت أبعاده السياسية هي قيام دولة عالمية ترعى حقوق مواطنيها و اعتبار جميع سكان المقاطعات أبنائها دون التمييز بينهم و بين المواطن الروماني . لقد قدم مفهوما واضحا لمعنى الحكم و ما ينبغي على الحاكم القيام به من أجل بناء دولة قوية لا تززعها الفتن الداخلية و لا الانقلابات العسكرية . و هذا المفهوم السياسي البناء يسمح للشعب بتجسيد كلمته و سلطته في الحكم ، أي يحكم الشعب نفسه بنفسه . و بهذا يكون الصالح العام هو السيد و صاحب السلطة و لا يقبل تشريعا يفرض عليه و لم يشارك في سن قوانينه ، فيكون بذلك حرا بعيدا عن الاستعباد⁷⁰ . لأن هدف البناء السياسي الديمقراطي العادل هو تمكين الفرد من البحث عن سعادته . و لتحقيق هذه الغاية ، سطر فرونطو إستراتيجية تربوية تقوم على إعداد الفكر السياسي الروماني لتقبل مفهوم العدالة الاجتماعية و المساواة بين الناس ، و تجسيد الحقوق الطبيعية في الميدان التي شرعها القانون الإلهي كحق الحياة

⁶⁹FRONTON , lettre III

⁷⁰ إمام عبد الفتاح ، الأخلاق السياسية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 2001 ، ص.8

الكريمة ، المساواة وحرية التفكير و التعبير بأدب و أخلاق . وهذه المثل جسدها فرونطو عمليا خلال مساره المهني و عمل على ترسيخها في فكر تلامذته ، وبين لهم الأدوار التي ينبغي القيام بها في المجتمع المدني الراقى الواعي بأهمية بناء وحدته . وذلك يتوقف على مبدأ التسامح و الاحترام المتبادل تجاه حقوق و ثقافات الشعوب .

كان فرونطو يؤمن بأن كل شيء قابل للتغيير إلا الحقوق فهي نصيب طبيعي لكل إنسان لا يجوز المساس بها ، فهي إذن حق طبيعي مقدس⁷¹ . لكن الواقع السياسي عبر التاريخ أثبت استئثار بعض الأفراد الحقوق العامة بسبب الأثنية و الجشع، و أدى بهم الأمر إلى تشكيل طبقة أرستقراطية ميزتها الاستعلاء و الكبرياء، و بالتالي ظهر الاستبداد و حكم الطغاة ، و هو السبب الذي دفع فرونطو إلى انتهاج سياسة التغيير لتغيير ذلك الواقع و استبداله بالحكم الراشد ، فاتخذ التربية و التعليم وسيلة لغرس الأخلاق السياسية والعمل على إيجاد صيغة قانونية لحماية حقوق العامة . رغم أن ذلك تطلب وقتا طويلا إلا أنه لعب دورا كبيرا في نشر أفكاره.

و قد تبنى الكثير من أبناء الطبقة الحاكمة فلسفة الأخلاق و أصبحوا يؤمنون أن الإنسان خلق ليعيش كريما و يتحلى بالفضيلة و القيم ، و ألفوا كتباً حول الجمهورية الفاضلة المثالية . لأن غاية الأخلاق المثالية هي السمو بالفرد نحو الكمال⁷² ، و أما التنظيم السياسي فهدفه إقامة النظام و الاستقرار داخل المجتمع و حماية مصالح أفرادهم . و لذلك كانت الأخلاق منبثقة من الضمير الداخلي للفرد⁷³ ، و التنظيم السياسي يتجه نحو الصالح العام و يبث فيه الأمن و الاستقرار . و من هنا كان قيام الأخلاق السياسية على أساس تحقيق قيم عالية و تتدخل هنا القوانين

⁷¹ امام عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص.15

⁷² نفسه ، ص.72

⁷³ نفسه ، ص.73

لتجسيدها بنظام . و من هذا التصور فالأخلاق تخضع الفرد لضميره و تجعله يطلع إلى السمو و الكمال ، بينما القانون يخضع الفرد للجماعة في سعيها الحثيث نحو مصالحها و إقامة النظام و الاستقرار فيها . و لهذا ذهب البعض إلى القول أن القانون أو التنظيم السياسي هو نظام اجتماعي⁷⁴ ، والبعض الآخر رأى أن القانون يستهدف العدل وأما الأخلاق تستهدف الخير⁷⁵ .

بني فرونطو على هذا الأساس إستراتيجيته التربوية الهادفة إلى تكوين تلامذته تكويناً أخلاقياً بغرس الفعل الأخلاقي فيهم . و من خصائص هذا الفعل : الصدق ، الكرم ، الإحسان ، الشجاعة ، التضحية للصالح العام و القدرة على التمييز بين الخير و الشر . و إن اختيار إحدى هذه الخصائص يكون بفعل حر و واع يستهدف تحقيق غاية أخلاقية معينة في المجتمع . و في هذا المجال حاول فرونطو إقناع الفكر السياسي الروماني أن الأخلاق خالدة لا تتغير و أن القوانين هي التي تتغير بتغير الظروف الاجتماعية و السياسية . ولذلك انصبت جهوده إلى إحداث تغيير و تعديل في القانون الروماني السائد آنذاك ، الذي حرم العديد من الفئات الاجتماعية شرق و غرب الإمبراطورية الرومانية من حقوق المواطنة . لذلك نلاحظ أن القوانين التي تجسد نظاماً سياسياً ما مقيدة بزمن معين ومكان محدد ، و بالتالي تظهر في لحظة معينة إصلاحات و تعديلات من أجل تحسين الظروف العامة⁷⁶ . إذن الغاية من الأخلاق و السياسة ، أن الأخلاق تستهدف مباشرة غاية إنسانية و هي تحقيق الكمال الشخصي و تنظيم سلوك الشخص نحو نفسه و غيره من الأشخاص تنظيمياً يغرس في النفوس حب الخير و يوقظ ضمير الفرد حين يقوم بأي عمل⁷⁷ . و أما القانون السياسي عموماً فيستهدف مباشرة غاية جماعية و يكفل الأمن و النظام داخل الجماعة⁷⁸ .

⁷⁴ عبد الحي حجازي ، المدخل لدراسة العلوم القانونية ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1972 ، ص.160

⁷⁵ نفسه .

⁷⁶ إمام عبد الفتاح ، المرجع السابق ، ص.82

⁷⁷ إبراهيم أبو الليل ، محمد الألفي ، المدخل إلى نظرية القانون و نظرية الحق ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1982 ، ص.18

⁷⁸ إمام عبد الفتاح المرجع السابق ، ص.88

ب - أثر فرونطو في الفكر السياسي الروماني وقيام الإصلاحات :

لقد تبوأ فرونطو مكانة سامية خلال القرن الثاني الميلادي ، و كان رائدا ممتازا في البلاغة و الخطابة فقد لقب بشيشرون الثاني⁷⁹ بحكم مستواه الرفيع . كان لسانه بليغا و براهنه دامغة إذ نال إعجابا كبيرا بين مختلف أوساط الطبقات الاجتماعية . كما كانت مدرسته قطبا للدراسات العليا حيث قصدها الطلاب من مختلف المناطق و الجهات ، و كان لها صدى في العالم الروماني ، لقد شهد فرونطو على ذلك أن بيته و مدرسته كانا مفتوحين لكل من قصده في سبيل العلم⁸⁰ . إذا كان الإمبراطور أنطونينوس التقي قربه إليه و لب كل رغباته و استجاب لطلباته ، فذلك يعتبر اعترافا منه بالكفاءة الممتازة التي تميز بها فرونطو ، لا يتوقف ذلك على المجال التربوي التعليمي فقط بل أيضا كفاء في المجال السياسي ، إذ برهن مرة أخرى على حنكته السياية حين اشتغل في المناصب السامية و كان مخلصا و يقضا في عمله⁸¹ .

لقد اعترف ماركوس أوريليوس بكل الصفات النبيلة و الأخلاق العليا التي تميز به معلمه من صدق و إخلاص و علم و نزاهة و لهذا أحبه كثيرا . و كانت بينهما علاقات حميمة بجانب علاقات العمل و الدراسة . كان فرونطو جديرا بلقب الرجل السياسي المحنك لأنه رسم إستراتيجية بغايات تربوية استهدفت إعداد الفكر الروماني للتغيير ، فقد تحقق ذلك تدريجيا مع الوقت . وكان له دور وأثر في حدوث تحول جذري في المجال السياسي وزعزعة حكم النبلاء الذين استغلوا

⁷⁹ PAUL MONCEAUX, op .cit , p.88

⁸⁰ FRONTON , lettre VIII

⁸¹ Ibid .

و استعبدوا الشعوب المغلوبة واستأثروا بالسلطة وانحازوا للعنصر الروماني ، الذي انفرد و تميز بحق التمتع بالحقوق دون غيره من أبناء المقاطعات . لهذا السبب قرر فرونطو تغيير الأوضاع لصالح العامة و استرجاع ما سلب منها . فانطلق بتكوين أباطرة الرومان بدءا من ماركوس أوريليوس و أخيه لوكيوس فيروس إلى الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس (SEPTIMIUS SEVERUS) الذي يكون قد نال هو الآخر نصيبا من علم و دروس فرونطو ، لأنه قصد روما من أجل الدراسة والتعمق في دروس اللغة و البلاغة اللاتينية ، و كان ذلك سنة 161م⁸² و هي السنة التي لا زال فرونطو يدرس و يكون ماركوس أوريليوس ، إذن بلا شك أنه قصد مدرسته كونها مركزا و قطبا لهذا العلم . و للتأكيد على ذلك ، فإذا تمعنا في تاريخ حياة سبتيميوس سيفيروس فإننا نستخلص معلومات مهمة ذات علاقة بفرونطو و ماركوس أوريليوس ، فهو عاش في زمن هاذين الأخيرين ما بين 145م و 197م ، و قد نزل إلى روما سنة 161م أي بعد وفاة أنطونينوس التقي وانتقال الحكم إلى ماركوس أوريليوس و لوكيوس فيروس . لقد صرح سبتيميوس سيفيروس عندما تولى الحكم سنة 193م⁸³ بأنه يعتبر نفسه ابن ماركوس أوريليوس بالتبني⁸⁴ ، و إن دل ذلك على شيء فإنه يدل على العلاقة القوية التي تربطه بماركوس أوريليوس ، كما أنه اعترف أيضا بتشبعه بفكر هذا الأخير⁸⁵ الذي هو ثمرة تعليم فرونطو . ودخول سبتيميوس إلى روما من أجل الدراسة سنة 161 قد يكون تلقى دروسا على يد ذلك البليغ الذي لا يزال في هذه السنة معلما لماركوس أوريليوس ، إذن لا يستبعد وجود لقاءات مكثفة بين الثلاثة (أي بين سبتيميوس و فرونطو و ماركوس أوريليوس) علما أن فرونطو صرح من قبل على قدوم الكثير من أبناء منطقة المغرب و استقبالهم في بيته و مدرسته⁸⁶ ، من المنطق أن يكون سبتيميوس من بين هؤلاء لأنه ابن

⁸² JACQUES .GASCOU ,la politique municipale de l'empire Romaine en Afrique proconsulaire de Trajan à Septime Sévère , publication de l'école Française de Rome ,1972,p.11

⁸³ محمد البشير شنييتي ، المرجع السابق ، ص.30

⁸⁴ JULES ZELLER , les empereurs Romains , Ecole normale superieure ,Paris ,1863,IV

⁸⁵ Ibid

⁸⁶ FRONTON , loc.cit

ليبيا ولد بمدينة لبدة (Lepcis Magna) ما بين (145م و 146م)⁸⁷ ، إذن احتمال كبير أن يكون من أصدقاء و تلاميذ فرونطو .

بناء على التصريحات السابقة ، فإن الإصلاحات السياسية التي قام بها كل من ماركوس أوريليوس و سبتيميوس كانت غاية فرونطو المسطرة في إستراتيجيته ، فقد وجه الفكر الروماني نحو نموذج الاسكندر المقدوني للاقتداء به بغرض الوصول إلى تشكيل ثقافة جديدة تجمع ثقافة الرومان و المغرب . بدأ ماركوس أوريليوس هذا المشروع بتعديل بعض القوانين لصالح العبيد⁸⁸ ، ثم فتح أبواب المناصب السامية أمام المغاربة بما فيهم سبتيميوس سفيروس الذي وصل إلى الحكم سنة 193م⁸⁹ ، وكان بذلك أول إمبراطور من أصول ليبية يصعد إلى منصب الإمبراطور بعد نضال سياسي هادئ قاده فرونطو وترك الرسالة لتلاميذته الذين أحسنوا فهمها وحملوها بوعي وذكاء .

لقد سار سبتيميوس على درب فرونطو ، و واصل ما بدأه ماركوس أوريليوس من إصلاحات ، و ظهرت في عهده فكرة العدالة البشرية⁹⁰ التي تعني أن البشرية متساوية في الإحساس بالعدالة ، فمن حق الجميع أن ينعموا بالمساواة . وهكذا برزت مجموعة من التشريعات اتسمت بالعطف على الضعفاء المقهورين من فقراء و فلاحين ، تحميهم من تعسف الطبقات الارستقراطية الحاكمة⁹¹ . و لتعزيز وجوده في الحكم الروماني ، كثف و أدخل عددا كبيرا من الأفارقة إلى مجلس الشيوخ⁹² مما سهل على ابنه كراكلا (Caracalla) تحقيق حلم فرونطو ، حيث أصدر قانون حق المواطنة سنة 212 م الذي كسر القيود التي وضعتها

⁸⁷ محمد البشير شنييتي ، المرجع السابق .

⁸⁸ JULES ZELLER , op.cit ,V

⁸⁹ Ibid.

⁹⁰ محمد البشير شنييتي ، المرجع السابق ، ص.34

⁹¹ نفسه

⁹² JULES ZELLER , loc.cit

الارستقراطية الرومانية أمام حريات سكان المقاطعات . و يكون بذلك قد خطى خطوات الاسكندر المقدوني الذي كان قدوة له⁹³.

ثانيا : دور ماركوس أوريليوس في إثراء الفكر الروماني

1- في مجال التعليم

أخلاق المتعلم :

قدم ماركوس أوريليوس في مجال التعليم أجمل صورة للمتعلم المتخلق ، فقد ساهم بقسط كبير في إنجاح رسالة معلمه فرونطو ، و بين العلاقة الوطيدة بين التعليم و الأخلاق حيث أكد أن التعليم هو المجال المناسب لترسيخ الأخلاق و القيم الاجتماعية ، لأن المنظومة التعليمية لا يمكن أن ينفصل فيها التعليم عن التربية و القيم ، كما أن المنظور الشامل للرسالة التعليمية يتجه نحو تكوين شخصية المتعلم في مختلف أبعادها⁹⁴ . و للأخلاق أهمية كبيرة بالنسبة للمتعلم إذ أنها من عوامل نجاحه و سبيل تحصيله العلمي الجيد⁹⁵ .

لقد جعل فرونطو تلميذه محورا أساسيا في العملية التعليمية التعلمية ، و تلقى تجاوبا مقبولا من قبل ماركوس أوريليوس من خلال أخلاقه و أدبه . و من هذا المبدأ التعليمي ، تغيرت نظرة المتعلم من متلقي للمعرفة إلى باحث عنها و مكتشف لها أي أنه مساهم مهم في هذه العملية التي يقترن فيها التعليم بالتعلم فهو صانع لتعلمه و قادر على اكتساب الكفاءات بالممارسة و التفاعل بدل من اكتسابها بالتلقين و الحفظ . لقد تحول ماركوس أوريليوس لدى معلمه فرونطو إلى شريك فعال في العملية التعليمية التعلمية في سياق وضعيات مختلفة هو مطالب بانجازها ، قصد اكتساب مختلف الكفاءات المستهدفة في التعلم . يعني أن للمتعلم التزامات من

⁹³ محمد البشير شنييتي ، المرجع السابق ، ص.39

⁹⁴ محمد الناصري ، أخلاقيات المعلم و المتعلم و آثارها في النجاح و التحصيل العلمي ، ميثاق الرابطة ، 2010/10/12 ، المقال

منشور في موقع : <https://www.maghress.com/almithaq/2849>

⁹⁵ نفسه .

واجبه تأديتها. و التعليم من هذا المنظور يعد عملية بناءة وهادفة⁹⁶ ، وكونها بنائية يعني أنها تقوم على اختراع المتعلم لتراكيب معرفية جديدة و بنائها اعتمادا على نظرته لعالمه و محيطه⁹⁷ ، أي أن خبرات المتعلم ومكتسباته القبلية ذات تأثير على عملية تعلمه⁹⁸. والتعلم ليس بعملية نسخ للمعلومات من ذهن المعلم إلى المتعلم و إنما قائما على الفهم⁹⁹ ، مع أخذ بعين الاعتبار الواقع حتى يتسنى للمتعلم التفاعل معه . و في هذا الصدد ، ظهرت أفكار حديثة تدعو إلى ربط التعليم بالمجتمع و إعداد المتعلمين للحياة العملية¹⁰⁰ ، و هذا ما فعله فرونطو مع تلامذته طيلة مساره التعليمي . وكان يعتمد كثيرا على منهج الاستدلال لأنه مرتبط بالنمو النفسي و الذهني للفرد¹⁰¹ ، و يعتبر ذلك عملية تفكيرية تتضمن وضع الحقائق أو المعلومات بطريقة منظمة ، حيث تؤدي إلى استنتاج أو حل مشكلة ما باستخدام الأدلة و المنطق وكذلك الحوار مع الذات الذي يظهر جليا في تأملات ماركوس أوريليوس . لأن هذا النوع من الحوار الشخصي يستهدف الفهم و تنمية الفكر الصحيح و القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة في مختلف الظروف ، لأن الإنسان يواجه في حياته اليومية مواقف كثيرة تتضمن القيام بمناظرة ، و حوار مع الذات واستخدام معارفه السابقة في تكوين الحجج المنطقية حتى يتمكن من الوصول إلى نتائج وقرارات لفهم الموقف أو حل المشكلة التي تواجهه . وبالقدر الذي تتوافر لديه المعرفة المرتبطة بالموقف يستطيع الاطمئنان إلى الخيارات المناسبة له¹⁰² . في هذا المجال لعب ماركوس أوريليوس دورا كبيرا في إثراء الفكر التربوي حيث ركز كثيرا على القيم التي تعتبر في تصوره مسؤولية يتحملها الجميع ، لأن تربية النشء

⁹⁶ عبد القادر لورسي ، المرجع في التعليمية - الزاد النفيس و السند الأنيس في علم التدريس ، جسور للنشر و التوزيع ، الجزائر ،

2016 ، ص.66

⁹⁷ نفسه .

⁹⁸ نفسه .

⁹⁹ نفسه .

¹⁰⁰ جود ديوي ، المرجع السابق

¹⁰¹ عبد القادر لورسي ، المرجع السابق ، ص.284

¹⁰² موسى نجيب موسى معوض ، مهارات الاستدلال ، شبكة الألوكة ، ثقافة و معرفة ، مقال منشور في موقع : www.alukah.net

/ culture /0/65 166/ , 1/14/2014

ينبغي أن تكون على أساس الأخلاق و القيم لكي يكونوا أفرادا صالحين في ذواتهم و أفكارهم و مشاعرهم . و أضاف للعملية التعليمية التعليمية أسلوب التأمل حيث بين من خلال تأملاته و مراسلاته أهميته في توسيع و تنمية قدرات التفكير ، خاصة إذا كان التأمل حول موضوع الأخلاق و القيم لأنه يساعد على اتخاذ القرارات السليمة أمام المواقف المختلفة في الحياة ، و تظهر أهميته عند المتعلم في الرزانة و حسن التفكير بدل التهور و الاندفاعية أو الإتيان بجواب سريع و خاطئ .

أكدت الأبحاث في هذا المجال أن التأمل يعمل على تنمية مهارات التفكير الإيجابي لأن الجزء التخيلي في الدماغ مسؤول على الإبداع و حل المشكلات ، و التأمل يبعث الهدوء و الطمأنينة في نفس المتعلم مما يجعله يركز و يعمل على خلق فضاء ذهني يلامس ذاته الداخلية ثم يشعر بالمسؤولية و بناء علاقة إيجابية مع الآخرين¹⁰³ .

و أسلوب التأملات مهم لتنمية البعد المعرفي و يجعل الفرد يتخذ قرارات أخلاقية سليمة وذلك من خلال الوعي الأخلاقي و الفهم العميق للقيم الأخلاقية و القدرة على التعاطف مع الآخرين و إدراك وجهة نظرهم . وفي هذا الصدد كان ماركوس أوريليوس كثير التأمل و التفكير حيث ترك بصمة خالدة و قدوة في الأخلاق و القيم ، و بين أن للمتعلمين ميول و دوافع يستوجب على المعلم إدراكها قصد فهم النواحي النفسية لهؤلاء . و ذلك سيساعده على رسم و بناء خطة عمل تتناسب مع تلك الميول و بالتالي يتحقق التحصيل و النجاح .

لقد قدم ماركوس أوريليوس صورة على ذلك من خلال ميوله الفلسفية التي جعلته شغوفاً لدراسة هذا العلم ، لهذا تعامل معه فرونطو معاملة بيداغوجية بغية الوصول إلى الأهداف المسطرة في منهجه التعليمي التربوي . لأن الميول في الميدان التربوي تعد ركيزة للتعلم ، و حسن استغلالها في توجيه المادة الدراسية

¹⁰³ نورة بو عيشة ، أساليب تنمية القيم السلوكية لدى التلاميذ في الوسط المدرسي ، مقال منشور في موقع : <https://revues.uni-ourgl/2015>

يؤدي دورا مهما ، فهو من ناحية يشبع رغبات المتعلم و من ناحية أخرى يحقق الأهداف التعليمية . فالاهتمام بالميل و إشباعها يساعد على الكشف عنها و إثارتها عند المتعلم ¹⁰⁴ ، لأن ذلك يعد من أهم دوافع التعلم باعتبارها قوى داخلية تحرك السلوك و توجهه .

إذا كانت الدافعية وسيلة لتحقيق الأهداف فإنها أيضا أهم العوامل التي تساعد على تحصيل المعرفة و الفهم و تنمية المهارات . فالمتعلم الذي يتمتع بدافعية عالية يتم تحصيله الدراسي بفاعلية أكبر عكس الذي يفتقد إلى هذه القوة الكامنة ، فانه سيعاني من ضعف التحصيل .

خلال تتبعنا لمراحل تعلم البلاغة و الخطابة عند ماركوس أوريليوس ، لاحظنا في البداية نفوره من هذه العلوم . و بعد إثارة دوافعه سجل تحسنا كبيرا بفضل الدور الفعال الذي لعبه فرونطو في هذا الجانب . و هنا يظهر دور المعلم في حسن إثارة دافعية التعلم و مدى كفاءته في إنجاح عمليتي التعليم و التعلم . إضافة إلى ذلك فان الدوافع تنشط السلوك نحو تحقيق هدف معين ، لذلك يمكن للمعلم توجيه هذا النشاط نحو أداءات أفضل و العمل على استمراريته و تنوعه في مواقف التعلم المختلفة .

لقد حقق فرونطو أهدافه بالتقرب إلى تلامذته و فهم ميولهم ثم رسم إستراتيجية خاصة و مناسبة للتعلم . وذلك بعد دراسة الحالة النفسية للمتعلم من كل الجوانب الداخلية و الخارجية . فكانت خطته عملية مبنية على أسس علمية و خبرة عالية . و أما ماركوس أوريليوس فقد قدم هو الآخر صورة حية و طبيعية للمتعلم ، و بين أن هذا الأخير له طاقات داخلية لا بد من معرفتها و الكشف عنها لتفعيل سلوك التعلم . وفي هذا السياق أكدت الأبحاث التربوية أن الحالة النفسية للمتعلم لها تأثير كبير

¹⁰⁴ عبد المجيد أحمد منصور ، محمد بن عبد المحسن التويجري ، اسماعيل محمد الفقي ، علم النفس التربوي ، الطبعة التاسعة ، العبيكان للنشر ، المملكة العربية السعودية ، ص.240

على الموقف التعليمي¹⁰⁵ ، لأن المتعلم يتعامل مع المثيرات التي يستقبلها من خلال حواسه ، و يقوم المخ بترجمة و تحويل هذه المثيرات و إعطائها المعاني و الدلالات ، و مع تفاعل و نشاط الجهاز العصبي المركزي أمام مدلول تلك الاستثارة تحدث استجابات حركية مهارية و انفعالية و كذلك عقلية و معرفية¹⁰⁶ . في مثل هذا التفاعل تبرز أهمية المثير في الموقف التعليمي الذي ينعكس تأثيره في نتيجة الاستجابة ، التي تختلف باختلاف نوع المثير و كذلك مستوى النضج و الاستعداد .

و أخذت كل هذه الجوانب و العوامل بعين الاعتبار لدى المعلم فرونطو . فالمادة العلمية التي قدمها لتلميذه ماركوس أوريليوس قد اختلفت من مرحلة إلى أخرى ، وبالتدقيق من مرحلة الطفولة و الشباب إلى مرحلة نقله منصب الإمبراطور ، و هي مرحلة النضج و الاستعداد لأداء الرسالة وإدارة أعباء الإمبراطورية . إذن كان فرونطو يراعي العلاقة الموجودة بين النضج و التعلم ، و أدرك أن الفرد لا يستطيع أن يتعلم أو يكتسب أنماطا سلوكية معقدة إلا إذا بلغ مستوى معين من النضج . و هذا الأخير عبارة عن عملية طبيعية تتصف بالاحتمية و التلقائية و الشمولية و الانتظام ، حيث تشمل هذه العملية كافة الجوانب و تسير من العام إلى الخاص ، و تبدو آثارها في مظاهر النمو المختلفة كالنمو الجسمي و النمو العقلي و النمو الاجتماعي و النمو الانفعالي و غيرها من أنماط النمو الأخرى¹⁰⁷ . لذلك يشكل النضج أساسا هاما من أسس التعلم ، فهو يضع الأطر التي تظهر فيها آثار و مظاهر التعلم و بالتالي يحدث تغيير في سلوك المتعلم. لقد لعب ماركوس أوريليوس دورا رئيسيا في هذه العملية وأظهر الخبرات التربوية في نمو و تحسين التعلم حيث جعل معلمه فرونطو يهتم بميوله و دوافعه ،

¹⁰⁵ فتحي مصطفى الزيات ، سيكولوجية التعلم بين المنظور الارتباطي و المنظور المعرفي ، الطبعة الثانية ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، 2004 ، ص.30

¹⁰⁶ نفسه .

¹⁰⁷ نفسه ، ص.33

وساهم بذلك في إثراء الفكر التربوي التعليمي . كما سجلت مراسلاته معلومات كثيرة حول سيرورة عملية التعلم و استنتاجنا من خلال مواقفه أن المتعلم يأتي إلى المدرسة حاملا معه عوامل وراثية و خبرات مكتسبة نتيجة تفاعله مع بيئته .

2 - المجال الأدبي

1 - المساهمة في نقل الفكر الإغريقي إلى روما :

في الواقع ، التأمّلات التي كتبها ماركوس أوريليوس في البداية كانت عبارة عن انعكاس للفكر الإغريقي في روما ، حيث أشار إلى العديد من نظريات و أفكار لكبار الفلاسفة الإغريق حول موضوع المعرفة و الأخلاق و الوجود . فقد تناول نظرية المعرفة من زاوية فكر الفلاسفة الطبيعيين الذين ركزوا على الذهن و الطبيعة و التأمل في ظواهرها ، و نظر إلى المعرفة بأنها الفضيلة و الرذيلة جهل وهو اعتقاد سقراط¹⁰⁸ الذي اتجه إلى البحث في موضوع الإنسان ، وجعل العقل مصدرا للمعرفة من خلال المعايير الثابتة التي تشترك فيها جميع العقول . و استمر أفلاطون في هذا المنهج الذي اعتبر التعقل معيار الحقيقة خلافا للمعرفة الحسية،¹⁰⁹ أي أن العقل هو المصدر الوحيد للمعرفة ، و الإنسان يستطيع عن طريق الاستدلال العقلي المحض التسليم أن للعقل مبادئ جاهزة و سبلا فطرية للعمل ، و هي التي تقوده إلى معرفة حقائق الأشياء . و هذه المبادئ لا بد أن تكون كلية و مشتركة لدى جميع الأذهان وصادقة على جميع الأشياء .

نقل ماركوس أوريليوس هذا التصور و رده في تأملاته و ذكر أن الأشياء الطبيعية لا يمكن أن يكون لها وجود بمعزل عن ذهن يعيها ، و بالتالي طبيعة المعرفة هي نفسها طبيعة الوجود . و مفهوم الوجود كان من المفاهيم الأولى

¹⁰⁸ أمنة عبد السلام الزاندي ، مفهوم نظرية المعرفة ، مجلة كلية الآداب ، العدد الثالث ، جامعة المرقب ، ليبيا ، 2017 ، ص.352

¹⁰⁹ عبد الرحمان بن يزيد الزبيدي ، مصادر المعرفة في الفكر الديني و الفلسفي ، مكتبة المؤيد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، 1992 ، ص.52

و الأساسية التي شغلت الفكر الإغريقي و كذلك البحث في علاقته المباشرة مع العقل¹¹⁰ . و هذا الأخير له قدرة في تفسير الطبيعة و الكشف عن أسرارها ، و على هذا تأسست نظرية المعرفة و طرح إشكالية حول مفهوم الموجود كنظرية التغير و وحدة الموجودات للفيلسوف الإغريقي هراقليطس حيث أشار مارك أورل إلى بعض أفكاره . كما نقل أيضا فكر أفلاطون الذي أكد أن الموجود هو الخير بالذات و أن القوة التي تمدنا بالمعرفة الحقيقية هي صورة الخير و مصدر العلم¹¹¹ .

لم يكنف ماركوس أوريليوس بنقل تلك النظريات حول المعرفة و الوجود بل كان شديد التأثر بالفلسفة الرواقية للفيلسوف الرواقي زينون ، الذي عرف الفضيلة بأنها العيش وفقا للطبيعة كقاعدة ايجابية للسلوك الإنساني¹¹² ، و أنها تمثل وحدها الخير و أما الرذيلة هي وحدها الشر و ماعدا ذلك يعتبر الحياد ، و بهذا خرج من نطاق الشر : الفقر ، المرض ، الألم و الموت¹¹³ .

و الإنسان في هذا التصور لا يمكن أن يكون فاضلا ابتغاء اللذة ، بل انه يتمسك بالفضيلة من أجل الواجب¹¹⁴ . و الفضيلة تقوم على الإرادة التي تتصاع لحكم العقل و من ثم استندت إلى المعرفة¹¹⁵ . و الرواقية تتوافق أيضا مع رأي سقراط في مبدأ التوحيد بين الفضيلة و المعرفة¹¹⁶ ، لهذا اعتبر الرواقيون البحث في الطبيعيات و المنطق أداة لخدمة الأخلاق ، و صرحوا بأن قمة الفضائل هي الحكمة و أن الحكيم هو الذي تتمثل فيه أسمى صفات الكمال¹¹⁷ . وللاستدلال على ما أشارنا إليه سابقا نذكر أهم ما كتبه و نقله ماركوس أوريليوس عن الفكر الإغريقي في الفقرات الآتية :

" يقول أفلاطون : ليس هناك نفس تريد عمدا أن تحرم من الحقيقة ، و الشيء نفسه

¹¹⁰ أمنة عبد السلام الزاندي ، المرجع السابق ، ص.365

¹¹¹ سايمان الضاهر ، المرجع السابق ، ص.365

¹¹² توفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية نشأتها و تطورها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1967 ، ص.89

¹¹³ نفسه .

¹¹⁴ نفسه

¹¹⁵ نفسه .

¹¹⁶ نفسه ، ص.90

¹¹⁷ نفسه .

ينسحب على العدالة و الاعتدال و الإحسان " 118 .

" كلنا نعمل معا للغاية نفسها ، البعض عن قصد و دراية ، و البعض بغير دراية ، تماما كما قال هيراقليطس . فيما أعتقد انه حتى النائمون هم عمال مشاركون في صنع كل ما يحدث في العالم ، لكل واحد عمله المقيض له " 119 .

ب - إثراء الفكر الفلسفي الروماني :

بعد نقل الفكر الفلسفي الإغريقي إلى روما من خلال التأملات و استقبال

فلاسفة الإغريق ، انتقل ماركوس أوريليوس إلى مرحلة جديدة و هي مرحلة الإبداع و الأصالة حيث نقد الكثير من الآراء و الأفكار الفلسفية المنتشرة آنذاك ، وحتى المذهب الرواقي الذي صبغ به فكره نقده و قال : " و حتى الرواقيون أنفسهم بدت لهم الحقائق عصية على الفهم ¹²⁰ ، ... يقول ديمقريطس : إذا شئت أن تعيش سعيدا فلا تعمل إلا أقل القليل لكن أليس من الأفضل أن تقول : لا تعمل إلا ما هو ضروري " ¹²¹ .

يبدو من هذه الانتقادات نوع من الاضطراب و الشك لدى ماركوس أوريليوس، حيث تلتها تساؤلات و حوارات مع الذات قائلا : " تذكر أيضا أن الفلسفة لا تريد إلا ما تريده طبيعتك ، في حين تطلب أنت شيئا يجافي هذه الطبيعة ... هذه هي ذات الطريقة التي تخدعك بها اللذة ، ولكن أنظر ، ألسنت ترى شيئا أكثر قبولا في الشهامة و الكرم و البساطة و الاتزان و التقوى ؟ و أي شيء أكثر قبولا من الحكمة ذاتها إذا كان ما يهيك هو التدفق المطمئن و الدائم لملكتنا الخاصة بالفهم و المعرفة ؟ ¹²² ... كأنما ألقى على الأشياء حجاب كثيف حتى بدت لعدد كبير من كبار الفلاسفة غير قابلة للفهم على الإطلاق " ¹²³ .

¹¹⁸ ماركوس أوريليوس ، الكتاب السابع ، الفقرة 28

¹¹⁹ نفسه ، الكتاب السادس ، الفقرة 42 .

¹²⁰ نفسه ، الكتاب الخامس ، الفقرة 10 .

¹²¹ نفسه ، الكتاب الرابع ، الفقرة 24 .

¹²² نفسه ، الكتاب الخامس ، الفقرة 9 .

¹²³ نفسه ، الفقرة 10 .

في الواقع هذه التأمّلات و الانتقادات تظهر عادة في حالة التوتر النفسي أين يرفض الإنسان تقبل الظروف و الأوضاع المحيطة به . فالمهمة السياسية التي كلف بها ماركوس أوريليوس صعبة جدا لأنه مطالب بالدفاع و المحافظة على مجد الإمبراطورية الرومانية وعقيدها ، و أداء مثل هذا الواجب يتعارض مع مبادئه وبعده الفكري ، لذلك وجد نفسه في صراع بين الذات وحتمية تنفيذ قرارات مجلس الشيوخ ووجوب احترام تقاليد الرومان ، و بالتالي لم تكن لديه حرية الاختيار أو الاعتراف بما يؤمن به من فلسفة و عقيدة ، فكان حله الوحيد اللجوء إلى الكتابة و التأمّلات و البحث عن ذاته الحقيقية و إنسانيته مثله مثل بقية البشر يجمعهم عالم واحد و غاية واحدة و أن الإنسان العاقل الحكيم هو وحده الذي يدرك هذه الحقيقة ، وقال عن ذلك في تأملاته : " لا شيء من هذه الأشياء (الفضائل) ينبغي أن يسمى إنسانا ، تلك التي لا تنتمي إلى الإنسان بما هو إنسان . إنما لا تلزمه كانسان ، و لا تهيب بها طبيعة الإنسان ، إنها ليست كماليات لهذه الطبيعة . و من ثم فهي لا تشكل غاية الإنسان أيضا ، و لا حتى أية وسيلة لهذه الغاية الإنسانية التي هي الخير . و فضلا عن ذلك ، إذا كانت أي من هذه الأشياء تنتمي إلى الإنسان لما حق لأي امرئ أن يزدريها أو يصددها ... و لكن الحقيقة أنه كلما حرم المرء نفسه من هذه الأشياء أو حرم من أي منها ، كان أصبر عنها و أكثر احتمالا لفقدانها ، و كان بنفس الدرجة ... أكثر إنسانية ¹²⁴ ... كيفما تكون أفكارك المعتادة تكون طبيعة عقلك ، فالنفس تصطبغ بالأفكار ، اصطبغ نفسك إذن بسلسلة متصلة من الأفكار مثل هذه : حيثما أمكن الإنسان أن يعيش أمكنه أيضا أن يعيش حياة صالحة ، إذن بوسعه أن يعيش في القصر حياة صالحة . ¹²⁵

¹²⁴ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، الفقرة . 15

¹²⁵ نفسه ، الفقرة . 16

يتجلى بوضوح في هذا النص البعد الإنساني في فكر ماركوس أوريليوس حيث عبر عن مكانته الاجتماعية بتواضع وقناعة ، أنه بإمكانه العيش في القصر بروح إنسانية يقصد التعامل بالحسنى مع الجميع بما في ذلك الخدم ، وإدارة أعماله بحكمة وتعقل وفق ما تقتضيه طبيعة الكل للصالح العام من عدالة ومساواة واستتكار استغلال الإنسان لأخيه الإنسان الذي هو جزء صغير في طبيعة الكل .

من هذا التصور لم ينظر ماركوس أوريليوس إلى منصبه نظرة استعلاء و سمو بل كجزء لبقية الأجزاء في الكل حيث صرح عن ذلك في هذه الفقرة :
 " أنظر في الوجود كله الذي أنت أصغر أجزائه ، وانظر في الزمان كله ، الذي قسمت لك منه لحظة و جيزة و هاربة ، و انظر في القدر و ما هو معقود بالقدر ، و كم أنت جزء ضئيل منه " ¹²⁶ .

بهذه النظرة إلى الإنسان و الوجود بني ماركوس أوريليوس فلسفته الجديدة المتميزة ، جمع فيها بعض أفكار الفلاسفة الإغريق القدامى و أضاف إليها مبادئه التي استوحاها من عقيدته . و بذلك يكون قد قدم لنا صورة مثالية للحاكم العادل يحكم في جمهورية مثالية قانونها الفضيلة و مواطنتها سواسية يجمعهم الخير و لا يضر أحدهم الغير ، ويكتب حول ذلك في تأملاته و يقول : " ما لا يضر المدينة لا يضر مواطنتها ... و متى وقع في ظنك أنه قد مسك ضر فطبق هذا المعيار : إذا كانت المدينة بخير فأنا بخير . أما إذا لحق أذى حقا بالمدينة فان عليك ألا تغضب بل أن تبين لمرتكبه ما عجز عن رؤيته بنفسه ¹²⁷ ... وقر القوة الجوهرية في العالم ، إنها ما يصرف الأشياء جميعا و يوجهها جميعا على أن توقر بالمثل القوة الجوهرية في نفسه ، فهذه مثيلة نفسك . و هذه فيك أيضا ما

¹²⁶ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، الفقرة . 25

¹²⁷ نفسه ، الفقرة . 22

يصرف كل ما عداها ، و حياتك موجهة بها " ¹²⁸ .

إن تأمل و بحث ماركوس أوريليوس عن جوهر المعرفة و حقيقة الوجود أدى به إلى تأسيس فكر متميز أصيل ، استمد أصوله من طبيعة ذاته و مبادئ عقيدته ، حيث غير بعض الأفكار و المفاهيم الفلسفية المتعلقة بالإنسان و علاقة هذا الأخير بالطبيعة . و هذا التغيير لا يمكن أن يكون إلا إذا كانت الذات واعية بالدور الذي ينبغي أن تلعبه داخل المجتمع ويحدث فيه التغيير . وهنا يدخل أثر العقيدة في تغيير الواقع الاجتماعي لما فيه من قوة و تأثير على فكر الإنسان ، و هذه القوة كامنة في قلب مارك أورل حيث أحبه الناس جميعا .

3 - في المجال السياسي

1 - إرساء مفهوم الدولة العالمية :

إذا كانت فكرة الدولة العالمية قديمة تعود إلى المدرسة الرواقية التي أسسها الفيلسوف زينون ¹²⁹ ، فان ماركوس أوريليوس أعاد صياغة مفهومها من منظور عقيدته . فالدولة العالمية في تصوره هي تلك الدولة التي تخضع للقانون الطبيعي الذي ينبغي أن يخضع له جميع المواطنين و كذلك الحاكم على حد سواء . قاعدة هذا القانون هي المثل العليا و أداء الواجبات بإخلاص . لأن قيام الأفراد بواجباتهم و انجاز المهمات الملقاة على عاتقهم بإخلاص و أخلاق يعد من العوامل الأساسية لقيام مجتمع يسوده الانسجام و التكامل و الاحترام ¹³⁰ . و الاختلاف الموجود بين أفراد المجتمع من حيث القدرات الذهنية و العقلية و الجسدية يؤدي إلى اختلاف في الأدوار التي يؤديونها وبالتالي ينتج عن هذا الاختلاف ضرورة التكامل و خدمة البعض للبعث ، و هو نوع من التكافل الاجتماعي ، فالفرد في الدولة العالمية يعمل فيما

¹²⁸ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، الفقرة . 21

¹²⁹ نور الدين حاروش ، تاريخ الفكر السياسي ، الطبعة الرابعة ، دار الأمة ، الجزائر ، 2017 ، ص.106

¹³⁰ نفسه ، ص.107

هو خير له . ولكي يتسنى له فعل ذلك عليه كبح شهواته و التحكم في النفس ، لأن ذلك سيساعده على تحقيق الاستقرار و استتباب الأمن داخل المجتمع ¹³¹ .

يقول ماركوس أوريليوس في هذا الصدد : " فبصفتي أنطونينوس فإن مدينتي هي روما ، و بصفتي إنسانا فمدينتي هي الكون ، لذا فإن ما هو خير لهاتين المدينتين هو خير بالنسبة لي ¹³² ". لقد ميز ماركوس أوريليوس في هذه الفقرة بين نوعين من المدينة ، فالنوع الأول هي روما بحكم الانتماء إلى وطن الأم ، و النوع الثاني الكون بصفة الانتماء إلى وطن الإنسانية . و الغرض من هذا التمييز هو الإشارة إلى نوع القانون و الواقع السائد في المدينتين ، أي أن القانون السائد في روما هو قانون وضعي يستوجب عليه احترامه بصفته مواطن روماني ، و أما الكون يسيره القانون الطبيعي (الإلهي) . أي أن ماركوس أوريليوس كان يطمح في قيام نظام حكم بشكل يوافق القانون الإلهي أساسه الخير للبشرية ، لأن إذا خالف القانون الوضعي مبادئ القانون الطبيعي فسوف يؤدي ذلك إلى الاضطرابات و ظهور مقاومات مناهضة للاستبداد . و لهذا ينبغي التحلي بروح الجماعة و منفعة الكل ، و يقول في هذا الشأن : " كل ما يحدث للفرد هو لمنفعة الكل ، إلى هنا كل شيء واضح . و لكن إذا أنعمت النظر فسوف ترى أيضا كقاعدة عامة، أن ما ينفع شخصا ينفع الآخرين أيضا ¹³³ ... كل مخلوق ينبغي أن يفعل ما تمليه عليه فطرته الخاصة ، و لقد جبلت بقية المخلوقات على خدمة الكائنات العاقلة ... المبدأ الرئيسي إذن في جبلة الإنسان هو المبدأ الاجتماعي " ¹³⁴ .

إن مفهوم الدولة العالمية الذي طرحه ماركوس أوريليوس مبني على خدمة المجتمع ، حيث لكل فرد دوره حسب قدراته ، فالجميع سواسية في هذا الجانب

¹³¹ نور الدين حاروش ، المرجع السابق .

¹³² ماركوس أوريليوس ، الكتاب السادس ، الفقرة . 44 .

¹³³ نفسه .

¹³⁴ نفسه ، الكتاب السابع ، الفقرة . 55 .

و يضيف قائلاً : " هل فهمي قادر على أداء المهمة أم لا ؟ إذا كان قادراً فسوف أستخدمه كأداة للعمل التي و هبتها لي طبيعة الكل ، و إذا لم يكن قادراً فإما أتنازل عنها و أتركها لمن هو أقدر عليها مني ، و إما إذا لزم الأمر ، سوف أحاول أن أنفذها جهد ما أستطيع ما هو ملائم بالاستعانة بمن يمكنه التعاون مع عقلي الموجه لتحقيق الصالح العام . و أيا كان ما أفعل بنفسني أو مع غيري ، فينبغي أن ينصب على شيء واحد : ما هو مفيد و ملائم للمجتمع " ¹³⁵ .

يبدو في هذه الفقرة تصريح واضح لما أشارنا إليه من قبل أن ماركوس أوريليوس ليست لديه الحرية و السلطة المطلقة في تطبيق مبادئ فلسفته في المهمة المكلف أدائها المتمثلة في الحكم و إدارة الإمبراطورية الرومانية ، بسبب وجوب العمل وفق تقاليد وقوانين الرومان إلى جانب نفوذ النبلاء و قوتهم في توجيه سياسة الدولة عن طريق مجلس الشيوخ . و هذا هو الواقع المفروض على ماركوس أوريليوس الذي صرح أنه في هذه الحالة سيحاول القيام ببعض الأشياء التي تخدم المجتمع ¹³⁶ . و هذه المحاولة جسدها في بعض الإصلاحات التي هي نسبية مقارنة إلى ما كان يدعو إليه في تأملاته حيث كان يرغب في احترام و تنفيذ القانون الإلهي ، و بالتالي يحيى جميع الناس على العدل و الإخاء و فعل الخير .

ب - قيم المواطنة في الدولة العالمية :

إن التوسع الروماني على حساب الدول الأخرى واقع تاريخي لا شك فيه ، و تقبل الثقافة الرومانية في ظل سياسة الشعب المنتصر حتمية تفرض نفسها على الشعوب المغلوبة ، و في مثل هذه الظروف تنشأ الاضطرابات و تطرح إشكالية البحث عن المكانة في عالم واسع الأرجاء تحت اسم الإمبراطورية الرومانية . و حين تفشل المقاومات الوطنية في تغيير الأوضاع لصالح العامة ، يظهر فكر جديد يحاول

¹³⁵ ماركوس أوريليوس ، المصدر السابق ، الفقرة 5.

¹³⁶ نفسه .

التوفيق بين ثقافة الغالب و المغلوب مثل ما فعله فرونطو عندما توجه نحو الفكر الإصلاحى السياسى ، حيث رسم مشروعاً تربوياً هادفاً إلى إعداد الفكر الرومانى لتقبل فكرة المواطنة العالمية على نموذج و تجربة الاسكندر المقدونى فى الشرق . و قد تتبعنا فى الفصول السابقة الخطوات التى اتبعها فى إستراتيجيته التعليمية التربوية الهادفة إلى غرس فى فكر أمراء الرومان الأخلاق و القيم السياسية ونبذ الاستعباد و كل أشكال الاستبداد .

حاول فرونطو خلق عند تلامذته نوع من مقارنة سياسية بين القانونين الطبيعى و الوضعى حتى يتسنى للفلاسفة الحكام مثل ماركوس أوريليوس تطبيقه . و بعد إعداد الأرضية لتنفيذ مشروعه ، يتقدم ماركوس أوريليوس لطرح تصوره و عرض مفهوم الدولة العالمية و ربط نجاحها بمدى تحلى المواطن بالقيم و الفضيلة و روح الانتماء إلى عالم الإنسانية و بالتالى يكتسب صفة المواطن العالمى ، أى أن هذا الأخير يجب أن يكون محباً للآخرين و مستعداً للتفاعل مع الجميع .

لعب ماركوس أوريليوس فى هذا المجال دوراً كبيراً فى إعطاء صورة طيبة للمواطن الصالح إذ كان قدوة و نموذجاً لهذه الصورة لقد تحلى فعلاً بالقيم الإنسانية¹³⁷ ، و نادى فى تأملاته إلى التعقل و وجوب الالتزام و تطبيق القانون الطبيعى الذى اعتبره أفضل دستور للدولة العالمية حيث يتساوى فيه جميع البشر و يجمعهم فى وطن واحد ، وقال حول ذلك : " مشترك بيننا أيضاً الأمر الذى يملئ علينا ما نفعله و ما لا نفعله . و إذا صح ذلك فبيننا أيضاً قانون مشترك . و من ثم فنحن مواطنون ، نستظل معاً بدستور واحد . إذ صح ذلك فالعالم كله كأنه دولة واحدة و إلا كيف يمكن للمرء أن يقول إن الجنس البشرى كله يشارك فى

¹³⁷ JULES ZELLER , loc.cit

دستور عام ؟ من هنا إذن ، من هذه المدينة ، الدولة المشتركة نستمد عقلا ، نفسه قانونا ، و إلا فمن أين نستمده ؟ " 138 .

إن الدستور الذي أشار إليه ماركوس أوريليوس في هذه الفقرة هو الدستور الذي يقوم على تنظيم العلاقات بين الناس و بين المواطنين و الحكام ، بحيث يكون التنظيم مبنيا على مبادئ تخدم المصلحة العامة و بالتالي يستوجب على الفرد التحلي بقيم العدالة و التسامح وحب الخير و الجنوح إلى السلام .

و صفة المواطن العالمي من منظور ماركوس أوريليوس تشمل البشرية جمعاء دون تمييز عرقي أو طبقي أو ثقافي ، فلكل واحد دور و مسؤولية تجاه العالم الذي يعيش فيه و كذلك تجاه أخيه الإنسان . في هذا الإطار لم يستثن ماركوس أوريليوس نفسه فقد ذكر أنه بصفته حاكم يستوجب عليه العدل و فعل الخير ، وقرأ ذلك في تأملاته الآتية : " كل ما يحدث في العالم فهو حق ، تأمل هذا القول بعناية ولسوف تجد أنه حق لست أعني بالحق هنا مسار الأسباب ، بل أعني به العدل ... ضع هذا إذن نصب عينيك : كلما شرعت في عمل ، أيا كان ، و أيما شيء تؤديه فأده أداء رجل صالح بالمعنى الدقيق . و ألزم ذلك في كل فعل ¹³⁹ ... لا تحكم على الأمور كما يحكم عليها من أذاك ، أو كما يريدك أن تحكم ، بل أنظر إلى الأشياء كما هي عليه في الحقيقة ¹⁴⁰ ... كل مخلوق إنما خلق من أجل مخلوق آخر و مساره موجه إلى ذاك الذي خلق من أجله . و غايته تكمن في ذلك الذي يتجه إليه مساره . و حيثما كانت غايته فثم أيضا خيره و صلاحه . ينتج عن ذلك أن خير المخلوق العاقل هو الجماعة . و لطالما انعقد الدليل على أننا خلقنا للجماعة " ¹⁴¹ .

¹³⁸ ماركوس أوريليوس ، الكتاب الأول ، الفقرة . 2

¹³⁹ نفسه . .

¹⁴⁰ نفسه ن الفقرة . 10

¹⁴¹ نفسه ، الكتاب الخامس ، الفقرة . 15

قدم ماركوس أوريليوس من خلال تأملاته صورة لمجتمع مثالي يحوي على حقائق الوجود و مكانة الإنسان في هذا الكون ، و حدد للبشرية المنهج العقلائي نحو السعادة و ذلك بالتحلي بمجموعة من القيم في مقدمتها التسامح الذي يمثل الركيزة الأساسية في التعايش و تحقيق السلام داخل الدولة العالمية ، و هذه الأخيرة تشكل هيئة موحدة تسعى لتحقيق العدالة على يد حكام عادلين ، لأنهم مسؤولون على رعاية المجتمع و تنفيذ القانون الإلهي في تنظيم العلاقات الإنسانية بين أفراد شعوبهم ، يقول ماركوس أوريليوس في هذا الموضوع : " إذا استنطعت بين لهم الطريق الأقوم ، و إذا لم تستطيع فتذكر أنه لذلك السبب قد أوتيت ملكة السماحة . والآلهة أيضا متسامحون مع هؤلاء الناس " 142 .

أكد ماركوس أوريليوس مرة أخرى على مبدأ التسامح و قد جعله دائما في علاقة مباشرة مع الآلهة ، بعبارة أخرى جعل القرينة بين الأخلاق و الدين ، لأن الفضيلة أساسها فعل الخير و خدمة الجماعة . هذا التصور يؤدي بنا إلى القول أن الدولة العالمية من منظور ماركوس أوريليوس هي دولة مثالية يكون فيها المواطنون مثاليين في الأخلاق و التدين ، وحتى إذ كان هناك الأشرار فالتسامح معهم فضيلة من أجل أن يعم السلام داخل المجتمع و تنعم الدولة بالاستقرار و السكينة .

الخلاصة :

أهم ما لاحظناه خلال هذا الفصل تكامل الأدوار التي لعبها كل من فرونطو و ماركوس أوريليوس في إثراء الفكر الروماني . لقد جسد الاثنين المفاهيم النظرية عمليا ، فمفهوم الديدانكتيكية و البيداغوجيا بدا واضحا في مجال التعليم حيث كان فرونطو مرشدا في العملية التعليمية العملية و محركا لميول و دوافع تلميذه

¹⁴² ماركوس أوريليوس ، الكتاب التاسع ، الفقرة . 11

ماركوس أوريليوس . و هذا الأخير قدم بدوره صورة مثالية للانضباط التربوي وقوة أمام المتعلمين في احترام و توقير المعلمين . لقد رفع من مكانة المعلم إلى مستوى القدسية و التبجيل، فكانت كلمة " معلمي " ثابتة على لسانه حتى و هو في منصب الإمبراطور مازال يرددتها وينادي فرونطو بمعلمي .

لاحظنا أيضا ميزة الأصالة و الحداثة في فكر فرونطو واعتبرها الركيزة الأساسية في أي عمل يقوم به المفكر أو الفنان ، و رسخ ذلك في فكر تلامذته وظل يوجههم إلى الإبداع و التجديد . لقد أبدع فرونطو طريقة جديدة في ميدان التعليم و متميزة خلال القرن الثاني الميلادي ، حيث أدخل تغييرا جذريا في التعليم التقليدي السائد آنذاك الذي يتركز على دور المعلم دون المتعلم . بينما هو جعل المتعلم محورا أساسيا في العملية الديدكتيكية و باحثا عن المعرفة . و بهذا يمكن لنا القول أنه من المؤسسين الأوائل لمنهج المقاربة بالكفاءات مع الإلمام بالمحتوى و الأهداف البيداغوجية مما يخدم عملية التعلم .

و أما ماركوس أوريليوس فقد ساهم من جهته مساهمة فعالة في إثراء مجال التعليم إذ كشف عن كيان المتعلم عن طريق إسقاط شخصيته عليه . فبين أن للمتعلم وجدان ينبغي على المربي و المعلم أخذه بالحسبان ، لأن ذلك يساعد على فهم الميول ودافعية التعلم و البحث عن وسائل و طرائق إثارتها ، وبذلك يكون قد أضاف جانبا أساسيا في مجال العلوم التربوية لاسيما الجانب النفسي للمتعلم .

كان فرونطو على دراية بتلك الجوانب لكنه سطر لها إطارا اجتماعيا لا ينبغي على المربي و لا المتعلم الخروج عن القيم الاجتماعية ، لأنها وسيلة لاستمرار التواصل الاجتماعي بين الفرد و بيئته .

و للتربية الاجتماعية دور كبير في عملية اكتساب المبادئ و المهارات و الاتجاهات لدى المتعلم ، لهذا كان فرونطو يرشد تلامذته نحو آداب احترام قيم و أعراف المجتمعات .

وفيما يتعلق بالمجال الأدبي ، ترك فرونطو بصمة أدبية فقد ساهم في إثراء الرصيد اللغوي اللاتيني إذ زوده بالمصطلحات العامة المتداولة في روما و مختلف مقاطعات الإمبراطورية ، وقام بضبطها ووضع لها القواعد وما يناسبها من نحو و بلاغة ، و شكل بذلك لغة جديدة شاركت فيها السنة أمم العالم الروماني ، وهي شبيهة باللغة البونيقية التي جمعت بين اللسانين الفينيقي و المغاربي القديم . و بين عمليا أهمية هذه اللغة فقد وظفها في تحرير رسائله ونصوصه و مختلف خطبه ، و نجح بالامتياز في تحقيق تفوق لغوي بليغ في مجال فن المراسلات آنذاك .

لعب فرونطو في مجال المراسلات دورا كبيرا في إرساء قواعد فنها حيث ميز بين أنواعها ، فمنها ما هو إداري رسمي خاص بالإدارة و السياسة و منها ما هو شخصي موجه للأصدقاء و الأحباب ، و لقد لاحظنا ذلك في نوع الأساليب و الصيغ التي استخدمها في كتابة تلك الأنواع . فالرسالة الإدارية الرسمية حررها بأسلوب بليغ جدا وراعى فيها عبارات التقدير و الاحترام في بدايتها و نهايتها . بينما استخدم في الرسائل الشخصية التعبير الأدبي البسيط وعبارات الصداقة التي اختلفت باختلاف جهات الاستقبال .

و في ما يتعلق بالجانب السياسي فقد قدم فرونطو نموذجا حيا في الأخلاق السياسية ووجوب التحلي بها والسعي إلى تكوين فكر جديد يقوم على تقبل المواطنة العالمية أين يشارك بها جميع السكان بالتساوي في البناء و التشييد الحضاري ، و كان له أثر في قيام بعض الإصلاحات في العالم الروماني خلال القرن الثاني الميلادي .

و أما ماركوس أوريليوس ترك هو الآخر بصمة في مجال الآداب و السياسة ، و قد ظهر ذلك من خلال أعماله حيث نقل الفكر الإغريقي إلى روما ثم قام بإثرائه بأفكار فلسفته و مبادئ عقيدته ، و بالتالي ركب تصورا جديدا في علوم الإنسان و الأخلاق و رغب في تجسيده عمليا في الميدان السياسي إلا أن واقع هذا الأخير حال دون تحقيقه كما كان يريده و كما كان يرغبه معلمه فرونطو . فكتب عن الدولة العالمية و نادي إلى الأخلاق و الفضيلة واتخذها قيما للمواطنة ينبغي تجسيدها في العالم الروماني .

إن المواطن العالمي في تصور ماركوس أوريليوس هو مواطن مثالي يستوجب عليه التحلي بروح الإنسانية و المسؤولية في أداء الواجبات ، فالكل في نظره سواسية لأنهم خلقوا للقيام بأعمال الخير و كل ما يخدم الغير ، و جعل مبدأ " التسامح" رابطة اجتماعية أخلاقية و ضرورية في تماسك و استقرار المجتمع و الدولة معا . بينما أستاذه فرونطو استهدف الطبقات العامة و المحرومة و حاول استرجاع حقوقها التي سلبها الاحتلال الروماني ، لذلك سعى إلى توجيه الفكر الروماني إلى قيام دولة عالمية على أسس العدالة و المساواة بين الناس . لقد نجح إلى حد بعيد في تحقيق غايته إذ ترك رسالة " تعميم حق المواطنة " لتلامذته بدءا من ماركوس أوريليوس إلى سبتيميوس سفيروس و ابنه كراكلا الذي جسد مشروع فرونطو عمليا و اتخذ الاسكندر المقدوني قدوة و نموذجا له ، فدمج ثقافة الرومان بثقافة شعوب المقاطعات بقانون واحد أصدره سنة 212 م و هو قانون حق المواطنة .

الخاتمة

الخاتمة

توصلنا في نهاية هذه الدراسة إلى تسجيل حوصلة من الاستنتاجات نذكرها فيما يلي :

- فرونطو خطيب لاتيني ينحدر من عائلة نوميدية مرومنة .
- من أهم خصاله الكرم و الإخلاص ، النزاهة والطيبة. كان وفيًا في علاقاته و لقد لاحظنا ذلك من خلال مواقفه تجاه أصدقائه خاصة مع المؤرخ الإغريقي أبيانوس الاسكندري الذي توسط لصالحه لدى الإمبراطور أنطونينوس التقي لترقيته إلى منصب وكيل الإمبراطور. إلى جانب هذه الخصال كانت النزاهة مبدأ له في كل مواقفه ، لقد بين ذلك عمليا أثناء أداء مهام المحاماة حيث وقف ضد رجال كانوا من قبل أصدقاء له نذكر على سبيل هيروود أتيكوس ونيجر سونصوريوس عندما تجاوزا حدود القانون . ودافع أيضا عن حقوق المظلومين شرق و غرب الإمبراطورية الرومانية مثل البيثيين بآسيا و سكان بتوليماس بفينيقيا وكذلك القرطاجيين . واكتسب بذلك سمعة طيبة و شهرة كبيرة في المحاكم بفضل بلاغته و قوة حججه .
- ترك فرونطو أعمالا كثيرة من مراسلات و خطب و مقالات و كتب ، لكن معظمها ضاع و لم يبق منها إلا بعض الأجزاء المحفوظة في مكتبة أمبروزيان بمدينة ميلانو الإيطالية و في الفاتيكان بروما ، تولى نشرها الأسقف أونجلي ماي سنة 1815م.
- انجازات فرونطو لها أهداف تربية و تثقيفية و أبعاد سياسية فعلى سبيل المثال المقال الذي كتبه حول موضوع الإهمال ، كان هدفه لفت انتباه ماركوس أوريليوس إلى الأخطار التي تحيط بالإمبراطورية الرومانية و أن يأخذ حذره من طبيته و تساهله و تسامحه الكبير تجاه جميع الناس ، و يرى في ذلك إهمالا لأن الأعداء لا يجدون أية صعوبة في التهجم عليه .

- لاحظنا أيضا أن المواضيع التي تناولها فرونطو متنوعة و هادفة ما يدل على اطلاعه الواسع على كتب القدامى ، و اكتسب من ذلك خبرة و معرفة أهلته ليتبوأ مكانة بارزة في القرن الثاني الميلادي ، لذلك اختاره الإمبراطور أنطونينوس التقي ليكون معلما لأمرء الرومان .
- يتميز فرونطو بفكر بيداغوجي ممتاز خلال القرن الثاني الميلادي حيث لاحظنا ذلك من خلال تحليلنا لإستراتيجيته التربوية- التعليمية ، فقد وضع لها أهدافا منها ما هو قريب و أخرى بعيدة المدى . فالأهداف القريبة تركزت على تعليم ماركوس أوريليوس علوم البلاغة و كيفية توظيفها في الخطب السياسية أو المراسلات المختلفة ، لأن ذلك ضروري في النشاط السياسي أين يستوجب على القيادة السياسية التحكم و التمكن في قواعد اللغة و فنون الخطابة . أما الأهداف البعيدة تتلخص في إعداد ماركوس أوريليوس للوقوف أمام نفوذ النبلاء و حكم الطغاة و العمل على تجسيد دولة القانون أين يسود الإنصاف و العدالة الاجتماعية .
- فكان يقدم له أمثلة لشخصيات و أبطال خلدها التاريخ إما لعظمة أعمالها أو لهون أفعالها ، و ألف كتابا خاصا لهذا الغرض تحت عنوان " مبادئ التاريخ " الذي يهدف إلى غرس في شخصية ماركوس أوريليوس الأخلاق السياسية كالإخلاص و الوفاء للشعب و الوطن دون إقصاء أي فرد في العالم الروماني .
- أما بالنسبة لماركوس أوريليوس فقد تميز بعدة خصال منها : التواضع و الصبر و الثبات في أوقات الشدائد و الأزمات ، و كان طيبا و محسنا مع جميع الناس و برهن على ذلك عمليا عندما تعرضت الإمبراطورية الرومانية إلى أعنف كارثة طبيعية متمثلة في فيضان نهر التيبير الذي خلف خسائر مادية كبيرة تسببت في انتشار المجاعة . فقد بذل ماركوس أوريليوس في هذه الظروف كل ما في وسعه للتخفيف من أثر الكارثة . و برهن أيضا على إحسانه أيام حدوث العجز المالي

- في خزينة الدولة ، إذ باع بعض ممتلكاته في المزاد العلني في فروم تراجانوس المقدس لتجنب إرهاب المقاطعات الرومانية بالضرائب الباهظة و التمكن من تمويل الجيوش بسخاء .
- كان ماركوس أوريليوس أثناء الحرب و في أوقات السلم حرصا على تطبيق الحكم بالعدل بين جنوده ، إذ كان يحقق في القضايا المرفوعة إليه تحقيقا مطولا قبل أن يصدر أي حكم . و كان يسهر على القيام بواجباته على أحسن وجه لشدة شعوره بروح المسؤولية .
- كرس هذا الإمبراطور معظم أيام حياته في ممارسة الفضيلة التي جعل لها هيكلًا في الكابيتول ، و حاول قدر الإمكان تجنب الرذائل و الأخطاء ، بينما كان يتجاوز أخطاء الآخرين ، و خير مثال على ذلك عندما طلب من مجلس الشيوخ تخفيف العقوبات على المتورطين في الحرب الأهلية التي قادها كاسيوس بسوريا ، و طلب بدفن هذا الأخير الذي قتله جنوده علما أن ماركوس أوريليوس تمنى لو كان " كاسيوس " حيا ليناقشه فيما أقدم عليه ، و ألقى خطابا على مسامع الجنود و ذكر فيه أن ما حدث شيء فظيع ، و أن الأفطع و الأعجب من ذلك هو انعدام الوفاء و أن يخونه أعز أصدقائه الذي لم يؤذنه أبدا. وقال ماركوس أوريليوس لو كان الأمر ممكنا لاستدعى كاسيوس ليناقشه بخصوص أطماعه ، و لكان مسرورا بالتنازل له عن السلطة أمام جنوده و مجلس الشيوخ إذ كان في ذلك فائدة ترجى للصالح العام .
- كان ماركوس أوريليوس تقيا و محبوبا من قبل جميع المواطنين إذ فيهم من يناديه بالأب و البعض بالأخ و البعض الآخر بالابن حسب سنهم ، لأنهم وجدوا فيه الطيبة و الإحسان و الروح الإنسانية التي ظل يتحدث عنها في تأملاته حيث تأثر كثيرا بالفلسفة الرواقية وكان ينظر إلى الإنسان و العالم نظرة الفيلسوف الرواقي المتصوف الذي يعتبر العقل هو القانون الأخلاقي الحاكم في كل شيء و الشر من الأفعال غير الإرادية في الإنسان ، لذلك ينبغي تجاوزها.

- إن تأثره الكبير بالفكر الرواقي جعله في البداية قليل الاهتمام بدروس البلاغة ، وقد صرح بميوله الفلسفية وعزمه على الابتعاد عن فنون الخطابة و علوم البلاغة. تعامل أستاذه فرونطو مع هذا الموقف معاملة بيداغوجية حيث تمكن من إقناعه بأن الفيلسوف الحكيم لا ينفرد من البلاغة و استنكر نفوره عبر أقوال وشخصية أفلاطون . و كانت النتيجة ايجابية حيث أثار فيه دافعية تعلم البلاغة. و نجح في تكوينه و جعله إمبراطورا بليغا متمكنا من تحرير الرسائل و الخطب بنفسه و بمستوى يليق بمنصب الحاكم .
- بالنسبة لظروف بلاد المغرب القديم التي ترعرع فيها فرونطو في ظل سياسة الاحتلال الروماني ، لقد تركت فيه أثرا عميقا حيث زعزت مشاعره وأيقظت فيه روح الانتماء إلى هذه المنطقة . و كان ذلك من أهم العوامل التي وجهت فكره إلى البحث عن سبل تحرير السكان من العبودية في الوقت الذي فشلت فيه المقاومة المسلحة في الوطن الأم " نوميديا " منذ عهد الملك يوغرطة (111 ق م - 105 ق م) . في هذه الظروف أدرك فرونطو أن المواجهة العسكرية ضد الرومان لم تعد وسيلة فعالة لتغيير الأوضاع ، و لم يجد حينئذ أمامه بديلا آخر سوى القلم و السياسة ، لهذا رسم إستراتيجية سياسية إصلاحية ترمي إلى انتزاع بعض الحقوق لصالح سكان المقاطعات . و في ظل المهمة التي كلفه بها أنطونينوس النقي لتعليم ابنه بالتبني البلاغة ، استغلها في تحقيق غايته ، فكانت تقريبا كل الدروس التي قدمها تحمل طابعا سياسيا هادفا ، كان يوجه ماركوس أوريليوس إلى قراءة مؤلفات البلغاء القدامى مثل سقراط و شيشرون . علما أن هؤلاء لهم توجه رواقي و فرونطو له دراية و خبرة بيداغوجية في كيفية توجيه ميول المتعلم نحو هدف ما و غاية معينة ، و كان يعرف أيضا مراحل نمو و تشكل شخصية المتعلم . أي أن تربية ماركوس أوريليوس على الفكر الرواقي كان مقصودا و مسطرا و من ضمن أهداف فرونطو . لأن هذا الفكر تأسس على مبادئ الفضيلة و نبذ كل أنواع الاستبداد و يدعو إلى تجسيد القانون الإلهي القائم على العدالة و المساواة بين الناس . فكانت النتيجة

- من هذه الإستراتيجية تشبع تلميذه بتلك المبادئ ، و بعد ذلك انتقل فرونطو إلى مرحلة أخرى حيث وجه و حث فيها ماركوس أوريليوس إلى الاقتداء بنموذج الاسكندر المقدوني الذي احترم ثقافات الشعوب . وفي الواقع كان هدف فرونطو من هذا التوجيه هو تطبيق أسس الفضيلة في الميدان و إعداد الفكر الروماني للاعتراف بحقوق العامة بشكل قانوني يحمي حق المواطنة في جميع المقاطعات الرومانية .
- لقد لعب فرونطو و ماركوس أوريليوس دورا كبيرا في إثراء الفكر الروماني من عدة جوانب ، لا سيما المجال التعليمي و الأدبي و السياسي . لقد جسد الاثنين المفاهيم النظرية عمليا . فمفهوم الديداكتيكية و البيداغوجيا بدا واضحا في مجال التعليم حيث كان فرونطو مرشدا في العملية التعليمية التعلمية و محركا لميول و دوافع ماركوس أوريليوس ، و هذا الأخير قدم بدوره صورة مثالية للانضباط التربوي .
- كانت ميزة الإبداع و الأصالة الركيزة الأساسية في فكر فرونطو وقد رسخها في فكر ماركوس أوريليوس . لقد أبدع هذا المعلم طريقة جديدة في ميدان التعليم و متميزة خلال القرن الثاني الميلادي ، حيث أدخل تغييرا جذريا في نمط التعليم التقليدي السائد آنذاك الذي كان يتركز على دور المعلم دون المتعلم . بينما هو قد جعل المتعلم محورا أساسيا في العملية الديداكتيكية و باحثا عن المعرفة . و بهذا يمكن القول أنه من المؤسسين الأوائل لمنهج المقاربة بالكفاءات مع الإلمام بالمحتوى و الأهداف البيداغوجية مما يخدم عملية التعلم .
- و أما ماركوس أوريليوس فقد ساهم من جهته مساهمة فعالة في إثراء مجال التعليم ، إذ كشف عن كيان المتعلم عن طريق شخصيته . فبين من خلال مواقفه أن للمتعلم وجدان ينبغي على المربي تقديره مما يساعده على فهم الميول و دافعية التعلم ثم البحث عن وسائل و طرائق إثارتها . و بهذا يكون ماركوس أوريليوس قد أضاف جانبا أساسيا في مجال علوم التربية و هو الجانب النفسي للمتعلم .

- كان فرونطو على دراية بأن للتربية الاجتماعية دور كبير في عملية اكتساب المبادئ و المهارات و الاتجاهات لدى المتعلم ، لهذا وضع لها إطارا في إستراتيجيته باعتبارها وسيلة للتواصل الاجتماعي بين الفرد و بيئته ، و حث تلامذته على ضرورة احترام قيم و أعراف المجتمعات .
- و فيما يتعلق بالمجال الأدبي ، ترك فرونطو بصمة أدبية فقد ساهم في إثراء اللغة اللاتينية حيث زودها بالمصطلحات العامة المتداولة في روما و مختلف مقاطعات الإمبراطورية الرومانية ، و قام بضبطها ووضع لها القواعد و ما يناسبها من نحو و بلاغة ، و شكل بذلك لغة جديدة شاركت فيها جميع السنة العالم الروماني . كما لعب أيضا دورا حيويا في مجال المراسلات بإرساء قواعد فنها ، حيث ميز بين أنواعها ، فمنها ما هو إداري رسمي خاص بالإدارة و السياسة و منها ما هو شخصي موجه للأصدقاء و الأحباب . فالرسالة الإدارية حررها بأسلوب بليغ جدا و راع فيها عبارات التقدير و الاحترام في بداية و نهاية الرسالة. بينما الرسائل الشخصية استخدم فيها الأسلوب البسيط و عبارات الدالة على الصداقة و التي اختلفت باختلاف جهات الاستقبال .
- و فيما يخص الجانب السياسي قدم فرونطو نموذجا حيا في الأخلاق السياسية ، و أكد على وجوب التحلي بها و سعى إلى تكوين فكر جديد يقوم على فكرة تقبل المواطنة العالمية أين يشارك فيها جميع الناس و بالتساوي في البناء و التشييد الحضاري . و كان له أثر في قيام بعض الإصلاحات في العالم الروماني خلال القرن الثاني الميلادي .
- أما ماركوس أوريليوس فقد ترك هو الآخر بصمة في مجال الأدب و السياسة و ظهر ذلك من خلال أعماله ، حيث ساهم نقل الفكر الإغريقي إلى روما ثم قام بإثرائه وفق عقيدته و بالتالي شكل تصورا جديدا في علوم الإنسان و الأخلاق . حاول ماركوس أوريليوس تجسيد فلسفته الجديدة عمليا لكن الواقع السياسي آنذاك حال دون تحقيقه كما يريده و يرغبه أستاذه فرونطو ، فأخذ يكتب عن

الدولة العالمية و نادي إلى الأخلاق و الفضيلة التي اتخذها قيما للمواطنة .
فالمواطن العالمي في تصوره هو مواطن مثالي يتحلى بروح الإنسانية و المسؤولية
في أداء الواجبات و الكل في نظره سواسية لأنهم خلقوا للتعاون و التآزر و فعل
الخير ، و جعل مبدأ التسامح رابطة اجتماعية أخلاقية و ضرورية في
تماسك و استقرار المجتمع و الدولة .

- بينما استهدف فكر فرونطو الطبقات العامة و المحرومة ، و حاول استرجاع
حقوقها التي سلبها الاحتلال الروماني ، لذلك سعى إلى توجيه الفكر الروماني إلى
قيام دولة عالمية على أسس العدالة و المساواة بين الناس .
لقد نجح فرونطو إلى حد بعيد في تحقيق غاياته اذ ترك رسالة تعميم حق المواطنة
لتلامذته بدءا من ماركوس أوريليوس إلى الإمبراطور سبتيميوس سفيروس و ابنه
كراكلا الذي جسد مشروعه عمليا ، و اتخذ الاسكندر المقدوني قدوة و نموذجا له
بدمج ثقافة الرومان بثقافة شعوب المقاطعات بقانون واحد أصدره سنة 212 م
و هو قانون " حق المواطنة " .

الفهارس

فهرس الأعلام

(١)

- أبولونوس : 48
- أنيا كورنيفيسيا : 53
- أتون : 32 - 33 - 164
- أولوجيل : 27
- أنجلوماي : 28
- أوفيدوس فيكتورينوس : 27
- فيكتورينوس فرونطو : 27
- أنطونان التقي : 8 - 10 - 11 - 12 - 16 - 22 - 23 - 25 - 28 - 30 - 36 - 44 - 52 - 53 - 169 - 211 - 233 .
- أثيمودوت : 9
- ديونييسيوس : 9
- أبيانوس : 11 - 12 - 13 - 44
- أرسطو : 138 - 187 - 188 - 190 - 193 - 188 .
- اكتيتوس : 139 - 140 .
- أغسطس : 164 - 177 - 178 - 207 - 208 - 209 .
- أذرعيل : 182 - 183 - 184 - 185 .
- أولوس ألبينوس : 185 - 186
- اينبوس : 91 - 97 - 99 .
- أكيبوس : 97 - 99 .
- أنطونيوس : 109

- أفلاطون : 133 - 138 - 154 - 158 - 168 - 169 - 190 - 191 - 241 .
- الاسكندر المقدوني : 107 - 108 - 111 - 186 - 187 - 188 - 189 - 192 - 212 - 221 - 235 - 248 - 254 .

(ب)

- بروتوس : 51
- بوميانوس : 55
- بيرتيناكس : 55
- بانيتيوس : 136
- باخيوس : 137
- بارمنيدس : 141
- بروتاغوراس : 158
- بولوس : 158
- بستيا : 185 - 196
- بخوس : 185
- بارثامازيروس : 117 - 118

(ت)

- تراجانوس : 8 - 19 - 37 - 38 - 110 - 111 - 112 - 116 - 117 .
- 118 - 176 .

- تيبيريوس كلوديوس أتيكود هيرود : 14
- تيتوس : 37
- ترازياس : 51
- تانداس : 137
- ترازيماك : 158

• تبیریوس : 165

(ج)

• جولیس سیناک : 25 - 26 .

(خ)

• خریسیوس : 139 - 140 .

(د)

• دومیتیان : 37

• دسیال : 37

• دومینا کالفیلا : 46

• دیونیسیوس تتویور : 103 - 104 .

• دینتاتوس : 208 - 209 .

(ر)

• روسٹیکوس : 48

• رومولوس : 111

(ز)

• زینون : 132 - 136 - 239 - 192 .

(س)

• سکتیوس کالبورنیوس : 11 - 12 .

• سولا : 33 - 185 .

- سكتوس : 49
- سالوستوس : 91 - 105 - 106 - 131 - 181 - 182 .
- سبارطاكوس : 96 - 98 - 109 - 120 .
- سنیکا : 137
- سقراط : 139 - 140 - 157 - 158 - 160 - 190 - 212 .
- سبوريس ألبينوس : 185 - 186
- سكيبيو : 208 - 209 .
- سبتيميوس سفيروس : 234 - 235 - 254 .

(ش)

- شيشرون : 91 - 97 - 98 - 131 - 191 - 192 - 212 - 233 .

(غ)

غراتيا : 27 - 67

(ف)

- فرونطو : 8 - 9 - 10 - 11 - 12 - 13 - 14 - 15 - 16 - 17 - 18 - 19
- 21 - 22 - 23 - 24 - 25 - 26 - 28 - 29 - 30 - 31 - 32 - 33 -
- 34 - 36 - 37 - 38 - 39 - 40 - 42 - 43 - 44 - 45 - 47 - 50 - 64
- 65 - 67 - 68 - 75 - 87 - 88 - 89 - 90 - 91 - 96 - 98
- 100 - 101 - 102 - 103 - 104 - 105 - 106 - 107 - 108 - 109 -
- 110 - 111 - 112 - 113 - 115 - 117 - 118 - 119 - 120 - 121 -
- 122 - 123 - 124 - 125 - 127 - 128 - 129 - 130 - 131 - 156 -
- 158 - 160 - 161 - 162 - 163 - 165 - 166 - 169 - 170 - 171 -
- 172 - 174 - 178 - 179 - 180 - 182 - 184 - 186 - 189 - 190 -

- 192 - 194 - 211 - 212 - 214 - 215 - 216 - 217 - 218 - 219 -
- 220 - 221 - 222 - 223 - 224 - 225 - 226 - 227 - 228 - 229 -
- 230 - 231 - 232 - 233 - 234 - 235 - 236 - 237 - 238 - 246 -
- 248 - 249 - 251 - 252 .
- فوستين : 8 - 22 - 29 - 57 - 59 - 63 .
- فيتيلوس : 32 - 33 - 164
- فولوجاس : 54
- فالاريس : 201 - 202
- فيرياتوس : 96 - 98 - 120 .
- فايوس : 97 - 98

(ق)

- قالبا : 32 - 33
- قيصر : 29 - 33 - 164
- قوليسوس : 208 - 209

(ك)

- كاتو : 31 - 32 - 51 - 91 - 123 - 126 - 127 - 131 - 209 .
- كاتيلوس سفير : 16 - 205
- كاسيوس : 55 - 56 - 57 - 58 - 59 - 86 .
- كومود : 57 - 65
- كراكوس : 91
- كليوباترة : 101 - 104
- كاليقولا : 165
- كاميلوس : 208 - 209

• کایوس : 208 – 209

• کراکرا : 235 – 254

(ل)

• لوکیوس فیروس : 9 – 11 – 13 – 28 – 34 – 36 – 38 – 53 – 54 – 106 –

113 – 115 – 116 – 117 – 119 – 123 – 161 – 167 – 180 .

• لوسیوس کویتوس : 37

• لوکییا : 54 – 90 – 91 .

• لوکریٹیوس : 97 – 99

• لاییس : 101 – 104

(م)

• مارک آورل : 9 – 10 – 11 – 13 – 14 – 15 – 17 – 18 – 19 – 24 – 28 –

29 – 30 – 31 – 33 – 39 – 40 – 41 – 42 – 43 – 44 – 45 – 46 – 47 –

49 – 51 – 52 – 53 – 54 – 55 – 56 – 57 – 58 – 59 – 60 – 61 –

62 – 63 – 64 – 65 – 68 – 72 – 73 – 74 – 75 – 77 – 78 – 83 – 84 –

85 – 86 – 88 – 89 – 91 – 99 – 102 – 105 – 106 – 123 – 124 –

125 – 126 – 127 – 128 – 130 – 131 – 137 – 138 – 139 – 104 –

140 – 141 – 143 – 144 – 145 – 146 – 148 – 149 – 150 – 151 –

152 – 153 – 154 – 155 – 156 – 157 – 159 – 160 – 161 – 166 –

167 – 169 – 170 – 171 – 172 – 178 – 180 – 181 – 186 – 189 –

190 – 194 – 195 – 196 – 167 – 198 – 199 – 200 – 201 – 202 –

205 – 206 – 208 – 209 – 210 – 211 – 213 – 216 – 220 – 227 .

- ماريوس : 33
- ماكسيموس : 52
- موميوسكادراتوس : 53
- مكيبسا : 182 - 184 - 185
- متيلوس : 185 - 186
- ماريوس : 185

(ن)

- نيچر سونصورپوس : 15 - 16 - 44
- نيرو : 32 - 164 - 202
- نوما : 111 - 112
- نستور : 205 - 206

(ه)

- هيرود اتيكوس : 13 - 14 - 15 - 44 - 47 .
- هادريانوس : 20 - 35 - 36 - 47 - 111 - 112 - 209 .
- هلفيديوس : 51
- هيراقليطس : 143 - 144 - 242
- هيمسال : 182 - 183

(ي)

- يوغرطة : 180 - 181 - 182 - 183 - 184 - 185 - 186 - 187 - 211 - 212 .

فهرس الأماكن

(أ)

- المغرب القديم : 8 - 10 - 21 - 26 - 172 - 173 - 174 - 178 - 179 - 183 - 211 - 212 - 236 .
- أثينا : 25 - 132
- الإسكندرية : 25 - 26 - 188 .
- آسيا : 26 - 59 - 112 - 188 .
- أنطاكيا : 37 .
- أرمينيا : 37 - 117 .
- إيطاليا : 55 .
- انيريا : 128 - 129 .

(ب)

- بتوليماس : 16 .
- بارقاما : 24 .
- بانونيا : 55 - 58 .
- بابل : 187 - 188 .

(ت)

- تبسة : 19 .
- تارونت : 43 .

(ج)

- جرمانيا : 32 .

(ح)

- حاران : 36 .

(د)

- داسيا : 37 .

(ر)

- روما : 9 - 10 - 20 - 22 - 27 - 32 - 43 - 44 - 46 - 59 - 96 - 113 - 117 - 119 - 126 - 174 - 175 - 177 - 178 - 179 - 183 - 185 - 190 - 221 - 234 - 241 - 243 .

(س)

- سونتومسيلي : 30 - 31 .
- سكوب : 46 .

(ص)

- صقلية : 9 - 109 .

(ط)

- طروادة : 34 - 36 .

(ع)

- عالية : 36 - 37 .

(غ)

- غوديوم : 36 - 37 .

(ف)

- فنيقيا : 16 .

(ق)

- قالمة : 9 .
- قرطاجة : 9 .
- قفصة : 19 .

(ك)

- كيرتا : 8 - 35 - 180 - 185 .
- كليزيا : 25 - 26 .
- كانة : 35 - 36 .
- كورنيثيا : 43 .

(ل)

- لمباز : 19 .
- لييبيا : 22 - 179 - 180 - 235 .
- لوريوم : 30 - 31 - 32 .
- لوسيطانيا : 32 .

(م)

- موريطانيا : 25 - 26 - 185 .
- ميلانو : 28 - 44 .
- مصر : 187 - 188 - 189 .

(ن)

- نوميديا : 8 - 9 - 43 - 181 - 182 - 183 - 184 - 186 - 211 - 212 .
- نوماس : 35 - 36 .

الملاحق

Epistola IX**AD ANTONINO PIO AUGUSTO ,FRONTO**

...Amicorum meorum fecit modestia nequid improbe peterem ...Equitis romani unius contubernalis mei SEXTII CALPURNII dignitatem rogatu meo exornasti duabus jam procurationibus datis . Ea ego duarum procurationum beneficia quater numero ; bis cum dedisti procurationes , itemque bis cum excusationes recepisti . Supplicavi tibi jam per biennium pro APPIANO amico meo , cum quo mihi et vetus consuetude , et studiorum usus prope quotidianus intercedit . Quin ipsum quoque certum habeo et adfirmare ausim eadem modestia usurum , qua Calpurnius julianus meus usus est : dignitatis eoim suae in senectute ornandae causa , non ambitione aut procuratoris stipendii cupiditate optat adipisci hunc honorem . Quom primum pro APPIANO petivi , ita benign admisisti preces meas , ut sperare deberem . Proximo superior anno petenti mihi propitious multa respondisti : illud vero etiam comiter, futurum ut cum APPIANO , me rogante , procurationem dedisses , causidicorum scatebra exoreretur idem petentium . Meministi etiam quem de graecia propitious et ridens nominaveris . Sed multa distant : orbitas , cui leniendae solaciis opus est . Ausin dicere honestatem quoque et probitatem inter diios bonos viros nonnihil tamen distare : quod propterea facilius dico , quoniam illum , cui amicum meum antepono , non nominavi . postremo dicam quomodo simplicitas mea et veritas me dicere hortantur et fiducia amoris erga te mei , profecto aequius esse illum quoque propter me impetrare . Memento etiam , domine imperator , cum ille meo exemplo petet , me biennio hoc petisse . Igitur illi quoque , si videbitur , post biennium dato . Fecerit exemplo nostro , si ipse quoque se tibi impetraverit excusare .

Lettre IX**A.ANTONINUS PIUS AUGUSTUS ,FRONTON**

Le désintéressement de mes amis a fait que je ne t'ai point importuné de mes demandes . Sur ma prière , tu as élevé à la dignité de chevalier Romain SIXTIUS CALPURNIUS , le seul qui m'ait suivi dans ma province : tu lui as offert deux nouvelles charges de procureur . Pour moi , je compte quatre bienfaits à l'occasion de ces deux charges : deux dans l'offre des charges , et deux dans l' accueil que tu fis de ses refus . Déjà , pendant deux ans , je t'ai supplié pour APPIANUS , mon ami , auquel m'unissent et d'anciennes liaisons , et l'habitude presque quotidienne des memes études . Mais , j'en suis certain , et j'oserais l'affirmer , il aura la meme retenue que mon CALPURNIUS JULIANUS : car , c'est comme un ornement de sa vieillesse et non par ambition ou avidité qu'il souhaite d'obtenir cet honneur . A ma première demande en faveur d'APPIANUS , tu reçus ma

prière avec tant de bonté , que c'était pour moi un devoir d'espérer . L'année dernière tu répondis à ma demande avec plus de bienveillance encore ; mais en ajoutant avec esprit qu'une fois APPIANUS pourvu selon mes vœux , on verrait éclore un essaim de demandeurs qui en voudraient autant . Tu m'as rappelé meme celui que volontiers et avec plaisir tu aurais nommé pour la Grèce . Mais quelle différence entre eux ! la vieillesse et le veuvage à consoler ! j'ose dire que la probité et la délicatesse de deux hommes de bien différent en quelque chose : et j'en parle d'autant plus à mon aise , que je n'ai pas nommé celui auquel je préfère mon ami . Enfin je le dirai , et c'est ma pureté d'intention , c'est la vérité , c'est la confiance que me donne mon amitié pour toi , qui m'engagent à le dire ; il est plus juste aussi que mon souvenir lui porte bonheur auprès de toi . Souviens-toi encore, Seigneur empereur , lorsqu'il te sollicitera , à mon exemple , que moi- meme j'ai été deux ans un solliciteur . Accorde-lui donc aussi , si tu le trouves bon , après deux années , cette faveur ; il ne lui manquera plus , pour suivre encore notre exemple , que de te présenter un refus et d'obtenir que tu l'acceptes .

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , lettres inédites de MARC AURELE et de FRONTON retrouvées sur les palimpsestes de Milan et de Rome , lettre IX,Paris , 1830

الى أنطونينوس التقي العظيم ، فرونطو

رغم كثرة الطلبات واللامبالاة لبعض الأصدقاء الا أنك تتقبل مني و بدون ملل. فبطلبي رفعت إلى مكانة سامية الفارس الروماني سكتيوس كالبورنيوس (SEXTIUS CALPURNIUS) الوحيد الذي تبعني في مقاطعتي : منحت له مهمتين جديدتين من مهام وكيل الإمبراطور، و أنا أعدها أربع ضمن مجموع الطلبات بما فيها المرفوضة. كما سبق أن توصلت خلال العامين ، لصالح أبيانوس (APPIANUS) ، صديقي الذي تجمعنا به علاقات قديمة ، وكان لنا تقريبا نفس العادات اليومية أيام الدراسة ... في أول طلبي لصالح أبيانوس ، تلقيت إجابة بكل طيبة ، و كان عندي واجب للأمل ، لأنني أنا متأكد أن هذه المكانة كنوع من الزينة لشيخوخته و ليس من باب الطموح أو الجشع للحصول على هذا الشرف. في السنة الماضية ، أجبت على رسالتي بكثير من اللطافة و أيضا بروح طيبة. بعد حصول أبيانوس وفقا لتمنياتي ، نرى بروز سرب من الطلبات يريد أصحابها نفس الشيء .

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

Epistola III**Domino meo Caesari ,FRONTO**

...Sive sit iste HERODES vir frugi et pudicus , protelarei conviciis talem a me virum , non est verum ; sive nequam et inprobus est , non aequae mihi cum eo certatio neque idem detrimentum capitur . Omnis enim cum polluto complexus , tamesti superes , commaculat . Sed illud verius est , probum virum esse , quem tu dignum tutela tua iudicas . Quod si umquam scissem , tum me di omnes male adflixint , si ego verbo laedere ausus fuisset quemquam amicum tibi . Nunc me velim pro tuo erga me amore , quo sum beatissimus , in hac etiam parte consilio juves . Quin nihi extra causam dicere debeam , quod HERODES laedat , non dubito : sed ea , quae in causa sunt , autem sunt atrocissima ; quemadmodum tractem , id ipsum est quod addubito et consilium posco . Dicendum est de hominibus liberis crudeliter verberatis et spoliatis , uno vero occiso : dicendum de filio impio et precum paternarum inmemore : saevitia et avaritia exprobanda :carnifex quidam HERODES in hac causa constituendus . Quod si in istis criminibus , quibus causa nititur , putes debere me ex summis opibus adversarium urgere et premere , fac me, domine optime et mihi dulcissime , consilii tui certiolem . Si vero in his quoque remittendum aliquid putas , quod tu suaseris , id optimum factu ducam . Illud quidem , ut dixi , firmum et ratum habeto , nihil extra causam de moribus et cetera ejus vita me dicturum . Quod si tibi videbitur servir me causae debere , jam nunc admoneo me inmoderate usurum quidem causae occasione ...

A mon Seigneur Caesar, FRONTON

...Si cet HERODES est homme de bien et d'honneur , il ne convient pas qu'un tel homme soit par moi harcelé de reproches ; s'il est méchant et sans probité , la lutte n'est pas égal entre lui et moi , et la chance de dommage à recevoir n'est pas la meme ...Ce qu'il y a de plus vrai , c'est que celui –là est un homme de bien que tu jugeras digne de ta protection . Si j'avais pu savoir cela , je veux que tous les dieux me punissent si j'eusse osé blesser par un seul mot quelqu'un ton ami ... Il parler d'hommes libres cruellement battus , dépouillés, et dont un meme a été tué . Il faut parler d'un fils impie , sans mémoire des prières paternelles ; faire entendre des reproches de cruauté , d'avarice , et mettre en cause un certain bourreau HERODES ...

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op.cit , livre troisième , lettre III

الى سيدي القيصر ، فرونطو

... اذا كان هيرود رجل طيب و شريف ، فانه ليس من المناسب أن أضايق
مثل هذا الرجل باللوم ، لكنه كان سيئا و غير نزيه والصرع بيني و بينه
ليس متساويا . الحقيقة ، أن هذا الرجل الذي ستحكم أنه نزيه وهو تحت حمايتك
لو أعرف أن ذلك صحيح ، فكل الآلهة تعاقبني إذا كان لي أن أتجرأ على تجريح أحد
أصدقائك بكلمة واحدة ... يجب الحديث عن رجال أحرار ضربوا بوحشية ،
وجردوا من كل شيء و حتى فيهم أحد قتل . يجب الحديث عن ابن عاص
بغير ذاكرة لصلوات الآباء ، إسماع لوم القسوة و الجشع ، إنها من أحد
الجلادين هيرود.

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

الملحق رقم 3

A . ANTONINUS PIO , FRONTO

Si evenire posset , imperator , ut amici ac familiares nostri nostris moribus cuncta
agerent , maxime vellem ; tum , si non moribus , at saltem at consiliis ubique nostris
uterentur . Sed quoniam suum cujusque ingenium vitam gubernat , fateor aegre ferre
me , quod amicus meus NIGER CENSORIUS testamento suo , quo me heredem
instituit , parum verbis temperarit . Id ego factum ejus improbus sim , si defendendo
purgare postulem : immemor amicitiae , nisi saltem deprecando sublevem . Fuit sine
dubio NIGER CENSORIUS verborum suorum inpos et minus consideratus , sed idem
multarum rerum frugi vir et fortis et innocens . Tuae clementiae est , imperator ,

unicam hominis verborum culpam cum ceteris ejus recte factis ponderare . Ego quidem cum ad amicitiam ejus accessi cum aliis qui rem p . Strenua opera domi bellique promeruerant . Numquam ita animatus fui , imperato , ut coeptas in rebus prosperis amicitias , siquid adversi increpuiisset , desererem . Et omnino ; cur enim non sententiam animi mei expromam ? Ego eum qui te non amabit , hostis numero habeo : quem vero tu minus amabis miserum potius quam hostem judicabo . Dd.. permultum refert improbes aliquid an oderis.. ciis et consiliis indigebat . Atque utinam NIGER , sicut in plerisque mihi post paruit , ita consilium meum in testamento conficizendo rogasset Haud umquam tantam maculam memoriae suae inussusset verbis inmoderatis ipsum se potius quam alios laedantibus . Nec...intervallum intercessisset , quo...Virum illo ipso tempore quo offendit : sed amando ita offendit , ut pleraque animalia , quibus abest ars et sedulitas educandi , ova atque catulos suos unguibus aut dentibus male contrectant , nec odio , sed imperitia nutricandi obterunt . Ego cert deos superos inferosque et fidem arcanam humanae amicitiae testor , me semper auctorem fuisse , cujus ...me...animo utraque causas... et sane ... hominem ...eum incidisse magis doleas , sed fideliter quem ...in eodem (ager) velle in quo...et sane ... expectari poterat , in eo quem (corre)xerat . Nec...tanta benignitas et tot beneficia ... tibi autem non...equidem ... cumque habeat suum finem...

A. ANTONINUS PIUS , FRONTON

Je voudrais qu'il put advenir, empereur , que nos amis et nos proches fissent tout à notre guise , ce serait là mon premier vœu ; ou que du moins sans faire à notre guise , ils suivissent en tout nos conseils ! Mais puisque chacun gouverne sa vie d'après sa propre nature , je regrette amèrement , je l'avoue , que mon ami NIGER CENSORIUS ait si peu modéré ses paroles dans le testament ou il m'institue son héritier . Je serais un malhonnête homme si je voulais prendre la défense de cette action pour en efface la honte ; et un ami ingrat , si je n'essayais de l'atténuer par mes instances ... mais , tout en l'aimant , il l'a blessé . Ainsi la plupart des animaux à qui la nature a refusé le talent et l'adresse d'élever leur progéniture , touchent mortellement de leurs dents et de leurs ongles leurs petits , et les écrasent non par méchanceté , mais par maladresse . Pour moi , j'en atteste les dieux du ciel et des enfers , et la foi mystérieuse de l'amitié humaine . Quant à ces secrets que nous n'avons pas voulu cacher entre nous , que nous ne croyons pas devoir nous refuser jamais , qui partent du cœur , les justes dieux le savent ...

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op .cit , tome .premier , lettre III

الى أنطونينوس التقي ، فرومطو

أيها الإمبراطور ، كنت أتمنى أن يحدث ، أن أصدقاءنا و أقاربنا يعملون كل شيء بطريقتنا ، سيكون هذا أمنيته الأولى ، أو على الأقل دون العمل بطريقتنا ، أن يتبعوا نصائحنا ! لكن و بما أن كل واحد يسير حياته على طريق طبيعته الخاصة ، أتأسف بمرارة ، أعتزف بذلك أن صديقي نيجر سونصوريوس لم يكن متواضعا في كلماته التي ضمننتها وصيته . سأكون رجلا غير أمين إذا أردت الدفاع عن هذا الفعل لمحو العار و صديقا ناكرا للجميل إذا لم أحاول التخفيف عن ذلك بالبحاحي ... لكن مهما بلغ حينا له ، جرح أغلب الحيوانات ، التي رفضت لها الطبيعة القدرة على تربية صغارها ، أصيبت بجروح في أسنانها و أظافرها ، نيته ليست الشراسة ، لكن سوء تصرف . بالنسبة لي أشهد على ذلك أمام آلهة السماء و الجحيم ، و الإيمان الغامض للصدقة الإنسانية . حول هذه الأسرار التي لا نريد إخفاءها بيننا ، و التي لا نظن أنها تستوجب علينا رفضها أبدا التي تخرج من الفؤاد ، الآلهة الصالحة تعرف ذلك...

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

الملحق رقم 4

Epistola XII

AD , Caesari , FRONTON

Ego quanto opere te diligam , non minus de gravibus et seriis experimentis quam plerisque etiam frivolis sentio . Quae aut cujusmodi sint haec frivola indicabo . Siquando te somno leni , ut poeta ait , placidoque revinctus video in somnis , numquam est qui amplectar ...

Lettre XII

A. Caesar , FRONTON

Souvent ce n'est pas moins par des expériences graves et sérieuses que par de frivoles expériences que je sens combien je t'aime . Je vais t'indiquer quelles et de quelles espèces sont les expériences frivoles . Si quelquefois , enchainé par un doux et plaisible sommeil , comme dit le poète , je te vois en songe , ce n'est jamais sans que je t'embrasse et te couvre de baiser ...

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op.cit , livre quatrième , lettre XII

من فرونطو الى القيصر

في أغلب الأحيان ، بينت لي التجارب المعقدة و الجدية و البسيطة ، كم أنا أحبك . سأوضح لك ببساطة نوع التجارب البسيطة : أحيانا إذا كنت مقيدا بالنوم كما يقول الشاعر أراك في المنام ، و أنا أقبلك و أعانقك ...

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

الملحق رقم 5

Epistola IX

Have , mi magister optime

...Deos igitur omnis , qui usquam gentium vim suam praesentem promptamque homnibus praebent , qui vel somniis vel mysteriis vel medicina vel oraculis usquam juvant atque pollent ; eorum deorum unumquemque mihi votis advoco , meque pro genere cujusque voti in eo loco constituo , de quo dues ei rei praeditus facilius exaudiat . Igitur jam primum Pergamei arcemascendo et Aesculapio Supplico , uti

valetudinem magistri mei bene temperet vehementerque tueatur ... Postremo omnis omnium populorum praesides deos , atque ipsum lucum , qui capitolium montem strepti , quaeso tribuat hoc nobis , ut istum diem , quo mihi natus es , tecum firmo te laetoque ...

Lettre IX

Salut , mon tres bon Maitre

... J'implore donc tous les dieux qui , par le monde , répandent sur les hommes leur salubre et visible influence les dieux tutélaires et puissants des songes , des mystères , de la médecine et des oracles . J'invoque chacune de ces divinités à son tour ; et , selon la nature de mon vœu , je me transporte par la pensée au lieu même ou le dieu consacré à l'objet de ma prière pourra m'entendre plus facilement . . Et d'abord je monte à la citadelle de Pergame ; là , je supplie Aesculapius d'entretenir avec soin la santé de mon maître , et de le mettre sous son efficace protection ...

نقلا عن

ARMAND CASSAN , op.cit , livre troisième , lettre IX

الى معلمي الطيب ، السلام عليك

... أتوسل إذن لكل الآلهة ، التي عبر العالم ، أن تفيض على الرجال راحتها و التأثير المرئي ، الآلهة الحارسة و القوية ، آلهة الأحلام ، الأسرار ، الطب ، الوحي . أستدعي كل واحدة من هذه الآلهة بدورها و حسب طبيعة أمنيته ، أنتقل عبر فكري حتى المكان أين يوجد الإله المكرس لموضوع دعائي ليستطيع أن يسمعني بأكثر سهولة . أولا أصعد إلى قلعة بارقاما (Pergame) ، هناك أتوسل اكسولاببيوس (AESCULAPIUS) أن يحافظ بعناية على صحة معلمي و يجعله تحت حمايته الفعالة .

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

Epistola VIII

ANTONINO PIO Augusto , FRONTO

“ ... Eam quae mihi remansit splendidissimam provinciam , pro electa habui . Post illa quae (cumque) ad instruendam provinciam adtinerent , quo facilius a me tanta negitia per amicorum copias obirentur sedulo praeparavi : propinquos et amicos meos , quorum fidem et integritatem cognoveram , domo accivi . Alexandriam ad familiares meos scripsi ut Athenas festinarent , ibique me opperirentur , iisque graecarum epistularum curam doctissimis viris detuli . Ex Cilicia etiam splendidos viros , quod magna mihi in ea provincia amicorum copia est , cum publice privatimque semper negotia Cilicum apud te defenderim , ut venirent hortatus sum . Ex Mauretania quoque virum amantissimum mihiq; mutuo carum Julium Senem ad me vocavi , cujus non modo fid et diligentia , sed etiam militari industria circa quaerendos et continendos latrones adjuvarer . Haec omnia feci spe fretus , posse me victu tenui et aqua potanda malam valetudinem , qua impediatur , si non omnino sedare, cer (te) ad (majus) intervallum (ejus) imetus mitigare . Ita evenit ut solito diutius bene valerem et fortis vigerem : adeo ut etiam duas amicorum causas non minimi laboris apud te tutatus sim . Ingruit deinde tanta vis valetudinis , quae mihi ostenderet , omnem spem illam inritam fuisse .

J'ai accepté comme de mon choix l'opulente province qui me resta . Je disposai ensuite avec soin tout ce qui tendait à régler mon gouvernement , afin de pouvoir plus aisément , à l'aide de mes amis , exécuter de si grands travaux .Je fis venir chez moi mes proches et tous ceux dont je connaissais la foi et l'intégrité . J'écrivis à mes amis d'Alexandrie de se rendre au plus tot à Athènes , et de m'y attendre ; et ce fut à ces savants hommes que je confiai le soin d'écrire les lettres en Grec . J'engageai meme des personnages fort illustres à venir de la Cilicie ; car j'ai là de nombreux amis , pour avoir toujours , homme public ou privé , défendu auprès de toi les intérêts de cette province . J'ai appelé aussi de la Mauritanie un homme qui me porte et à qui je rends une vive affection , JULIUS SENEX , dont la probité et le Zèle , et plus encore les talents militaires , devaient m'aider à rechercher et à contenir les brigands ; et je m'appuyais , en agissant ainsi , sur l'espérance de pouvoir , par une nourriture légère et de l'eau pour boisson , sinon guérir entièrement ma mauvaise santé , au moins mettre lus d'intervalle entre les moments de crise , et en

affaiblir la violence . Je parvins ainsi à me soutenir plus longtemps que de coutume ; et je repris assez de force et de vigueur , pour pouvoir te présenter la défense difficile et laborieuse des deux amis . Mais tout à coup ma santé s'affaiblit tellement , qu'elle me fit croire que toute mon espérance évanouie .

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op.cit , lettre VIII

قبلت و كأنه اختياري ، المقاطعة الغنية التي بقيت لي . أعددت بعد ذلك بعناية كل ما يشد و يصفى حكمي ، لكي أنفذ بمساعدة أصدقائي الأعمال الكبرى . استدعيت إلى منزلي أقاربي و كل الذين أعرف فيهم الإيمان و الصدق . كتبت لأصدقائي من الإسكندرية عن زهابي في أقرب وقت إلى أئينا وأن ينتظروني هناك . و كان لهؤلاء الرجال ، الذين أوكل لهم عناية كتابة الرسائل بالإغريقية . ألزمت حتى الشخصيات القوية المشهورة القدوم من كيليكيا (Cilicie) ، لأن عندي هناك كثير من الأصدقاء ، دائما من أجل ، أن أكون رجلا للعام و الخاص و الدفاع بقربك عن مصالح هذه المقاطعة . استدعيت أيضا من موريطانيا الرجل الذي يخدمني و أكن له مشاعر عميقة جوليوس سيناكس (JULIUS SENEX) ، الذي فيه النزاهة و الحماس و أيضا أكثر المواهب العسكرية ، التي ستساعدني على البحث و القبض على اللصوص و أستند بهذا التصرف ، على أمل القدرة بواسطة غذاء خفيف و ماء للشرب ، أو الشفاء التام لصحتي السيئة أو على الأقل وضع فاصل زمني بين الأزمات و تخفيف شدة الألم ... أصل بذلك إلى الوقوف لمدة أطول من المعتاد ، أسترجع ما يكفي من القوة و النشاط ، حتى أستطيع أن أقدم لك الدفاع الجدي و المناسب للصديقين . لكن فجأة صحتي بدأت تضعف حتى جعلتني أظن أن كل أملي تلاشى ...

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

Epistola II**ANTONINO Augusto , FRONTON**

Multis hujusmodi maeroribus foituna me per omnem vitam meam exercuit . Nam ut alia mea acerba omittam , quinque amisi liberos miserrima quidem condicione temporum meorum : nam quinque omnes unumquemque semper unicum amisi ; bas orbitatis vices perpessus , ut numquam mihi nisi orbato filius nasceretur . Ita semper sine ullo solacio residuo liberos amisi , cum recenti luctu procreavi . Verum ... luctus toleravi fortius , quibus egomet ipse solus cruciabar . Inamque meus animus memet dolori obnixus oppositus , quasi solitario certamine , unus unī , par pari , resistebat . At nunc..dolor dolore .. ri multiplicatur , et cumulum meorum luctuum ferre nequeo . VICTORINI mei lacrimis tabesco , conliquesco ...

Lettre II**A ANTONINUS AUGUSTUS , FRONTON**

La fortune m'a éprouvé toute ma vie par bien des afflictions de ce genre ; car , sans parler de mes autres douleurs , j'ai perdu cinq enfants ; et déplorable condition de ma destinée , je les ai perdus tous les cinq un par un , et toujours un seul à la fois , et par une telle succession de privations et de souffrances que ce n'était jamais qu'après la mort d'un fils qu'il m'en naissait un autre . Ainsi je perdais mes enfans , et toujours sans qu'il me restat une consolation , et je n'engendrais que sous le poids d'une douleur récente encore . Mais, toutes ces douleurs , je les ai supportées avec plus de force : elles ne déchiraient que moi seul . Mon ame , se raidissant contre le chagrin et lui faisant tete , lui résistait comme dans un combat singulier d'un contre un , de pair contre pair ; mais aujourd'hui c'est douleur sur douleur , et ce comble de mes peines , je ne puis le porter , les larmes de mon VICTORINUS me pénètre et m'épuisent ...

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op cit , lettre II A M . ANTONINUS

لقد اختبرني الحظ بمثل هذه المشاعر المؤلمة دون الكلام عن الآلام الأخرى ،
فقدت خمسة أولاد ، و عشت ظروفًا محزنة قدرت لي ، فقدت كل الخمسة
واحدًا تلو الآخر . وكل هذه الأحزان واجهتها بقوة و الصبر كأنني في معركة . لكن
اليوم ألم على ألم ، و هذه الآلام ، لا أستطيع تحملها ، دموع فيكتورينوس
تخترقني و ترهقني...

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

الملحق رقم 8

Epistola I

Imperatorii ANTONINO PIO Augusto , FRONTO

Ut meministi , Caesar , cum tibi in senatu gratias agerem , desiderio quodam... quae
distule... dicit... nere senatu frequentior ... sum . Nam... litteras , quae eo die
recitabuntur... tu... librum... Dominus... bene vale .

Lettre I

A l'Empereur ANTONINUS PIUS AUGUSTUS , FRONTON

Comme tu t'en souviens , César , au moment où je te rendais grâce dans le sénat , à la vue
d'une assemblée plus nombreuse , je ne pus résister au désir de prononcer ton éloge que
j'avais différé jusqu'alors.

نقلا عن :

Ibid , lettre I à ANTONINUS PIUS AUGUSTUS

الى الامبراطور أنطونينوس التقي العظيم ، فرونطو

كما تذكرون ، قيصر ، حين مدحتك في مجلس الشيخ على مرأى من
جمعية كبيرة ، لم أستطع مقاومة الرغبة في عرض ثنائك الذي أجلته إلى
ذلك الحين .

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

الملحق رقم 9

Epistola XX

Domino meo

Lectulo me teneo . Si possim , ubi ad Centumcellas ibitis , itineri idoneus esse , VII Idus vos Lorii Videbo , deis faventibus . Excusa me domino nostro patri tuo ; quem , iita vos salvos habeam ! magno pondere gravius amo et colo ; quom tam bene in senatu iudicatum est , quod et provinciis saluti esset , et reos clementer objurgasset . Ubi vivarium dedicabitis , memento quam diligentissime , si feras percuties , equum admittera . Galbam certe ad Centumcellas produces . An potes Octavidus Lorii ? Vale , domine : patri placeto matri dic salutem , me desiderato . Cato quid dicat de Galba absoluto , tu melius scis ; ego memini propter fratris filios eum absotum . To... ipse inspice . Cato igitur dissuadet , neve suos neve alienos quis liberos ad misericordiam conciliadam producat , neve uxores , neve adfines , vel ullas omnino feminas . Domine matrem salute .

Lettre XX

A mon Seigneur

Je me tiens au lit . Si je suis en état de me mettre en chemin lorsque vous irez à Centumcellae , je vous verrai à Lorium le VII des ides , s'il plait aux dieux . Excuse – moi auprès de ton père , notre seigneur , que je voudrais voir bien portant , ainsi que vous . Je redouble d'amour et de vénération pour lui depuis que je sais qu'il a si bien jugé dans le

sénat de ce qui pouvait être salutaire aux provinces , et qu'il n'a adressé qu'une douce réprimande aux coupables . Lorsque tu feras la dédicace de ton parc , aie soin , si on doit tuer les bêtes , de m'envoyer le plus promptement possible un cheval . Tu produiras sans doute le Galba à Centumcellae ; ne le pourrais – tu pas à Lorium le VII des ides ? Adieu , Seigneur , fais la joie de ton père ; salue ta mère et désire- moi . Tu sais mieux que moi ce que doit dire Cato de Galaba , absous ; moi je me souviens q'il fut absous à cause des fils de son frère : vois , du reste , toi- meme ce qui est le plus vrai . Ainsi Cato ne veut pas que pour se concilier la pitié on produise ni ses propres enfants , ni ceux des autres , ni son épouse , ni ses parentes , ni aucune autre femme . Salue ma souveraine , ta mère .

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op.cit , livre troisième , lettre XX

الى سيدي

أنا في السرير ، إذا كنت قادرا على السير عندما تسافرون إلى سونتومسيللي* (Centumcellae) ، سأراكم بلوريوم** (Lorium) في اليوم السابع إذا شاءت الآلهة اعتذر لي لدى والدك ، سيدنا ، الذي أود رؤيته بما فيه أنتم . أتضاعف بالحب والتبجيل له منذ أن عرفت أنه قرر في مجلس الشيوخ اختيار الحكام القادرين على إدارة المقاطعات ، ولم يوجه بذلك إلا توبيخا هادئا للمذنبين . عندما تقدم إهداء من حظيرتك ... اعتني أن تبعث لي في أسرع وقت ممكن حصانا . بدون شك ستبني قوسا في سونتومسيللي ، ألا تستطع القيام بذلك في لوريوم في اليوم الثامن ؟ وداعا ، سيدي ، حقق فرحة أبيك ، حيي أمك و أحببني . تعرف أكثر مني ماذا يقول كاتو*** (CATON) على قالبا**** (GALBA) ، بريئا أنا أتذكر أنه بريء بسبب أبنائه : أنظر أنت بنفسك الباقي ، ما هو الأصح . وهكذا كاتو لا يريد أن يشفق عليه لأجل أولاده ، ولا أولاد الغير و لا زوجته ، و لا أبويه . حيي سيدتي ، أمك .

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

M . C . FRONTO

Epistola

AD M. ANTONIUM Imperatorem

DE Belli Parthico

MARS tametsi genuit gentem Romanam , aequo animo patitur fatisci nos interdum et pelli et volnerari . An cunctetur de militibus nostris MARS pater illa dicere :

Ego cum genui . tum morituros scivi et ei rei sustuli ;

Praeterea , cum in terrarum orbem misi ob defendendum

Imperium , scibam me in mortifera bella n non in epulas mitter .

Romanis saepe multisque in bellis hoc carmine usus est ; gallico bello apud Alliam , Samnitico apud caudium . punico ad cannas , hispanico apud Numantiam . JUGURTHINO apud Cirtam , parthico ad Carrhas : sed semper et ubique aerumnas adoris , terroresque nostros triumphis commutavit . Sed ne nimis vetera alte petam , Haec verba TELAMO trojano bello de suis liberis semel elocutus est . MARS de vestrae exemplis utar : TRAJANI proavi vestry ductu auspicioque none in Dacia

Captus vir consularis ? Nonne a Parthis consularis aequae vir in Mesopotamia trucidatus ? Quid ? avo vestro HADRIANO imperium obtinente quantum militum a Judaeis , quantum ab Britannis caesum ? patre etiam vestro imperante , qui omnium principum ... si marso quis patre natus viperas , lacertas et natrices timeret , nonne degenerare videretur ? ... Et glorriam Romani nominis restituendam et insidias fraudesque hostium .

M.C. FRONTON

Lettre à M. ANTONINUS Empereur

Sur la guerre des Parthes

Quoi q'il ait engendré la race Romaine , il nous laisse de sang froid succomber aux fatigues , aux revers et aux blessures . Mars notre père hésiterait – il à dire de nos soldats :

Quand je les engendrai je connaissais leur sort ,

Et je les ai fait naitre et grandir pour la mort ,

Pour défendre et venger l'empire et ses destins
Je savais que plus tard, aux terres étrangées,
Ma voix les envoyait en de funestes guerres,
Lutter , mourir , et non s'asseoir à des festins .

C'est ainsi qu'une fois Télamo parla de ses enfants à la guerre de Troie . Mars , au sujet des Romain , a répété souvent , et dans bien des guerres , ces poétiques . Dans la guerre des Gaules , à Allia , des Samnites , à Gadium , des Carthaginois , à Cannes , dans celle d'Espagne , à Nuance , de Jugurtha , à Cirta , des Parthes , à Carrha ; mais toujours , et partout , il compensa nos fatigues par de la gloire , et nos terreurs par des triomphes . Mais sans remonter trop loin dans le passé , je vais prendre des exemples dans votre famille , n'est ce pas sous la conduite et les auspices de TRAJANUS , votre bisaieul , que fut fait prisonnier , chez les Daces un consulaires ? les Parthes , en Mésopotamie , n'ont – ils pas égorgé autre personnage consulaire ? ... et que dis – je ? sous votre aieul HADRIANUS maître de l'empire , combien de soldats furent massacrés par les Juifs , combien par les Bretons ! et sous l'empereur votre père , qui , de tous princes ... qu'un homme d'un père marse ait peur d'une vipère , d'un lézard ou d'un serpent d'eau douce , n'aura – t – il pas l'air d'avoir dégénéré , et la gloire du nom Romain à relever .

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op.cit , lettre I à M . ANTONINUS Empereur

الى أنطونينوس الامبراطور

حرب البارثيين

رغم أنه أنجب الجنس الروماني ، يترك لنا بدم بارد ، الاستسلام للتعجب
و النكسات و الجروح ، لكن هل يتردد إلها والدنا مارس أن يقول لجنودنا :

عندما أنجبتهم عرفت مصيرهم

أنجبتهم و كبرتهم ليموتوا

عرفت أنه فيما بعد ، في الأراضي الأجنبية

لأجل الدفاع و الانتقام للإمبراطورية و أقدارها

صوتي يرسلهم إلى حروب كارثية

يحاربون ، يموتون و ليس ليستريحوا للولائم .

و هكذا ذات مرة تحدث تيلامو عن أولاده في حرب طروادة . و الإله مارس تحدث هو الآخر عن الرومان ، كان يكرر باستمرار ، أثناء الحروب هذه الكلمات الشعرية . في حرب الغالين في عالية (Allia) والسامنتيين في غوديوم (Gaudiim) ، القرطاجيين في كانه و في اسبانيا ، نومانس (Numance) وبيوغرطة في كيرتا و البارثيين في حاران (Carrha) بآسيا ، لكن دائما ، و في كل مكان ، يعوض تعبنا بالمجد و مخاوفنا بالانتصارات . لكن ، دون الذهاب بعيدا في الماضي ، سأخذ أمثلة من عائلتك ألم يؤسر تحت قيادة و رعاية تراجانوس ، جدك قنصلا ، عند الداسيين ؟ ألم يذبح البارثيون في بلاد الرافدين قنصلا آخرًا ؟ ... ماذا أقول عن جدك هادريانوس ، سيد الإمبراطورية ، كم من جنود قتلوا من قبل اليهود ، و كم من قبل البروطونيين (BRETON) ! و تحت حكم والدك ، و الذي هو لكل الأمراء ... الرجل المولود من أب جرمانى كان يخاف من الأفعى ، من سحلية أو حية الماء العذب ألا يبدو عليه الانحطاط ... و مجد اسم الرومان ارتفع .

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

الملحق رقم 11

M. C. FRONTO

Laudes fumi et pulveris

Plerique legentium forsán rein de titulo contemnant , nihil serium potuisse fieri de fumo et pulver : tu j...tuo excellent ingenio profecto existimabis lusa sit opéra in locata . Sed res poscere videtur de ratione scribendi pauca praefari, quod num hujuscemodi scriptum rofari , roinana lingua extat satis nobile , nisi quod poetae in comoediis vel atellanis adtigerunt , qui se in egusmodi rebus scribendis exercebit , crebras sententias conquirit , easque dense conlocabit , et subtiliter conjunget , neque verba multa geminata supervacanea inferciet : tum omnem sententiam breviter et scite concludet . Aliter ia

orationibus judicariis , ubi sedulo curamus , ut plerumque sententiae durius interdum et incautius finiantur . Sed contra istud laborandum est ne quid inconcinnum vel hiulcum relinquatur ; quin omnia ut in tenui veste oris detexta et reymementis sint cincta . Postremo ut novissimos in epigrammatis versus habere oportet aliquid luminis, sententia clavi alicui vel fibula terminanda est . In primis autem sectanda est suavitas . Namque hoc genus orationis . Non capitis defendendi , nec suadendae legis , nec exercitus adhortandi , nec inflammandae contionis scribitur , sed facetiarum et voluptatis . Ubique vero ut de ampla et magnifica loquendum , parvaeque res magnis adsimilandae comparandaeque . Summa denique in hoc . Génère orationis virtus est adseveratio . Fabulae deum vel heroum teoipestive inserandae , item versus congruentes et proverbia accommodata et non inficetè conficta mendacia , dum id mendacium argumento aliquo lepido juvetur . Cum primis autem difficile est argumenta ita disponere , ut sit ordo eorum ritè conexus ...

M.C . FRONTON

La fumée et de la poussière

La plupart des lecteurs mépriseront peut – être ce sujet sur le titre , et diront qu'on n'a pu rien tirer de sérieux de la poussière . Toi , avec ton excellent esprit , tu auras bientôt ni si c'est un jeu ou un ou un ouvrage que je me suis proposé . Mais , avant tout , il me semble à propos de dire quelque chose sur la manière de traiter ces sortes de sujets , d'autant que la langue romaine n'offre rien d'assez remarquable en ce genre , si ce n'est quelques essais que les poètes en ont laissés dans les comédies ou les atellanes . Celui qui s'exerce à ce genre d'écrire fera une abondante provision de pensées et les placera l'une près de l'autre , les unissent par des liaisons fines , et évitant les répétitions , les mots inutiles , en un mot toute sorte de redondances . Ainsi il renfermera chaque pensée dans une expression juste et précise , à la différence de ce qui se fait dans les discours judiciaires , ... nous avons soin que les pensées se terminent plus durement et avec moins de précaution .

Ici au contraire il faut s'appliquer à ne rien laisser d'inélegant , rien de heurté ; et que tout , comme dans un vêtement léger , de même que les derniers vers d'une épigramme doivent avoir quelque chose d'étincelant , la pensée doit se terminer par une sorte de crochet ou de boucle . Mais de l'agrément avant tout . En effet il ne s'agit pas ici de sauver la tête d'un homme , ni de faire passer une loi , ni d'encourager des troupes , ni d'échauffer une assemblée , mais de badiner et d'amuser . Partout cependant il faut parler comme dans un sujet ample , magnifique , et assimiler et comparer les petites choses aux grandes . Enfin le mérite suprême dans ce genre de composition , c'est d'y jouer avec , art le sérieux . Il faut y faire entrer à propos quelque fable des dieux et des héros , des vers assortis au sujet , des proverbes qui s'y appliquent , des fictions ingénieuses , pourvu que la fiction soit soutenue par quelque raisonnement badin . Mais le plus difficile est de disposer son plan de manière qu'il y ait partout ordre et liaison ... Je louerai donc des dieux peu connus dans les éloges et la poussière , sans lesquelles on ne peut user de l'autel , du foyer , des routes , des sentiers .

Que si quelqu'un doute d'abord que l'on doive mettre la fumée au nombre des dieux , qu'il pense que les vents meme sont au nombre des dieux ; que les brumes et les nuées , qui ressemblent fort à la fumée , sont regardées comme des déesses , et se voient au ciel ...

نقلا عن :

ARMAND CASSAN ,op.cit , éloge de la fumée et de la poussiere

الدخان و الغبار

معظم القراء يحتقر ربما هذا النوع من العناوين و يقولون أنه لا يحتو على أي شيء من الجدية و لا توجد أية فائدة من الدخان و الغبار . وسترى بعقلك الممتاز ، قريبا هل هو لعبة أو كتاب اقترحته . إذا كان أحد يشك أنه يجب أن نضع الدخان في تعداد الآلهة ليفكر أنه حتى الرياح هي في تعداد الآلهة ، و أن الضباب و الغيوم ، التي تشبه كثيرا الدخان ، فينظر إليها كآلهة و يرون من السماء ... و أن ما هو من سمات الطبيعة الإلهية لا نستطيع أخذ الدخان باليد ، و لا الشمس ، و لا تقييدها ، و لا ضربها و لا حجزها و لا دفعها و لو قليلا . الذي يمارس هذا النوع من الكتابة يقوم و يتزود بالكثير من الأفكار ، يضعها واحدة قرب الأخرى ، و يربطها بأدوات ربط دقيقة ، و يتجنب التكرار و الكلمات غير النافعة ، و أن يكون للكلمة معنى . و بهذا يحوي كل فكرة في عبارة صحيحة و دقيقة . يجب إدخال في ذلك بعض أساطير الآلهة و الأبطال و الأبيات الشعرية الملائمة للموضوع و الأمثال التي تنطبق عليها . لكن الأكثر صعوبة هو وضع خطة شاملة بحيث يكون فيها التسلسل و الربط في كل مكان .

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

M . C . FRONTO**Laudes Neglegentiae**

Agitavi laudes neglegentiae conscribere quas cur londum conscribserim , ut .res est , id quoque negli.. Nam qui nimis anxie munia conficiut , parum amicitiae confidunt ... temperantia coercentur . Yolgo etiam laudata indulgentia promptam peccatis hominum veniam dare : nisi delicta facile neglegas.. parum clenienet indulgeas . Quod autem quis intutam et expositam periculis neglegentiam putet , mihi omne contra yidetur multo , multoque diligeutiam magis periculis obuoxiam esse . Namque neglegentiae haud quisquam magnopere insidias locat , existimads etiam sine insidiis semper etubique et ubi libeat neglegentem hominem in proclivi fore fallere : adversus diligentis vero et circumspectos et exsultantis opibus fraudes et captiones et insidiae parantur . Ita ferme neglegentia contemtu tutatur , diligentia astu oppugnatur . Et erratis neglegentia yenia paratior datur , et bene factis gratiis gratia habetur . Nam praeter opinionem gratum est , ceterarum rerum indiligentem bene facere in tempore haud negjexisse .Iam iilud a poetis saeculum aurem memoratum , si cum animo reputes , intellegas neglegentiae saeculum fuisse , cum ager neglectus fructus uberes ferret , omniaque utensilia neglegentibus nuuo negotio suppeditaret . Hisce argumentis neglegentia bono génère nata , dis accepta , sapientibus probate , virtutum particeps , indulgentiae magistra , tut a ab insidiis , grataque bene factis , excusata ingratis et ad postremum aurea declaratur de favorini nostri pigmentis fuci quisnam appingeret , vide licet ut quaeque mulier magis facie fréta est , ita facilius cutem et capillum neglegere .

M.C . FRONTON**Eloge de la négligence**

Il m'est venu à l'esprit d'écrire l'éloge de la négligence ; et la raison pour laquelle je ne l'ai pas encore fait , c'est ce que je néglige aussi de dire car ceux qui remplissent leur tache avec trop d'anxiété montrent peu de confiance dans l'amitié . L'indulgence louée meme par le vulgaire consiste à pardonner promptement les péchés des hommes ; si vous ne négligez pas facilement les fautes , vous n'etes pas véritablement indulgent . Que si quelqu'un pense que la négligence n'est pas en sureté qu'elle est exposée au périls , je dirai moi que la diligence offre bien moins de sureté , et est bien plus exposée . En effet on ne se donne pas beaucoup de peine pour dresser des embuches à la négligence , parcequ'on sait que , meme sans embuches , on peut en tout temps , en tout lieu , quand il plait , tromper l'homme négligent ; c'est contre les hommes diligents , circonspects et puissans

qu'on est enclin à préparer des fraudes , des surprises et des embuches . Ainsi la négligence est protégée par le mépris , et la diligence assaillie par la ruse . On est aussi plus disposé à pardonner des fautes à la négligence , comme à lui savoir plus de gré du bien qu'elle fait ; car rien ne surprend plus agréablement que de voir qu'un homme qui n'a souci de rien n'a pas négligé de bien faire dans l'occasion . Reporte –toi à ce siècle d'or si vanté par les poètes , tu trouveras que c'était le siècle de la négligence , puisqu'alors la terre négligée produisait des fruits en abondance , et fournissait , sans exiger aucun travail , toutes les choses nécessaires à la vie de ceux qui la négligeaient . De tout cela il résulte que la négligence sort d'une bonne race , plait aux dieux , ne déplaît point aux sages , qu'elle participe des vertus , enseigne l'indulgence , est à l'abri des embuches , qu'on lui tien compte du bien qu'elle fait , qu'on excuse ses fautes , et qu'enfin elle est déclarée d'or.

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op.cit , Eloge de la négligence

الإهمال

حدث لي ، أن خطر على ذهني أن أكتب الثناء على الإهمال ، و السبب الذي جعلني لم أقم بذلك بعد ، لأن الذين يقومون بإتمام أعمالهم بقلق كبير يظهرون قلة الثقة والصدقة . التساهل حتى من قبل الجاهل يقوم على العفو الفوري لذنوب الرجال ، إذا لم تهمل الأخطاء بسهولة ، لست حقا متسامحا . إذا كان أحد يظن أن الإهمال ليس في مأمن و أنه معرض للمخاطر ، سأقول أن التسارع يوفر أقل أمنا ، وهو معرض أكثر للخطر . في الواقع لا نجد كثيرا من الصعوبة لتوجيه المزالق للإهمال ، لأننا نعرف أنه حتى بدون المزالق نستطيع في أي وقت ، و في أي مكان ، عندما نريد خداع الرجل المهمل ، انه ضد الرجال المتسرعين الحذرين ، الأقوياء الذين نستعد لنحضر لهم الاحتيال ، المفاجآت و المزالق. و هكذا الإهمال محمي من قبل الاحتقار ، و التسارع مهاجم من طرف الاحتيال ، إننا مستعدون أكثر للعفو عن أخطاء الإهمال ، كأننا نعلم جيدا حسن النية عما يفعله ...

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

M. C. FRONTO**ARION**

ARION lestibus , proinde quod graecomm memoria est , cithara et dithyrambo primus , Corinthio , ubi frequens incolebat , secundum profectus, Magnis divitiis per oram Siciliae atque Italiae paratis , Corinthum Tarenro regredi parabat . Socios navalis Corinthios potissimum delegit ; eorum navem audacter rebona maxime onerat . Nave in altum proyecta cognovit socios , qui veherent , cupidos potiri necem sibi machinari . Eo , precibus fatigat aurum omne sibi haberent , unam sibi animam sinerent . Postquam id frustra orat . aliam tamen veniam impetravit , in exitu vitae quantum posset cantaret . Id praedones in hicro ducere , praeter spolia , summum artificem audire , cujus yocem praeterea nemo umquam post illa auscultaret . Ille Testem induit auro intextam , item que Citharam insignem : tum pro puppi aperto maxime atque edito loco constitit . Socilis inde consulto per navem ceteram disperses , ibi ARION studio inpenso cantare orditur scilicet mari et caelo artis suae supremum commemoramentum . Garminis fine cum verbo in mare desilit : delphinus excipit , sublime avehit , navi praevortit , Taenaro exponit , quantum dephino fasest , in extimo litore . Arion inde Corinthum proficiscitur : et hoino et vestis et cithara et vox incolumis . Periandrum , regem Gorinthium , cui per artem cognitus acceptusque diu fuerat , accedit : ordine memorat rem gestam in navi et postea in mari . Rex homini credere , miraculo addubitare ; navem et socios navalis , dum reciperent , opperiri . Postquam cognovits portum invector , sine tumuitu accipi jubet : vultus comi , verbis Inebus percontatur , num quidnam super Arione Lesbio comperissent ? lui facile respondent , Tarenti vidisse fortunatissimum mortalem , secundo rumore propulorum florercj in pretioque esse , cithara cantare . Qua diutius amore atque lucro et laudibus retinori . Cum hacc ita diccreut ; Arioi inrupit ita ut in puppi stetérat , cum vest auro mtexta et cithara insigni . Praedones inopino visu Arionis terreri , cum neque quicquam post illa negare aut non credere aut deprecari aussisunt . Delphini facinus statua ad Toenarum conlocata testatur . Etenim yisitur delphino readens homo , parva figura atque ut sit al mento magis

M.C. FRONTON**ARION**

ARION le lesbien , le premier , d'après les récits de la Grèce , pour la cithare et le dithyrambe étant parti , par amour du gain , de Corinthe , ou il séjournait fréquemment , avait amassé de grandes richesses sur les cotes de Sicile et d'Italie , et se préparait à repasser de Tarente à Corinthe . Il choisit de préférence des Corinthiens pour compagnons , et mit sans défiance toute sa fortune sur leur navire . Quand le vaisseau fut au large , il

s'aperçu que ses compagnons , qui transportaient , brulaient aussi de posséder , et méditaient sa mort . Il les fatigue de prières : qu'ils prennent tout son or ; qu'ils lui laissent seulement la vie . Ne pouvant les fléchir , il obient d'eux cependant une autre grace , celle de chanter , autant qu'il le pourrait , sur le seuil de la vie ; et les brigands de regarder comme un gain , outre les dépouilles , le plaisir d'entendre la voix de cethare ; puis , debout sur la poupe , s'arrete au lieu le plus élevé , le plus découvert , laissant à dessein , loin de là , ses compagnons dispersés sur le reste du navire . Là , il se met à chanter plus mélodieusement . Qu'il ne le fit jamais , comme pour laisser à la mer ... un dernier souvenir de son talent . A peine il a fini qu'il s'élance dans la mer ; un dauphin le reçoit , l'enlève sur son dos ... le dépose sur le rivage de Ténare , aussi près de la terre qu'un dauphin peut en approcher . ARION s'achemine de là vers Corinthe : ainsi homme , vêtement , Cithare et voix , tout fut sauvé . Il se rend chez Périander , roi de corinthe , dont il était depuis long – temps connu et chéri pour son talent . Il lui raconte par ordre ce qui lui était arrivé sur le navire et puis sur la mer . Le roi , de croire à l'homme , sans trop croire au miracle : il attendra que le navire et l'équipage soient de retour . A la nouvelle de leur entrée dans le port , il ordonne qu'on les reçoive sans bruit ; et d'un visage riant et du ton le plus doux il leur demande s'ils avaient entendu parler d'ARION le lesbien . Ils répondent , sans hésiter qu'ils l'ont vu à Tarente le plus fortuné des mortels , tout florissant de gloire , au milieu des acclamations des peuples , et s'enrichissant avec sa cithare ; qu'il y était retenu par l'amitié , le gain et les louanges . Pendant qu'ils parlaient ainsi , ARION , parait , debout comme sur la poupe , avec sa robe tissée d'or , et sa magnifique cithare à la main . Les brigands , épouvantés à cette apparition soudaine , n'osèrent plus rien nier , ni rien croire , ni demander grace . On voit à Ténare cette action d'un dauphin ; un dauphin porte un homme sur so dos ...

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op.cit , ARION

مغامرة اريون

" آريون سحاقي ، الأول من خلال الروايات الإغريقية ، بالقتارة و القصيدة العاطفية ذهب لكسب المال ، جمع ثروات كبيرة من سواحل صقلية و ايطاليا واستعد للمرور ثانية من تارونت إلى كورنثيا . اختار كورنثيين كرفقاء ، ووضع بدون ارتياب ثروته على السفينة ، عندما وصلت هذه الأخيرة وسط البحر لاحظ أن الذين نقلوه ، كانوا يتلهفون أيضا لامتلاك ثروته ، وفكروا في موته . أتعبهم

بالتوسلات على أن يأخذوا ذهبه ، و يتركون له الحياة فقط . لم يستطع
تلطيفهم و حصل منهم على شفقة أخرى و هي أن يغني قدر ما يستطيع ،
على عتبة الحياة ، و اللصوص ينظرون إليه كريح يضاف إلى الغنائم ...

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

الملحق رقم 14

Epistola XIX

Magistro meo

Qualem mihi animum esse existimas quom cogito quamdiu te non vidi , et quam ob rem non vidi ! et fortassis pauculis te adhuc diebus , cum te necessario confirma , non videbo , Igitur dum tu jacebis , et mihi animus supinus erit : quom si tu , dis juvantibus , bene stabis , et meus animus bene constabit , qui nunc torretur ardentissimo desiderio tuo . Vale , anima Caesaris tui , amici tui , discipuli tui .

Lettre XIX

A mon maitre

Dans quel état penses – tu que soit mon ame , lorsque je songe combien il y a de temps que je ne t'ai vu , et pourquoi je ne t'ai pas vu ! et il est possible que je ne te voie pas encore de quelques jours , puisque tu m'assures que cela ne peut etre autrement . Ainsi donc , tant que tu languiras , mon esprit abattu languira : que si , les dieux aidant , tu peux enfin te tenir debout , mon esprit sera ferme et debout ; il brule en ce moment du plus ardent désir de te voir . Adieu , ame de ton Caesar , de ton ami , de ton disciple .

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op.cit , livre troisième , lettre XIX

الى معلمي

تخيل في أي حالة هي روحي ، عندما أفكر منذ متى لم أرك فيه و لماذا لم أرك ؟ و من الممكن أن لا أراك أيضا في بعض الأيام بما أنك أكدت لي أن لا يحدث عكس ذلك . و هكذا إذن كلما تشتاق ، عقلي المهزوم يشتاق ، و بعون الآلهة ستستطيع أخيرا الوقوف ، و عقلي سيكون حازما و قائما ، و انه يحترق في هذا الوقت و يتحمس كثيرا لرؤيتك . وداعا ، يا روح قيصرك ، من صديقك ، من تلميذك .

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

الملحق رقم 15

Epistola XXI

Magistro meo

Mane ad te non scripsi , quia te commodiorem esse audieram , et quia ipse in alio negotio occupatus fueram ; nec sustineo ad te umquam quicquam scribere , nisi remisso et soluto et libero animo . Lgitur si recte sumus , fac me ut sciam : quid enim optem , scis ; quam merito optem , scio . Vale , meus magister , qui merito apud animum meum omnis omni re praevenis . Mi magister , ecce non dormito , et cogo me ut dormiam , ne tu irascaris . Aestimas utique me vespera .

Lettre XXI

A mon maitre

Je ne t'ai pas écrit ce matin , parce que j'ai su que tu te trouvais mieux , et qu'ensuite j'étais moi – meme occupé d'une autre affaire . Je ne puis t'écrire avant d'avoir l'esprit reposé , dégagé et libre . Si donc nous sommes dans la bonne voie , fais – le moi savoir ; car tu sais ce que je désire , et je sais , moi , combien j'ai raison de le désirer . Adieu , mon maitre , qui , à raison , l'emportes sur tous et en toute chose dans mon cœur . Mon maitre ,

voici que je ne dors pas et que je tache de dormir , afin que tu ne te faches pas . Tu juges bien que c'est le soir que j'écris ceci .

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op.cit , lettre XXI

الى معلمي

لم أكتب لك هذا الصباح ، لأنني عرفت أنني سأجدك في حالة أفضل ثم أنني كنت مشغولا بقضية أخرى . و لا أستطيع الكتابة لك إلا و عقلي طليق و حر . إذا كنا على الطريق الصحيح ، أخبرني بذلك لأنك تعرف ماذا أرغب و أعرف كم أنا محق في رغبتني . و داعا معلمي .

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

الملحق رقم 16

Epistola V

Have mihi

Magister Carissime

Nos valemus . Ego hodie ab hora nona noctis in secundam diei bene disposito cibo studivi : a secundo in tertiam soleatus libentissime inambulavi ante cubiculum meum . Deinde calceatus sagulo sumpto , nam ita adesse nobis indictum erat, abii salutatum dominum meum. Ad venationem profecti sumus , fortia facinora fecimus , apros captos esse fando audimus , nam videndi quidem nulla facultas fuit . Clivom tamen satis arduum successimus : inde post meridiem domun recepimus . Ego me ad libellos . Igitur calceis detractis , vestimentis positus in lectulo ad duas horas commoratus sum , ...

Lettre V

Bonjour , mon Tres cher maitre

Nous nous portons bien . Pour moi , aujourd'hui , après un repas , j'ai étudié depuis la neuvième heure de la nuit jusqu'à la deuxième du jour . De la deuxième à la troisième , j'ai fait une délicieuse promenade en sandales devant ma chambre . Ensuite je me chaussai , je pris le sagum , car c'est ainsi qu'on nous avait prescrit de nous présenter , et je suis allé saluer mon seigneur . Nous sommes partis pour la chasse ; nous avons fait de beaux coups : on a tué des sangliers , du moins nous l'avons entendu dire , car il n'y a pas eu moyen de le voir . Cependant nous avons monté une cote assez escarpée ; puis , à midi environ , nous sommes revenus au palais ; moi à mes livres , après m'être déchaussé et désahabillé ,...

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op.cit , livre quatrième , lettre V

صباح الخير عزيزي المعلم

نحن بخير ، و فيما يخصني ، اليوم ، بعد تناول وجبة جيدة درست منذ الساعة التاسعة ليلا حتى الثانية عشر . ومن منتصف النهار حتى الساعة الثالثة قمت بجولة ممتعة بالنعال أمام غرفتي بعد ذلك لبست الحذاء و أخذت المعطف ، لأننا على ذلك انضبطنا في هندامنا . وذهبت لأحبي سيدي ، ثم ذهبنا للصيد حيث قمنا بضربات جميلة : قتلنا بعض الخنازير ، وسمعنا صوتها لكن لا يمكن رؤيتها من قريب فصعدنا مكانا منحدرًا ، ثم عدنا إلى القصر ، أنا متوجه إلى كتبي بعد أن نزعنا الحذاء ووضعنا ثيابي .

الترجمة الى اللغة العربية: حسينة قادري

Epistola VI**Have Mihi Magister dulcissime**

Nos valemus . Ego aliquantum prodormivi propter perfrictiunculam , quae videtur sedata esse . Ergo ab undecima noctis in tertiam diei partim legi ex agri cultura CATONIS ...Deinde cum matercula mea supra torum sedente multum garrivi . Meus sermo hic erat : quid existimas modo meum FRONTONEM facere ? Tum illa : Quid autem tu meam GRATIAM ? ... Inde reverses , prius quam me in latum converto ut stertam , meum pensum explico , et diei rationem meo suavissimo magistro reddo , quem si possem magis desiderare , libenter plusculum macerarer . Valebis , mihi FRONTO , ubi iubi es , mellitissime , meus amor , mea voluptas . Quid mihi tecum ? amo absentem .

Lettre VI**Bonjour , mon tres doux Maitre**

Nous nous portons bien . Moi j'ai peu dormi à cause d'un petit frisson qui cependant paraît calmé . J'ai donc passé le temps depuis la onzième heure de la nuit jusqu'à la troisième du jour , partie à lire l'Agriculture de Cato , partie à écrire , heureusement , à la vérité , moins qu'hier ... ensuite j'ai beaucoup causé avec ma petite mère , qui était assise sur son lit . Voici ce que je disais : Que penses – tu que fasse mon FRONTON , à cette heure ? Et elle : que penses – tu que fasse ma GRATIA ? ... Pour dormir , je déroule ma tache , et je rends compte de ma journée à mon excellent maitre ... Quel rapport entre toi et moi ? J'aime un absent .

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op.cit , lettre VI

صباح الخير معلمي الطيب جدا :

" الكل بخير . أما أنا لم أنم إلا قليلا بسبب رعشة بسيطة بدأت تهدأ الآن . إذ قضيت الوقت من الحادية عشر ليلا إلى الساعة الثالثة صباحا في قراءة مؤلف كاتو الزراعي* ...، في الواقع ، و الحقيقة ، إنني قرأت اليوم أقل من البارحة ... ثم تحدثت كثيرا مع أمي التي كانت جالسة على سريري ، هذا ما كنت أقول لها : ماذا تظنين يفعل فرونطو في هذه الساعة ؟ و هي تقول لي: ماذا تظن تفعل غراتيا** (GRATIA) ؟ ... و لكي أنام أعد أولا أعمالتي ، و أقدم تقرير اليوم لمعلمي العزيز ... أتساءل ما سر العلاقة بيني و بينك ؟ أحبك أيها الغائب.

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

الملحق رقم 18

Epistola VIII

Magistro Meo salutem

Adventum tuum mihi frater tuus nuper ... Cupio mehercule possis venir , quod salute tua fiat : spero enim fore , ut etiam valetudine meae conspectus tuus aliquid contollat ... Ego praesentiarum sic me habeo , ut vel hinc aestimatu facile sit tibi , quod haec precaria manu scribo . Sane quidem , quod ad vires adinet , incipiunt redire ; pectoris etiam dolor nullus residuus ; ulcus autem illud... Nos remedia experimur et nequid opere nostro claudat , advigilamus . Neque enim ulla alia re tolerabilior diuturna incommoda fieri sentio , quam conscientia curae diligentis et temperantiae medicis obsequentis . Turpe alioqui fuerit diutius vitium corporis , quam animi studium ad recipendam sanitatem , posse durare . Vale , mi jucundissime magister ... Saluta te mater mea .

Lettre VIII

A mon Maitre , Salut

Ton frère m'a dernièrement annoncé ton arrivée prochaine ; je désire bien en vérité que tu puisses venir , et que ce soit pour ta santé ; car j'espère meme que le plaisir de te voir fera du bien à la miénne ... Quant à mon état actuel tu pourras en juger facilement , puisque je me sers d'une main d'emprunt pour t'écrire . Il est vrai que , pour mes forces , elles commencent à revenir ; il ne me reste meme aucune douleur de poitrine ... Nous essayons des remédes , et nous veillons à ce qu'il n'y manque rien par notre fait , car je pense que rien ne contribue plus a rendre tolérables les longues maladies , que la conscience d'une attention soutenue et d'une docilité parfaite aux médecins ... Adieu , mon très agréable Maitre ; ma mère te salue .

نقلا عن :

ARMAND CASSAN , op.cit , lettre VIII

إلى معلمي ، السلام عليك :

" أخبرني أخوك مؤخرا بقدمك ، في الحقيقة أرغب كثيرا أن تكون قادرا على المجيء و صحتك هي الأولى ، لأنني أتمنى أن تجعلني متعة رؤيتك سعيدا ... بالنسبة لحالتي الصحية، حاليا تستطيع أن تحكم عليها بسهولة بما أنني أستخدم للكتابة إليك يدا واحدة . في الواقع ، بالنسبة لقوا يا ، بدأت تعود ، لم يبق لي أي ألم في صدري ... سنحاول العلاج ، و نحرص على أن لا ينقص أي شيء لما نقوم به ، لأنني أظن أن لا شيء يساعد على تحمل الأمراض المزمنة إلا بالصبر و الثبات ، و النصيحة الجيدة عند الأطباء حين تدوم معاناة الجسم مدة طويلة ، التحلي بالشجاعة لاستعادة العافية . وداعا عزيزي المعلم والدتي تسلم عليك.

الترجمة الى اللغة العربية : حسينة قادري

البيئوغرافيا

المصادر باللغة العربية

1. أرسطو طاليس ، الخطابة ، ج 1. ، ترجمة . عبد الرحمان بدوي ، دار القلم ، الكويت ، 1979 م .
2. نفسه ، السياسة ، الكتاب الأول .
3. ديون كسيوس ، التاريخ الروماني ، الجزء العاشر ، الكتاب LXXI ، ترجمة . مصطفى غطيس ، طنجة ، 2013 م .
4. ماركوس أورليوس ، التأملات ، الكتب من الأول إلى الثاني عشر ، ترجمة . عادل مصطفى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، 2010 م .
5. هيراقليطس ، الطبيعة ، ترجمة . حسن كامل إبراهيم ، القاهرة ، 2013م .
6. سالوست ، حرب يوغرطة ، ترجمة . محمد المبروك الدويب ، منشورات بنغازي ، ليبيا ، 2016 م .

المصادر باللغة الأجنبية

1. APPIEN d'ALEXANDRIE, Histoire des guerres civiles de la république Romaine , trad. COMBES – DOUNOUS ,Paris , 1808 .
2. ANTONIUS PIUS .lettre VI ,trad. .ARMAND CASSAN ,tome .second , Paris, 1830.
3. Histoire AUGUSTE – CAPITOLIN , vie de MARC AURELE ,trad. VALTON, Paris,1844.
4. CICERON , des lois , tome .IV , trad. . M.NISARD, Paris , 2018 .
5. DION CASSIUS , Histoire Romaine , Tome. 9 , trad. ETIENNE GROS, Paris , 1845
6. DIOGENE LAIERCE , vies et doctrines des philosophes illustres livre V ,trad. THOMAS ALDOBRANDINI , Rome , 1594 .
7. - livre VII ,trad. .GEORGE DE CHAUFFEPIE , Amsterdam , 1758 .
8. EUTROPE , Abrégé de l'Histoire Romaine , livre VIII , trad . M.A. DUBOIS , Paris , 1710.
9. FRONTON , lettre X , aux triumvirs , trad. ARMAND CASSAN, Paris , 1830
10. - Eloge de la fumée et de la poussière , trad. ARMAND CASSAN, Paris , 1830
11. - lettre A M. César , trad. ARMAND CASSAN , Paris , 1830
12. - A M. ANTONINUS , lettre II , trad. ARMAND CASSAN, Paris , 1830
13. - Principes de l'Histoire , trad. ARMAND CASSAN , Paris , 1830
14. Hérodote , Histoires , trad. Pierre GIGUET , Paris , 1864

15. MAC AURELE , pensées à moi même , , trad. . BARTHELEMY SAINT HILAIRE , Paris , 1876 .
16. PLATON , Apologie de SOCRATE , trad. . EMILE CHAMBRY , volume .3 , Paris , 1919 .
17. - Protagoras , , trad. EMILE CHAMBRY , Paris , 1919
18. - République, trad. EMILE CAMBRY , Paris , 1919
19. PLUTARQUE , les vies des hommes illustres , trad . ALEXIS PIERRON , Paris , 1853 .
20. SEUTONE , vies des douze César , trad. et commentaire . JEAN MARIECK et JACQUES POU CET , Louvain , 2006
21. TACITE , annales , trad. JEAN LOUIS BERNOUF , Paris , 1859
22. TITE LIVE , Histoire Romaine , trad. . GASTON BAILLET , Paris , 1846.
23. THUCYCIDÉ , Histoire de la guerre de Péloponnèse , la vie d'ALCIBIADE , trad . E.A. BETANT , Paris , 1878 .

المراجع باللغة العربية

1. أحمد مداس ، لسانيات النص ، الأردن ، 2007 م .
2. أندري جوليان ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، تعريب محمد مزالي البشير سلامة، الدار التونسية للنشر ، 1985 م .
3. أحمد سليمان ، ماسينيسا و يوغرطا ، مديرية الدراسات و إحياء التراث ، الجزائر ، 1984 م.
4. أنابي لموني و بيتسي ايفانز ، العولمة و المفاهيم الأساسية ، ترجمة . آسيا سوقي ، الشبكة العربية ، ط.1 ، بيروت ، 2009 م .
5. إمام عبد الفتاح ، الأخلاق السياسية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 2001م.
6. إبراهيم أبو الليل و محمد الألفي ، المدخل إلى نظرية القانون و نظرية الحق ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1982 م .

7. بيير ديشي ، تخطيط الدرس لتنمية الكفاءات ، ترجمة . عبد الكريم غريب ، الطبعة الأولى ، منشورات علم التربية ، مطبعة دار النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 2003م.
8. توفيق الطويل ، الفلسفة الخلقية نشأتها و تطورها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1967 م .
9. جورج سباين ، تطور الفكر السياسي ، ط.1 ، ترجمة . حسن جلال العروسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2010 م .
10. جميل حمداوي ، مكونات العملية التعليمية التعلمية ، الطبعة الأولى ، المغرب ، 2015 م .
11. جون ديوي ، المدرسة و المجتمع ، ترجمة . أحمد حسن الرحيم ، منشورات دار مكتبة الحياة ، الطبعة الثانية ، لبنان ، 1978 م .
12. حربي عباس ، ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان، الإسكندرية ، 2013 م
13. رينية هوفن ، الرواقية و الرواقيين إزاء مسألة الحياة في العالم الآخر ، ترجمة . أوفيليا فايز رياض ، دار الكتب ، القاهرة ، 1999م .
14. شافية شارن ، بلقاسم رحمانى و محمد الحبيب بشاري ، الاحتلال الاستيطاني و سياسة الرومنة ، الجزائر ، 2007 م .
15. طه عبد الرؤوف سعد ، علم البلاغة ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، 2016 م .
16. عبد العال عبد الرحمان عبد العال ، دراسات في الفكر الفلسفي الأخلاقي عند فلاسفة اليونان ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية ، 2003م.
17. عبد الله السويد ، علم اللغة ، دار المدينة القديمة ، طرابلس ، 1993م.
18. عبد الحي حجازي ، المدخل لدراسة العلوم القانونية ، مطبوعات جامعة الكويت ، 1972 م .

19. عبد القادر لورسي ، المرجع في التعليم - الزاد النفيس و السند في علم التدريس ،
جسور للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2016 م .
20. عبد المجيد أحمد منصور ، محمد بن عبد المحسن التويجري ، إسماعيل محمد
الفقي ، علم النفس التربوي ، الطبعة التاسعة ، العبيكان للنشر ، المملكة العربية السعودية
، 1997 م .
21. عبد الرحمان بن يزيد الزبيري ، مصادر المعرفة في الفكر الديني و الفلسفي ،
الطبعة الأولى ، مكتبة المؤيد ، الرياض ، 1992 م .
22. فيليب ويلرايت ، هيراقليطس ، ترجمة . عبده الراجعي ، الطبعة الأولى، دار
المعارف ، الإسكندرية ، 1969 م .
23. فاطمة محمد العبودي ، استراتيجيات التعلم و التعليم و التقويم ، جامعة الأميرة نورة
بنت عبد الرحمان ، المملكة العربية السعودية ، 2014م.
24. فرديناندي سوسور ، علم اللغة العام ، ترجمة . بونيل يوسف عزيز ، دار آفاق
عربية ، بغداد ، 1985
25. فتحي مصطفى الزيات ، سيكولوجية التعلم بين المنظور الارتباطي و المنظور
المعرفي ، الطبعة الثانية ، دار النشر للجامعات، القاهرة 2004 م
26. لما الحبابي ، تنمية مهارات التفكير - التعليم الموازي ، جامعة سلمان بن عبد
العزیز ، المملكة العربية السعودية ، 2015 م .
27. سعود عبد الجابر ، فن الكتابة و التعبير ، دار المأمون للنشر و التوزيع ، عمان ن
2013 م .
28. محمد بريقو ، بن عمر قريني ، نورية صبار و عبد الرحمان ياسين ، مدخل إلى
علوم التربية ، وهران ، 2005 م
29. محمد عكاشة ، علم اللغة ، ط.1 ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، 2006 م .
30. محمد السعران ، علم اللغة ، ط . 2 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،
1997 م .

31. محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، 1997 م .
32. مالك بن نبي ، شروط النهضة ، دار الفكر للنشر و التوزيع ، لبنان ، 2004م .
33. محمد مشبال ، البلاغة و الخطابة ، دار الأمان ، الرباط ، 2014م .
34. محمد الشيخ ، فلسفة الحدائث في فكر هيغل ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، بيروت ، 2008 م .
35. محمد العربي عقون ، الاقتصاد و المجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 2008م .
36. محمد البشير شنيتي ، نوميديا و روما الإمبراطورية ، الطبعة الأولى ، كنوز الحكمة ، الجزائر ، 2012 م .
37. مفيد العابد ، تاريخ الإغريق ، المطبعة الجديدة ، دمشق ، 1979 م .
38. نواري سعودي أبوزيد ، الدليل النظري في علم البلاغة ، بيت الحكمة ، الجزائر ، 2014 م .
39. نور الدين حاروش ، تاريخ الفكر السياسي ، الطبعة الرابعة ، دار الأمة ، الجزائر ، 2017 م .
40. ول ديورانت ، قصة الفلسفة ، ترجمة . فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، 2014 م .

المراجع باللغة الأجنبية

1. ADOLPHE JOANE et EMILE ISANBERT , itinéraire de l'Orient , Paris , 1861 .
2. BARTHELEMY SAINT HILAIRE , pensées de MARC AURELE , Paris , 1876 .
3. CATHERINE SALLES , lire à Rome , petite bibliothèque Payot , Paris, 1992 .
4. ENEST RENAN , MARC AURELE et la fin du monde antique , Calmann Lévy , chapitre XVII , 1882 .
5. FRANZ DE CHAMPAGNY , les ANTONAINS , Paris , 1863 .
6. J . AMBERE , l'empire Romain , Tome premier , Paris , 1867 .
7. JACQUES . GASCOU , la politique municipale de l'empire Romaine en Afrique proconsulaire de TRAJAN à SEPTIME SEVERE , publication de l'école Française de Rome , 1972 .

8. JULES ZELLER , les empereurs Romains , Ecoles normales superieure , Paris , 1863
9. MARIS CHAUDE L'HUILLIER , FRONTON et ses amis – l'orateur dans la cité , collection . ISTA . volume . 850 . N.1 , 2002 .
10. MAHFOUDE FERROUKLI , les Rois Africains de l'Antiquité , édition Dalimen , 2009 .
11. PAUL MONCEAUX , les auteurs Latins d'Afrique , chapitre III , 1864 .
12. PASCALE FLEURY , l'orateur et le consul – FRONTON conseiller du prince , Canada , 2010 .
13. Paul graindor , Hérode Atticus , chapitre V , le Caire , 1930
14. ROMISCHES REICH , reflexions morales de l'Empereur MARC ANTONIN , Tome premier , Amsterdam , 1714
15. SEVERINE DESCREUMAUX , ARISTOTE , Bordeaux , 2008 .

المقالات و المجلات باللغة العربية

1. أنابي لموني و بيتسي ايفانز ، العولمة و المفاهيم الأساسية ، ترجمة . آسيا سوقي ، الشبكة العربية ، ط.1 ، بيروت ، 2009 م .
2. أمينة عبد السلام الزاندي ، مفهوم نظرية المعرفة ، مجلة كلية الآداب ، العدد الثالث ، جامعة المرقب ، ليبيا ، 2017 م .
3. حسن حسن كامل إبراهيم ، التغير و الثبات في الفكر اليوناني قبل سقراط ، مجلة أصول الدين، القاهرة ، 2013م
4. حسين عبد الحميد أحمد رشان ، الفلكلور و الفنون الشعبية ، مجلة التراث الشعبي العراقي ، العدد 6. ، العراق ، 1980 م .
5. سليمان الضاهر ، فلسفة الوجود عند أفلاطون ، مجلة دمشق ، المجلد . 21 ، العدد (4+3) ، 2005 م .
6. عبود عبود ، الرواقية فلسفة عالمية ، مجلات تحولات ، العدد الرابع و العشرون ، بيروت ، جويلية 2007 م .
7. قيس حاتم الحنابي و مشروعه العالمي في بابل ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ، المجلد. 5 ، العدد 1. ، بابل ،
8. منشورات اليونسكو ، شهود على التاريخ ، الجزء الثاني ، 1981 م .

9. محمد جمال الكيلاني ، تصور الدولة المثالية بين أفلاطون و شيشرون ، أوراق كلاسيكية ، العدد الحادي عشر ، مصر ، 2012 م .
10. محمد الدريج ، الكفاءات في التعليم ، المعرفة للجميع ، العدد.16 ، المغرب ، أكتوبر 2000 م .
11. محمد الناصري ، أخلاقيات المعلم و المتعلم و أثارها في النجاح و التحصيل العلمي ، ميثاق الرابطة ، 2010 م .
12. موسى نجيب معوض ، مهارات الاستدلال ، شبكة الألوكة ، ثقافة و معرفة ، 2014 م .
13. نورة بوعيفة ، أساليب تنمية القيم السلوكية لدى التلاميذ في الوسط المدرسي ، مجلة جامعة ورقلة ن 2015 م .

المقالات و المجلات باللغة الأجنبية

1. ERNET RENAN , FAUSTINE la jeune épouse de MARC AURELE . lu dans la séance publique annuelle des cinq académies , le 14 Aout 1867 .
2. EMILE BREHIER , Chryssippe et l'Ancien stoïcisme , R. Philo, Louvain , 1951 .
3. JEAN VAN OTEGHEM , CAIUS MAIUS , Academie Royale classe des lettres , mémoires 2eme série , Belgique , 1965 .
4. Honoré DE BALZAC , Histoire de la grandeur et de la décadence de César , bibebook . com
5. GEORGE MEANTIS , les mystères d'Eleusis , article 260 , Sophia . Free, Dimanche 16 Novembre 2008 .
6. GOURNAT JEAN BAPTISTE , les fragments de l'ancien stoïcisme , Revue numérique , 2017 .
7. G.GRASSIES , groupe de Dis Pater – CERNUNNOS et de la terre mère , R.E.A , Tome.9 , N.4 , 1907 .
8. KONSTANTIN BICHER qu'est – ce que l'élique des vertus , Revue numérique , 2014 , archives ouvertes . fr
9. MACEL CONCHE , EPICTURE – lettres maximes R.Philo , Louvain , quatrième Série , Tome .76 , N.29,1978 .
10. M.CORSONO , Spart et Tarente , le mythe de Fondation d'une colonie , R.H.R , volume 196 , N.2 , 1979 .
11. MARIS HENRIETTE , éloge par AELIUS , ARISTIDE des Co. Empereurs MARC AUREL et LUCIUS VERUS à l'issue de la guerre contre les Parthes , J.S, volume 1 , N.1 , 2002 .

12. MARIE BERTHELIER , les dieux Romains , Latin 5eme langue et culture , 2010 ,
membre multimedia .fr
13. PIERRE BERNET , les DIEUX Romains , Latin 5eme séquence , Avril 2006 .
14. PASCAL DUPOND , EPICTETE , Revue Numerique , philopsis .fr , 2008
15. PATRICK DUCRAY , ZENON de Kition par Diogéne Laerce , R.philo, BARCELONE,
2010.
16. Revue Encyclopédique , analyse raisonnée des productions les plus remarquables dans la
littérature , XX , Paris , 1823 .
17. SIMONE MANON , la sagesse stoïcienne , Revue Numérique , philog.fr
18. THROUVENOT RYMONDE , C.R.A.I, volume 86 , N.4, Paris , 1942 .
19. TEUN TIELEMAN , les stoïciens sur les tempéraments du corps et de l'Âme , université
d'Utrecht , Teun .tieleman @ phil.uu.nl
20. VALERY LAURAND , les stoïciens , Revue numérique philopsis .fr
21. YASSINE ZOURI ,Pédagogie et didactique à l'épreuve de la modernité , vol .4 , N.13 ,
Gabés , 2013

الموسوعات

1. BRISSON , JEAN – PAUL , LEMURIA et PARENTALIA , Universalis ./ antiquités
grecque et Romains , Paris , 1999 .
2. CHARLE VICTOR DAREMBERG et EDMOND SAGLIO , Encyclopedie / des
antiquités grecques et Romains , Paris, 1877 .

القواميس

- القواميس باللغة العربية

1. أحمد أوزي ، المعجم الموسوعي لعلوم التربية ، الطبعة الأولى ، دار النجاح الجديدة، 2006 م .
2. ابن المنظور ، لسان العرب ، ط.1 ، بيروت ، 2015 م .
3. جميل صليبا ، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية و الانجليزية ، ج.1 ، دار الكتاب
اللبناني ، بيروت ، 1982 م .

القواميس باللغة الأجنبية

1. CLAUDE AUGUE , Dictionnaire Larousse , Paris , 1905
2. CHARLE VICTOR ,Dictionnaire des antiquités grecques et Romains Paris , 1877.
3. FRONCOIS SIMON, Dictionnaire .savoir , France, 2017
4. NICOT JEAN,Dictionnaire. le Parisien , Paris , 1606

المواقع

1. www.arbre.celtique/ étude
2. www.almaref.org/books
3. www.alamany.com/dic/ar-ar
4. www.aly.abbara.com/histoire/mytologie
5. www.books.google.dz
6. www.elearn.univ.Biskra.dz
7. www.histoire.du.monde
8. [www.mediterranées.net/histoire Romaine](http://www.mediterranées.net/histoire/Romaine)
9. www.philistro.documents.fr
10. [www.les philosophes .fr](http://www.lesphilosophes.fr)

فهرس المحتوى

1 مقدمة
8 الفصل الأول : حياة و أعمال فرونطو
9 أولا : حياة فرونطو
9 1 - التعريف بفرونطو
10 2 - خصال و مبادئ فرونطو
20 3 - ظروف نشأة فرونطو
29 ثانيا : أعمال فرونطو
29 1- المراسلات
34 2 - الكتب
39 3 - المقالات
44 الخلاصة
47 الفصل الثاني : حياة و أعمال ماركوس أوريليوس
48 أولا : حياة ماركوس أوريليوس
48 1 - نشأته
50 2 - مبادئ و خصال ماركوس أوريليوس
56 3 - ظروف تولي ماركوس أوريليوس الحكم
67 ثانيا : أعمال ماركوس أوريليوس
67 1 - المراسلات

70.....	2 - التأمّلات
87.....	الخلاصة
89.....	الفصل الثالث : منهج فرونطو و تعليم ماركوس أوريليوس من خلال المراسلات
90.....	أولا : دروس الخطابة و البلاغة
90.....	1 - الخطابة
95.....	2 - البلاغة
109.....	ثانيا : دروس التاريخ
109.....	1 - مبادئ التاريخ
127.....	2 - الممارسة و التقويم
133.....	الخلاصة
	الفصل الرابع : الاتجاه الفكري لماركوس أوريليوس و موقف فرونطو من
135.....	خلال المراسلات
136.....	أولا : الاتجاه الرواقي في فكر ماركوس أوريليوس
136.....	1 - المفهوم العام للرواقية
141.....	2 - أسس الفلسفة الرواقية في فكر ماركوس أوريليوس
160.....	ثانيا : موقف فرونطو من اتجاه ماركوس أوريليوس من خلال المراسلات
176.....	الخلاصة
177.....	الفصل الخامس : أبعاد فكر فرونطو وماركوس أوريليوس
178.....	أولا : البعد السياسي الإصلاحي في فكر فرونطو
178.....	1 - عوامل توجه فرونطو نحو الفكر السياسي الإصلاحي

192.....	2 - الإستراتيجية السياسية الإصلاحية في فكر فرونطو
200.....	ثانيا : البعد العقائدي في عقيدة ماركوس أوريليوس
200.....	1 - أركان الإيمان في عقيدة ماركوس أوريليوس
214.....	2 - ماركوس أوريليوس بين المجد و العقيدة
217.....	الخلاصة
219.....	الفصل السادس : دور فرونطو و ماركوس أوريليوس في الفكر الروماني
220.....	أولا : دور فرونطو في الفكر الروماني
220	1 - في مجال التعليم
229	2 - في المجال الأدبي
237.....	3 - في المجال السياسي
243.....	ثانيا : دور ماركوس أوريليوس في الفكر الروماني
243	1 - في مجال التعليم
248.....	- في المجال الأدبي
253.....	3 - في المجال السياسي
258.....	الخلاصة
263.....	الخاتمة
270..	فهرس الأعلام
277.....	فهرس الأماكن

281.....الملاحق

320..... فهرس المحتوى

الخلاصة

يمكن القول في نهاية هذه الأطروحة أن فرونطو اجتمعت فيه مزايا الرجل السياسي المسؤول و شخصية المعلم البليغ . لقد تمكن بفضل جهوده الخاصة و كفاءته العلمية العالية تبوأ مكانة متميزة خلال القرن الثاني الميلادي ، على هذا الأساس اختاره الإمبراطور أنطونينوس النقي ليكون معلما لابنيه لوكيوس فيروس و ماركوس أوريليوس . استغل فرونطو تلك المهمة لأهداف و غايات سياسية تستهدف إصلاح و تغيير أوضاع سكان المقاطعات الذين تضرروا كثيرا من سياسة الاحتلال و الرومنة . فوضع لهذه الغاية إستراتيجية محكمة تقوم على تحضير الفكر الروماني لتقبل فكرة تعميم حق المواطنة ، فسعى إلى تربية ماركوس أوريليوس على مبادئ الفضيلة ثم توجيهه للاقتداء بالاسكندر المقدوني كنموذج في تأسيس الدولة العالمية في إطار احترام ثقافات الشعوب وتجسيد العدالة الاجتماعية كحق طبيعي لجميع البشر .

لقد نجح فعلا فرونطو في تحضير الفكر الروماني و إعداد تلامذته لمشروعه العالمي الذي تجسد تدريجيا إلى غاية تقنينه في عهد كراكلا بإصدار قانون تعميم حق المواطنة سنة 212 م.